علو الهمة في الوفاء

الوفاء قيمة إنسانيّة نفيسة عظيمة، وهو درة في عقد جيد مكارم الأخلاق، يُغلي قيمة من جعله نُصب عيْنيه، ويستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، ويستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه.

□ قال الراغب الأصفهاني: «الوفاء: أخو الصَّدِق والعَدْلِ، والغَدْرُ: أخو الكذب والجور، ذلك أنَّ الوفاءَ: صِدْقُ اللسانِ والفِعْلِ معًا، والغدْرُ كَذِب بهمَا؛ لأن فيه مع الكَذِب نقضًا للعهد.

والوفاءُ: يخْتصُّ بالإنسان، فمن فُقِدَ فيه «الوفاءُ» فقد انسلخ من الإنسانيَّة، وقدْ جعل الله تعالى العهد من الإيمَان وصيَّرهُ قوامًا لأمُورِ النَّاسِ، فالنَّاسُ مضطرُّون إلى التَّعاوُنِ، ولا يتمُّ تعاونهم إلَّا بمُرَاعاة العهد والوفاءِ به، ولولا ذلك لتنافرتِ القلوبُ وارتفع التَّعايشُ. ولذلك عظَّمَ الله تعالى أمرهُ فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

وقيل في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر]، أي نزِّهُ نفسك عن الغدْرِ، وقد عظِّم حالُ السموأل فيمَا التزمَ به من الوفاءِ بدُرُوع امرئ القيس، ممَّا يدلُّ على أنَّ الوفاءَ قيمةٌ عظيمةٌ قدَّرها عربُ الجاهليَّةِ، وقد أقرَّهم الإسلامُ على ذلك، ولا يستطيع ذلك إلَّا القليلون، ولقلَّة وجود ذلك في الناسِ قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، وقد ضُربَ به المثل في العزَّة، فقالت العربُ: «هو أعَزُّ من الوفاءِ»[1].

---

(١) «الذَّريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني (٢٩٢ - ٢٩٣).

□ ولله دره وهو يقول في «مقاييس اللغة» أن مادة «و ف ي» تدل على «إكمَالٍ وتمَام».

سقى الله أطلال الوفاءِ بكفِّه ... فَقَدْ دَرَسَتْ أعلامُهُ ومنازِلُهْ

وإذا ذهب الوفاء نزل البلاء، وإذا ظهرت الخيانة اسْتَخْفت البركات والوفاء أُنْسُكَ مِمَّن نَكَث، والسَّلْوَة عِوضُكِ مِمَّن غَدَر. والوفاء عَقْد الإخاء.

□ قال الأحنف: «الملولُ ليسَ له وفاء، والكذّاب ليس له حياء».

□ «الوفاء هو القوام لمكارم الأخلاق، به تستقيم الحياة، وهو ميزان المروءة، ومقياسُ الفضل في الأفراد والأمم، ولو دانَ به الناس لوجدوا السعادة كاملة. يُحدِثُ الوفاء في نفس الوفِيّ من الغبطة ما لا حدَّ له، وفي نفس المُوَفَّى له الرغبة في البرِّ والمروءة واصطناع المعروف عند الناس»[(١)].

□ قال الجرجانيُّ: «الوفاءُ: هو ملازمةُ طريقِ المواساةِ، ومحافظةُ عهودِ الخُلطاءِ»[(٢)].

□ وقال الجاحظُ: «الوفاءُ هو الصَّبر على ما يبذُله الإنسانُ من نفسه ويرهنُهُ به لسانُهُ[(٣)]. والخروجُ ممَّا يضمنُهُ - بمقتضى العهد الذي قطعه على

(١) «الوفاء في رحاب القرآن والحديث والأدب» (ص٦٠- ٦١) لأيمن عبد الرزاق الشوّا- طبع دار الكلم الطيب- بيروت.

(٢) «التعريفات» للجُرْجاني (ص٢٧٤).

(٣) معنىٰ هذه العبارة أن الإنسان يُصبِح رهينة بما ينطق به لسانه، ولا يكونُ وفِيًّا إلا إذا حرّر نفسه بالوفاء بما التزم به، وهذا هو مضمون العبارة في قوله: «والخروج مما ضمنه» أي: خروج الإنسان من العهد الذي قطعه علىٰ نفسه، وألزمه به =

نفسه- وإنْ كان مجْحفًا به، فليس يعدُّ وفيًّا منْ لم تلحقه بوفائه أذيَّةٌ وإن قلَّتْ، وكلمَا أضرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء»[١].

- وقال الرَّاغبُ: «الوفاءُ بالعهدِ: إتمامه وعدم نقْضِ حفظه»[٢].
- وقال أيضًا: «الوفاءُ صدقُ اللِّسان والفعل معًا»[٣].

أنواع الوفاء:

للوفاءِ أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المُوفَّى به، فهي قد تكون وفاءً بالعهدِ، وقد تكون وفاءً بالعقد أو المِيثاقِ، وقد تكون وفاءً بالوعْد، وتوضيح ذلك فيمَا يلي:

الوفاءُ بالعهدِ: هو -كمَا ذكر الرَّاغبُ- إتمَامهُ وعدم نقضِ حفظه، ويتطابقُ من ثَمَّ صدق القول والعمل جميعًا [٤]، وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما «العهود ما أحلَّ الله وما حرَّم وما فرض وما حدَّ في القرآنِ كلِّه»[٥].

أمَّا الوفاءُ بالعقْدِ: فالمُراد به إما العهد، وبذلك يتطابق مع النَّوع الأول، وقيل: العقود هي أوكد العهودِ، وقيل: هي عهودُ الإيمَانِ والقرآن، وقيل: هي ما يتعاقدُه النَّاسُ فيمَا بينهم [٦].

لسانه مما ضَمِنه للغير.

(١) «تهذيب الأخلاق» (ص٢٤).

(٢) «المفردات» للراغب (ص٥٢٨).

(٣) «الذريعة» للأصفهاني.

(٤) «المفردات» (٥٢٨)، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (٢٩٢).

(٥) «عمدة التفسير» للشيخ أحمد شاكر (٤/ ٦٢).

(٦) «تفسير» البغوي (٢/ ٦).

أما الوفاءُ بالوعدِ: فالمرادُ به أن يصبر الإنسانُ على أداء ما يَعِدُ به الغير ويبذله من تلقاءِ نفسه، ويرهنُه به لسانه حتى وإنْ أضرَّ به ذلك، وقد ذكرنا من قبل قول الجاحظ: وكلَّمَا أضرَّ به الدُّخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاءِ [١].

الوفاء في القرآن الكريم:

الأمر بالوفاء بالعهد:

* قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام].

---

(١) انظر: «نضرة النعيم».

* وقال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الإسراء].

الوفاء صفة الله عز وجل:

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةًۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة].

الوفاء شعبة من شعب الإيمان:

* قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ

وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ [الرعد].

* وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

* وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان].

الوفاء صفة بارزة للأنبياء عليه الصلاة والسلام:

* قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم].

□ قال الزجَّاج: «وَفَّى أبلغُ مِن وَفَى؛ لأن الذي امتُحِن به إبراهيم الخليل من أعظم المِحَن»(١).

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما قام بدين الله كله إلَّا خليل الرحمن إبراهيم».

□ وللمفسرين في هذه الآية أقوال:

أحدها: أنه وفَّى عمل يومه بأربع ركعات في أوَّل النهار.

---

(١) «الوفاء» لأيمن الشوا (ص١٣).

والثاني: أنه وَفَّى في كلمَات كان يقولها.

والثالث: أنه وَفَّى الطاعة فيمَا فعل بابنه.

والرابع: أنه وفّى ربَّه جميع شرائع الإسلام.

والخامس: أنه وفّى ما أُمِر به من تبليغ الرِّسالة.

والسادس: أنه عَمِل بمَا أُمِر به.

والسابع: أنه وفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) ﴾ [النجم] وما بعدها.

والثامن: وفَّى شأن المناسك.

والتاسع: أنه عاهد ألَّا يسال مخلوقًا شيئًا، فلمَا قُذِف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا. فوفَّى بمَا عاهد.

والعاشر: أنه أدَّى الأمانة. ولا شك أن حذف المفعول يُطلع على إعجاز بليغ للقرآن الكريم (١).

وفاء إسماعيل عليه السلام:

* قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) ﴾ [مريم].

* وفَّى عليه السلام لأبيه عليه السلام بما وعده عليه من الصبر -بعد عون الله إياه- فكان صبره وتسليمه أجمل صبر وأتم تسليم: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٢، ١٣٣).

يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

وفاء الرسل والأنبياء عليهم السلام لربهم ولدينهم أعظم الوفاء:

* بأبي هم وأمي، عليهم صلوات ربي وتسليمه، حمَّلهم الله أمانة الوحي وتكاليف النبوّة والرسالة، فقاموا أعظم قيام، ووفَّوا لربهم أعظم الوفاء، وحملوا هذه الأمانة في أعينهم، ووفوها إلى الناس أعظم توفيه. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

وفاء سيد البشر ﷺ أعظم الوفاء:

وسنتكلَّم عليه بعد قليل.

الأجر العظيم للموفين بعهدهم:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح].

فكانت بيعتهم لنبيهم ﷺ أعظم بيعة في أشد المواقف خطرًا، ووفوا لله ولرسوله ودينهم أعظم الوفاء، فكان جزاؤهم أعظم الجزاء أنه لا يدخل أحدٌ منهم النار.

• قال ﷺ: «لا يدخل النار أحَدٌ ممَّن بايع تحت الشجرة»(١).

الوفاء بالعقود:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة].

□ واختلفوا في المراد بالعقود ها هنا على خمسة أقوال:

أحدهما: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيمَا أحلّ وحرَّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدِّين كلُّها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحِلف الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمَان بالنبي محمد ﷺ. قاله ابن جريج.

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

ولعلَّ أقوى هذه الأقوال قول ابن عباس: إن المراد بها: عقود الله

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر، ورواه مسلم عن أم مبشر.

التي أوجبها على العباد في الحلال، والحرام، والفرائض، والحدود، ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأُخر، فيجب الوفاء بجميع ذلك؛ إلَّا ما كان عقدًا في المعاونة على أمرٍ قبيح، فإنَّ ذلك محظورٌ بلا خلاف.

* قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب].

ومن الوفاء: إيفاء الكيْل والميزان:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

أي: أتمُّوه ولا تنقصوا منه.

* وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [هود: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الشعراء].

* لقد عذّب الله أمة لم تُوفِ مكيال الدنيا، فكيف بمن نكث عهده مع الله، ولم يوف لله بأي عهد، وطفّف في مكيال الدين ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود: ٩٥] توفّي مكيال شهواتك، وتبخس حق آخرتك، وتسرق من صلاتك.

• قال ﷺ: «**أسرقُ الناس الذي يسرق صلاتَه: لا يتمُّ ركوعَها ولا سجودَها، وأبخلُ الناس من بخل بالسلام**»[(١)].

• يا من لم يوف لله بأي عهد، أما تخشى أن يقول لك في بعض غَدَراتك: «**اذهب فلا غفرتُ لك**»؟!.

• قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ خيارَ عباد الله المَوفُّون المُطيَّبون**»[(٢)].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيمَـان**»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» و«الصغير» عن عبد الله بن مغفل، وصححه المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٦)، و«صحيح الجامع» (٩٦٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي حميد السَّاعِدِيِّ، وأحمد، وأبو الشيخ، والعقيلي عن عائشة، والطبراني في «الأوسط» وأبو محمد المخلدي عن أبي حميد البزار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم، وحسنّه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٠٥٦).

أحاديث عَطِرة في «الوفاء»(١) **:**

• عن عقبة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**أحقُّ ما أوْفيتم من الشُّروطِ أنْ تُوفُوا به ما استحللتم به الفُروجَ**»(٢).

• عن عبادة بن الصَّامت ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اضْمنوا لي ستًّا منْ أنفسكم أضمنْ لكم الجنَّة: اصدقُوا إذا حدَّثتم، وأوْفُوا إذا وعدتم، وأَدُّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجَكُمْ، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم**»(٣).

• عن وهبِ بن كيسان عن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّه أخبره: أنَّ أباهُ توفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا (٤) لرجلٍ من اليهود، فاستنظَره (٥) جابرٌ، فأبى أن ينظرَهُ، فكلَّم جابرٌ رسول الله ﷺ ليشفعَ له إليه، فجاء رسولُ الله ﷺ فكلَّمَ اليهوديَّ ليأخذ تمر نخله بالتي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النَّخْل فمشى فيها، ثمَّ قال لجابرٍ: جُدَّ له (٦) فأوْفِ له الذي له، فجدَّهُ بعد

---

(١) انظر «نضرة النعيم» (٣٦٤٦- ٣٦٥٧).

(٢) البخاري «الفتح» (٩/ ٥١٥١) واللفظ له، ومسلم (١٤١٨) أي أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٢٣) والطبراني حكاه الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٨) واللفظ عندهما متفق. ورجال أحمد ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة. والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٩) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال: فيه إرسال.

(٤) الوَسْق: بفتح الواو وكسرها – مِكْيَلة معلومة، وقيل: حِمْل بعير وهو ستون صاعًا بصَاع النبي ﷺ وهو خمسة أرطال وثلث، والجمع أوْسُق ووُسُوق.

(٥) استنظره: أي طلب إعطاءه مهلة للسداد.

(٦) جُدَّ له: أي اقطع له.

ما رجع رسولُ الله ﷺ، فأوْفَاهُ ثلاثين وسْقًا، وفضلت له سبعة عشر وسْقًا، فجاءَ جابرٌ رسول الله ﷺ ليُخْبِرَهُ بالذي كان، فوجده يُصَلِّي العصر، فلمَّا انصرف أخبره بالفضْل [(١)]، فقال: أخبر ذلك ابن الخطَّاب، فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره، فقال له عمرُ: لقد عَلِمْتُ حين مشى فيها رسولُ الله ﷺ ليُبارَكنَّ فيها» [(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُؤتَى بالرَّجُلِ المتوفَّى عليه الدَّينُ، فيسأَلُ: «**هل ترك لدينه فضلًا؟**» فإنْ حُدِّث أنَّه تَرك لدينه وفاء صلَّى، وإلَّا قال للمسلمين: «**صلُّوا على صاحِبِكُمْ**». فلمَّا فتحَ الله عليه الفُتوحَ قال: «**أنا أوْلَى بالمؤمنينَ من أنفسهم، فمن تُوفِّي من المؤمنين فترك ديْنًا فعليَّ قضاؤُهُ، ومن ترك مالًا فلورَثَتِهِ**» [(٣)].

• قال ابن عباس رضي الله عنهما فأخبرني أبو سفيان بن حربٍ أنَّه كان بالشَّام في رجالٍ من قريشٍ قدموا تجارًا [(٤)] في المُدَّةِ التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّارِ قريشٍ.. الحديث. وفيه: قال – يعني قيصر – فمَاذا يأمُرُكمْ به؟ قال [(٥)]: يأمُرُنَا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عمَّا كان يعبد آباؤُنا، ويأمرنا بالصلاة والصَّدَقةِ، والعَفافِ، والوفاءِ بالعهدِ، وأداء الأمانةِ. فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إنِّي سألتُكَ عن نسبه

---

(١) أخبره بالفضل: أي بالزيادة.
(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٣٩٦).
(٣) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩٨).
(٤) تِجارًا: رجل تاجر والجمع تِجَار -بالكسر والتخفيف- وتُجَّار- بالضم والتشديد- وتَجْر.
(٥) قال: يأمرنا أن نعبد الله. القائل هو أبو سفيان.

فيكم، فزعمتَ أنَّه ذو نسبٍ، وكذا الرُّسُل تُبْعَثُ في نسب قومها. وسألتُك هل قال أحدٌ منكم هذا القول قبلهُ؟ فزعمْتَ أنْ لا، فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله، قلتُ: رجلٌ يأتَمُّ بقولٍ قد قيل قبله. وسألتُكَ: هل كنتم تتَّهمُونَه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنَّه لم يكنْ ليدع الكذب على النَّاسِ ويكذبَ على الله. وسألتُكَ هل كان منْ آبائه من ملكٍ، فزعمْتَ، أنْ لا، فقلتُ: لو كان من آبائه ملكٌ قلتُ يطلبُ ملك آبائه، وسألتك: أشراف النَّاس يتَّبِعونَه أم ضُعفاؤُهم؟ فزعمت أن ضُعفاءهم اتَّبعوه، وهم أتْبَاعُ الرُّسُل، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتمَّ، وسألتك هل يرتدُّ أحدٌ سخطةً لدينه بعد أنْ يدخُلَ فيه؟ فزعمت أنْ لا، فكذلك الإيمَان حين تخالِطُ بشاشتُه القلوب لا يسخطه أحدٌ. وسألتُكَ: هل يغْدِرُ؟ فزعمت أنْ لا، وكذلك الرُّسلُ لا يغْدِرُون. وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمْتَ أنْ قد فعل، وأنَّ حربكُمْ وحربهُ تكون دُولًا، يُدالُ عليكم المرَّةَ وتُدَالُون عليه الأخرى، وكذلك الرُّسل تُبْتلى وتكون لها العاقبةُ. وسألتكَ بمَاذا يأمُركم؟ فزعمْت أنَّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشْرِكوا به شيئًا، وينهاكم عمَّا كان يعبد آباؤُكم، ويأمركم بالصلاة، والصَّدقةِ، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداءِ الأمانة. قال: وهذه صفةُ نبيٍّ قد كنت أعلم أنَّه خارجٌ، ولكن لم أعلم أنَّه منكم، وإنْ يكُ ما قلت حقًّا فيُوشِكُ أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشَّمْتُ لقاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت قدميهِ.. الحديث [١].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأةً من جُهينة جاءتْ إلى النبيِّ ﷺ فقالتْ: إنَّ أمِّي نذرتْ أن تَحُجَّ فلم تحجَّ حتَّى ماتت، فأَحُجُّ عنها؟ قال: **«نعم، حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمِّكِ دينٌ أكنتِ قاضيتَهُ؟ اقْضُوا الله، فالله أحقُّ بالوفاءِ»**(١).

• عن عليِّ بن الحسين: أنَّهم حين قدمُوا المدينةَ، من عند يزيد بن معاوية، مَقْتَلَ الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما لقيهُ المسور بن مخرمةَ، فقال له: هل لك إليَّ من حاجةٍ تأمرني بها؟. قال: فقلت له: لا. قال له: هل أنت معْطِيَّ سيف رسولِ الله ﷺ؟ فإنِّي أخافُ أن يغْلِبَك القوم عليه. وايمُ الله؛ لئن أعطيتنيه لا يخلصُ إليه أبدًا، حتَّى تَبْلُغَ نفسي. إنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ خطب بنت أبي جهْلٍ على فاطمةَ. فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطبُ النَّاسَ في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذٍ مُحْتلمٌ، فقال: **«إنَّ فاطمةَ مِنِّي، وإنِّي أتخوَّفُ أن تُفتن في دينها (٢)»**. قال: ثمَّ ذكر صِهْرًا (٣) له من بني عبد شمسٍ. فأثنى عليه في مُصاهريه إيَّاهُ فأحسن. قال: **«حدَّثني فصدقني. ووعدني فأوْفَى لي. وإنِّي لستُ أحرِّمُ حلالًا (٤) ولا أُحِلُّ حرامًا. ولكن، والله لا نجتمعُ بنتُ**

---

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ١٨٥٢)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٤) نحوه.

(٢) أن تفتن في دينها: أي بسبب الغيرة الناشئة من البشرية.

(٣) ثم ذكر صهرا: هو أبو العاص بن الربيع. زوج زينب رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ والصهر يطلق على الزوج وأقاربه وأقارب المرأة، وهو مشتق من صهرت الشيء وأصهرته، إذا قربته. والمصاهرة مقاربة بين الأجانب والمتباعدين.

(٤) لست أحرم حلالاً: أي لا أقول شيئًا يخالف حكم الله. فإذا أحل شيئًا لم أحرمه. وإذا حرمه لم أحله، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله.

رسولِ الله ﷺ وبنْتُ عدوِّ الله مكانًا واحدًا أبدًا»[١].

• عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال في خُطْبته: «أَوْفُوا بحلْفِ الجاهليَّةِ، فإنَّ الإسلام لم يزِدْهُ إلَّا شدَّةً، ولا تحدثوا حِلْفًا في الإسلام»[٢].

• عن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه وكان شهد بدرًا، وهو أحدُ النُّقَباءِ ليلة العقبة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال وحوله عصابةٌ من أصحابه: «بايعوني على أنْ لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنُوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأْتُوا بُهْتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجُلِكم، ولا تعْصُوا في معروفٍ. فمن وفَّى منكم فأجْره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقِبَ في الدنيا فهو كفَّارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثمَّ سترهُ الله فهو إلى الله: إنْ شاء عفا عنهُ، وإن شاء عاقبهُ». فبايعناهُ على ذلك[٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ على فضلِ ماءٍ بالطريق يمنع منه ابن السبيل. ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعه إلَّا لدنْيَاهُ، إن أعطاهُ ما يريد وفَّى له، وإلَّا لم يفِ له. ورجلٌ بايع رجلًا سلْعَةٍ بعد العصر، فحلف بالله لقد أُعطي بها كذا وكذا، فصدَّقَهُ فأخذها، ولم يُعطَ بها»[٤].

• عن أبي حازم قال: قاعدْتُ أبا هريرة خمس سنين. فسمعته يُحدِّثُ

---

(١) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.

(٢) أحمد (٢/ ٢٠٧) واللفظ له. والترمذي (١٥٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (٦/ ٥٦٦): كما قال الترمذي.

(٣) البخاري «الفتح» (١/ ١٨) واللفظ له، ومسلم (٧٠٩).

(٤) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٢١٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٨).

عن النبيِّ ﷺ قال: «كانتْ بنو إسرائيل تسُوسهم الأنبياءُ [١]. كلَّما هلك نبيٌّ خَلَفهُ نبيٌّ [٢]. وأنَّه لا نبيَّ بعدِي. وستكون خُلفَاءُ فيكثرون». قالوا: فمَا تأمرُنا؟ قال: «فُوْا ببيعة الأوَّلِ فالأوَّل [٣]. وأعطوهم حقَّهُمْ. فإنَّ الله سائِلُهم عمَّا استرعاهم» [٤].

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: يا رسول الله، إنِّي نذرتُ في الجاهليَّة أنْ أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام، فقال له النبيُّ ﷺ: «أوفِ نذْرَك». فاعتكف ليلةً [٥].

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، فيمَا روى عن الله - تبارك وتعالى- أنَّه قال: «يا عبادي، إنِّي حرَّمْتُ الظلم على نفسي [٦] وجعلته بينكم محرَّمًا.

---

(١) تسوسهم الأنبياء: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.

(٢) كلما هلك نبي خلفه نبي: في هذا الحديث جواز قول: هلك فلان، إذا مات. وقد كثرت الأحاديث به وجاء في القرآن العزيز قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

(٣) فوا ببيعة الأول فالأول: معنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها. وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها. وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين. وسواء كانا في بلدين أو بلد. أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره.

(٤) **البخاري «الفتح»** (٦/ ٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) واللفظ له.

(٥) **البخاري «الفتح»** (٤/ ٢٠٤٢) واللفظ له،ومسلم (١٦٥٦).

(٦) **إني حرمت الظلم على نفسي**: قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت. وأصل التحريم في اللغة المنع. فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء.

فلا تظَّالَمُوا[١]. يا عبادي، كلُّكُمْ ضَالٌّ[٢] إلَّا من هديتُهُ. فاستهْدُوني أهدِكُمْ يا عبادي، كلُّكمْ جائعٌ إلَّا من أطْعَمْتُهُ. فاستطعمُوني أطْعِمْكُمْ. يا عبادي، كلُّكم عَارٍ إلَّا من كسوْتُهُ. فاستكْسُوني أكْسُكُمْ. يا عبادي، إنَّكُمْ تخْطِئونَ[٣] بالليل والنَّهارِ، وأنا أغفرُ الذُّنوبَ جميعًا. فاستغفروني أغفرْ لكم. يا عبادي، إنَّكُمْ لن تبلغوا ضَرِّي فتضُرُّوني. ولنْ تبْلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبدي، لو أنَّ أوَّلَكُمْ وآخرَكُمْ وإنْسَكم وجِنَّكُمْ كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكمْ. ما زادَ ذلك في مُلْكِي شيئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركُمْ. وإنْسكم وجِنَّكم. كانوا على أَفْجَرِ قلب رجلٍ واحدٍ منكم. ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركُمْ. وإنْسكم وجنَّكم. قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني. فأعطيْتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَهُ ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقص المخْيَطُ[٤] إذا أُدْخل البحر. يا عبادي، إنَّما هي

---

(١) فلا تظالموا: أي لا تتظالموا. والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا.

(٢) كلكم ضال إلا من هديته: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال، إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة». فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ. وأنهم لو تُرِكوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

(٣) إنكم تخطئون: الرواية المشهورة: تخطؤون بضم التاء. وروى بفتحها وفتح الطاء. يقال: خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به، فهو خاطئ. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف]. ويقول في الإثم أيضًا: أخطأ. فهما صحيحان.

(٤) إلا كما ينقص المخيط: قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام. ومعناه لا ينقص شيئًا أصلاً. كما قال في الحديث الآخر: «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني. وعطاء =

أعمالكم أحصيها لكم، ثمَّ أوفِّيكم إيَّاهَا. فمنْ وجد خيرًا فليحْمَدِ الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلُومَنَّ إلَّا نفسه».

• عن سعيد بن المسيِّبِ رضي الله عنه قال: حدَّث عثمَان بن أبي العاص قال: آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ: «**إذا أَممْتَ قومًا فأَخِفَّ بهم الصَّلاة**»(١).

□ عن أمِّ عطيَّةَ رضي الله عنها قالت: أخذ علينا النَّبيُّ ﷺ عند البيعَةِ أنْ لا ننُوحَ، فمَا وفتْ منَّا امرأةٌ غير خمس نسوةٍ: أمِّ سليمٍ، وأمِّ العلاءِ، وابنةِ أبي سبرةَ امرأةِ معاذٍ، وامرأتينِ، أو ابنة أبي سبْرةَ، وامرأةِ مُعاذٍ، وامرأةٍ أخرى»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. فذكر أحاديثَ منها: وقال رسول الله ﷺ: «**اشترى رجُلٌ من رَجُلٍ عقارًا (٣) له. فوجد الرَّجُل الذي اشترى العقارَ في عقاره جَرَّةً (٤) فيها ذهبٌ. فقال له الذي اشترى العقارَ. خُذْ ذهبك منِّي. إنَّما اشتريْتُ منك الأرض. ولم أَبْتَعْ منك الذَّهَب. فقال الذي شَرَى الأرض (٥): إنَّما بعتُك الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى**

الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه. فإن البحر من أعظم المرئيات عيانًا وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع إنها صقيلة لا يتعلق بها ماء.

(١) مسلم (٤٦٨).

(٢) البخاري «الفتح» (٣/ ١٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (٩٣٦).

(٣) **عقارًا**: العقار هو الأرض وما يتصل بها. وحقيقة العقار الأصل. سمي بذلك من العقر، بضم العين وفتحها، وهو الأصل. ومنه: عقر الدار، بالضم والفتح.

(٤) **جرة**: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٥) **شرى الأرض**: هكذا هو في أكثر النُسَخ. وفي بعضها: اشترى. قال العلماء: الأوَّل أصح. وشرى بمعنى باع كما في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾.
=

رجلٍ. فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال أحدهُمَا: لي غُلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريَةٌ. قال: أنكِحُوا الغلام الجارية. وأنفقُوا على أنفسِكُما منه. وتصدَّقَا»[1].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللهم، إنِّي أتخذ عندك عهدًا لن تخلفَنِيه. فإنَّما أنا بشرٌ. فأيُّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته. فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقربةً، تقرِّبه بها إليك يوم القيامة»[2].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ وهو في قُبَّةٍ: «اللَّهُمَّ إني أنشدك عهدك ووعْدكَ. اللَّهُمَّ إنْ شئتَ لم تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكرٍ بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربِّكَ. وهو في الدِّرْع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر]، وقال وهيبٌ: حدَّثنا خالدٌ «يوم بدرٍ»[3].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبْرَصَ[4] وأقرعَ وأعْمَى. فأرادَ الله أنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبعث إليهم ملكًا. فأَتى الأبرَص فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عنِّي الذي قد قذِرَني[5] الناسُ. قال: فمسحهُ فذهب عنه قذره وأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل

ولهذا قال: فقال الذي شرىٰ الأرض إنما بعتك.

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) واللفظ له.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩١٥).

(٤) أبرص: قال في القاموس: البرص بياض يظهر في ظاهر البدن.

(٥) قذرني الناس: أي اشمأزوا من رؤيتي.



- أو قال: البقر. شكَّ إسحاق- إلَّا أنَّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل. وقال الآخرُ: البقر قال: فأُعطي ناقةً عشراءَ (١). فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقْرع فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شَعْرٌ حسنٌ ويذهب عنِّي هذا الذي قذرني الناسُ. قال: فمسحه، فذهب عنه، وأعْطِيَ شعرًا حسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرةً حاملًا. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أنْ يُردَّ إليَّ بصري فأبْصُرُ به النَّاس. قال: فمسحهُ فرَدَّ الله إليه بصرهُ. قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاةً والدةً(٢). فأنتجَ هذانِ وولَّدَ هذا (٣). قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل. ولهذا وادٍ من البقر. ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثمَّ إنَّهُ أتَى الأبرصَ في صورته وهيئَته (٤). فقال: رجلٌ مسكينٌ. قد انقطعت بي الحبالُ (٥) في سفري. فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك. أسألُكَ، بالذي أعطاك اللَّون الحسن والجلد الحسن والمَال، بعيرًا أتبلَّغُ عليه في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرةٌ. فقال له: كأنِّي أعرفك. ألم تكن أبرص يقذرُك النَّاسُ؟ فقيرًا فأعطاك اللهُ؟ فقال: إنما ورثْتُ هذا المال كَابِرًا

---

(١) ناقة عشراء: هي الحامل القريبة الولادة.

(٢) شاة والدًا: أي وضعت ولدها، وهو معها.

(٣) فأنتج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنتج، رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثي. وممن حكىٰ اللغتين الأخفش. ومعناه تولىٰ الولادة، وهي النتج والإنتاج. ومعنىٰ ولد هذا، بتشديد اللام، معنىٰ أنتج، والنتاج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالقابلة للنساء.

(٤) أي جاءه في صورة رجل أبرص - كما كان كذلك قبل أن يمسحه الملك.

(٥) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

عن كَابِرٍ [١]. فقال: إن كنتَ كاذبًا، فصيَّرَكَ الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرعَ في صورته فقال له مثل ما قال لهذا. ورَدَّ عليه مثل ما رَدَّ على هذا. فقال: إنْ كنت كاذبًا فصيَّرك اللهُ إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئتِهِ. فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ. انقطعتْ بي الحبالُ في سفري. فلا بلاغَ لي اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك. أسألُك بالذي رَدَّ عليك بصرك، شاةً أتبلَّغُ بها في سفَرِي. فقال: قَدْ كنتُ أعْمَى فَرَدَّ اللهُ إليَّ بصري. فخُذْ ما شئْتَ. ودَعْ ما شئْتَ. فوالله لا أجهدك اليوم [٢] شيئًا أخذتَهُ لله. فقال: أمسك مالك. فإنَّما ابتُليتُم. فقَد رُضِيَ عنك وسُخِطَ على صاحبيْكَ»[٣].

• عن جابر رضي الله عنه أنَّ رجلًا قدم من جيشان - وجيشان من اليمن- فسأَلَ النبيَّ ﷺ عن شراب يشرَبُونه بأرضهم من الذُّرة يقال له المزرُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «أو مسكِرٌ هو؟» قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مسكرٍ حرامٌ. إنَّ على الله عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا، لمن يشربُ المسكر، أنْ يسقيَهُ منْ طينةِ الخبالِ» قالوا: يا رسولَ الله؛ وما طينةُ الخبالِ؟ قال: «عَرَقُ أهلِ النَّارِ، أو عصارةُ أهل النَّارِ»[٤].

• عن ابن مُحيريزٍ؛ أنَّ رجلًا من بني كنانةَ يُدعى المخْدجيَّ سمع رجلًا بالشَّام يُدْعَى أبا محمدٍ يقول: إنَّ الوتر واجبٌ، قال المخدجيُّ:

---

(١) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرًا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

(٢) أجهدك: معناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه.

(٣) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

(٤) مسلم (٢٠٠٢).

فرحْتُ إلى عُبادة بن الصامتِ فأخبرته، فقال عبادةُ: كذب أبو محمدٍ [١]، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**خمسُ صلواتٍ كتبَهُنَّ اللهُ على العبادِ، فمنْ جاء بهنَّ لم يضَيِّعْ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهنَّ، كان له عند الله عهدٌ أنْ يدخلهُ الجنَّةَ، ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ أنْ يدخلهُ الجنَّةَ، ومن لم يأتِ بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ: إنْ شاءَ عذَّبَهُ، وإنْ شاء أدْخله الجنَّةَ**»[٢].

• عن عبد الرحمن بن كعب بن مالكٍ، عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّ كُفَّارَ قريشٍ، كتبُوا إلى ابن أبيٍّ ومنْ كان يعْبُدُ معه الأوْثَان، من الأوسِ، والخزرجِ، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالمدينةِ، قبل وقعةِ بدرٍ: إنَّكُمْ آويتم صاحبنا، وإنَّا نُقْسِمُ بالله لتقاتلُنَّهُ أو لتخْرُجُنَّ أو لنسيرنَّ إليكم حتَّى نقْتُل مقاتلتكُمْ، ونستبيحُ نساءَكُم فلمَّا بلغ ذلك عبد الله بن أُبيٍّ ومن كان معه منْ عبدةِ الأوْثانِ، اجتمعوا لقتال النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا بلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ لقيَهُمْ فقال: «**لقدْ بلغ وعيدُ قريشٍ منكم المبالغَ، ما كانت تكيدُكُمْ بأكثر ممَّا تُريدون أن تكِيدُوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخْوانكم؟**». فلمَّا سمعوا ذلك من النبيِّ ﷺ، تفرَّقُوا، فبلغ ذلك كُفَّارَ قريشٍ، فكتبت كُفَّارُ قريشٍ بعد وقعة بدرٍ إلى اليهودِ: إنَّكُمْ أهل الحلقةِ[٣] والحصونِ، وإنَّكم لتقاتلنَّ صاحبنا، أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحولُ بيننا وبين خدمِ نسائِكُمْ شيءٌ - وهي الخلاخِيلُ - فلمَّا بَلَغَ كتابهمُ النبيَّ ﷺ، أجْمَعَتْ بنو النَّضِير بالغدْرِ، فأرْسلوا إلى رسولِ الله ﷺ: اخرجْ إلينا في

---

(١) كذب: أخطأ - وهي لُغة بعض العرب -.

(٢) أبو داود (١٤٢٠) واللفظ له وقال الألباني (١٢٥٨): صحيح، والدارمي (١/ ٢٠٨) حديث رقم (١٥٧٧).

(٣) الحلقة: الدُّرع، وقد يراد بها السلاح مطلقًا.

ثلاثين رجلًا منْ أصحابكَ، ولْيخْرجْ منَّا ثلاثونَ حَبْرًا، حتى نلْتَقِيَ بمكان المنصفِ فيسْمعوا منك، فإنْ صدَّقوكَ وآمنُوا بك، آمنَّا بك، فقُصَّ خبرهم.

فلمَّا كان الغَدُ، غَدَا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائبِ فحصرهمْ فقال لهم: «**إنكم والله لا تأمَنُونَ عندي إلَّا بعهدٍ تعاهدوني عليه**». فأبوْا أن يُعْطوه عهْدًا، فقَاتلهم يومهم ذلك. ثمَّ غَدَا على بني قريظةَ بالكتائبِ، وترك بني النَّضيرِ، ودعاهُمْ إلى أنْ يعاهدوهُ، فعاهدُوه. فانصرفَ عنهم، وغدا على بني النَّضير بالكتائب فقاتلهم، حتَّى نزلُوا على الجلاءِ، فجَلَتْ بنُو النَّضِيرِ، واحتملُوا ما أقلَّتِ الإبلُ منْ أمتعتهم، وأبوابِ بيوتهم وخشبِهَا، فكان نخْلُ بني النَّضير لرسولِ الله ﷺ خاصَّةً، أعطاهُ الله إيَّاهَا، وخصَّهُ بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتالٍ، فأعطى النبيُّ ﷺ، أكثرها للمُهاجرين، وقسَّمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانَا ذَوَيْ حاجةٍ، لم يقسم لأحدٍ من الأنْصارِ غيرهما، وبقِيَ منها صدقةُ رسولِ الله ﷺ، التي في أيْدي بني فاطمةَ رضي الله عنها»[(١)].

• عن كعبٍ رضي الله عنه أنَّه تقاضي ابن أبي حدْردٍ دَينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهُمَا حتَّى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهمَا حتَّى كشف سجْفَ[(٢)] حجرته، فنادَى: «**يا كعبُ**»، قال: لبيَّك يا رسول الله، قال: «**ضع من دينك هذا، وأومأ إليه أي الشَّطْرَ**»،

---

(١) أبو داود (٣٠٠٤) وقال: الألباني (٢٥٩٥): «صحيح الإسناد».

(٢) سَجْفٌ – بفتح السين والكسرها- : السِّتر مَشقوق الوسط كالمصراعَيْن.

قال: لقد فعلتُ يا رسول الله، قال: «قُم فاقْضِه»(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عنْ رسول الله ﷺ؛ أنَّهُ ذكر رجلًا من بني إسرائيل سألَ بعض بني إسرائيل أنْ يسلفه ألف دينارٍ فقال: «ائْتني بالشُّهداءِ أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا. قال: صدقْتَ، فدفعها إليه على أجلٍ مسمًّى. فخرج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمس مركبًا يركبُهَا يقدمُ عليه للأجلِ الذي أجَّلَهُ فلم يجدْ مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرها، فأدْخَلَ فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً منه إلى صاحبِهِ، ثمَّ زَجَّجَ موضعَهَا(٢)، ثمَّ أتَى بها إلى البحرِ فقال: اللَّهُم إنَّك تعلم أنِّي كنت تسلَّفْتُ فلانًا ألف دينارٍ فسألني كفيلًا فقُلْتُ: كفى بالله كفيلًا، فرضِيَ بكَ. وسألني شهيدًا فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضيَ بذلك. وإنِّي جهدْتُ أنْ أجد مركبًا أبْعثُ إليه الذي له فلم أقْدر، وإنِّي أستودِعُكَها. فرمى بها في البحر حتَّى ولجَتْ فيه. ثمَّ انْصرفَ وهو في ذلك يلْتَمِسُ مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجُل الذي كان أسلفهُ ينظر لعلَّ مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المَالُ، فأخذها لأهله حطبًا، فلمَّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثمَّ قدم الذي كان أسْلفهُ فأتَى بالألْف دينارٍ فقال: والله ما زلْتُ جاهِدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمَا لكَ فمَا وجدْتُ مرْكبًا قبل الذي أتيْتُ فيه. قال: هل كنت بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجِدْ مركبًا قبل الذي جئتُ فيه. قال: فإنَّ الله قدْ أدَّى عنك

(١) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤١٨).

(٢) زجج موضعها: أي سوَّىٰ موضع النقر وأصلحه.

الذي بعثْتَ في الخشبةِ، فانصرفْ بالألفِ الدِّينارِ رَاشِدًا»[١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «بينما ثلاثةُ نفرٍ ممَّنْ كان قبْلكم إذ أصابهُمْ مطرٌ، فأوَوْا إلى غارٍ فانطبَق عليهم، فقال بعضهم لبعضٍ: إنَّه والله يا هؤلاءِ؛ لا يُنجيكم إلَّا الصدقُ، فلْيَدْعُ كُلُّ رجلٍ منكم بِمَا يعلمُ أنَّهُ قد صَدق فيه. فقال واحدٌ منهم: اللَّهُمَّ، إنْ كنت تعلمُ أنَّهُ كان لِي أجيرٌ عملَ لي على فرقٍ من أرُزٍّ، فذهب وترَكَهُ، وأنِّي عَمدْتُ إلى ذلك الفرق فزرعْتُه، فصارَ منْ أمْرِهِ أنِّي اشتريْتُ منه بقرًا، وأنَّه أتاني يطلبُ أجْرَهُ، فقلت له: اعْمِدْ إلى تلك البقر فسُقْها، فقال لي: إنَّما لي عندك فرقٌ منْ أرُزٍّ. فقلت له: اعْمد إلى تلك البقر، فإنها منْ ذلك الفرقِ. فساقها. فإنْ كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خشْيتكَ ففَرِّجْ عنَّا. فانْساخَتْ عنهم الصخْرةُ. فقال الآخرُ: اللَّهُمَّ إنْ كنت تعلم أنَّهُ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنت آتيهما كُلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبْطأتُ عنهما ليلةً، فجئْتُ وقد رقدَا؛ وأهلي وعيالي يتضاغَوْنَ من الجوعِ، وكنت لا أسقيهم حتى يشربَ أبَوايَ، فكرِهْتُ أنْ أوقظهُمَا، وكرهْتُ أنْ أدعهُمَا فيستكِنَّا لشربتهِمَا، فلم أزَلْ أنتظِرُ حتى طلع الفجرُ. فإنْ كنت تعلمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خَشْيتِكَ ففرِّجْ عنَّا. فانساختْ عنهم الصَّخرةُ حتى نظروا إلى السماءِ. فقال الآخرُ: اللهُمَّ إنْ كنت تعلمُ أنَّهُ كان لي ابنةُ عَمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأنِّي رَاودْتُها عن نفسها فَأبتْ إلَّا أنْ آتيهَا بمئةِ دينَارٍ، فطلبْتُها حتى قدرْتُ، فأتيتُهَا بها فدفعتُهَا إليها، فأمْكَنَتْني من نفسها، فلمَّا قَعَدْتُ بين رجليها فقالت: اتَّقِ الله

---

(١) البخاري «الفتح» (٤/ ٢٢٩١).

ولا تَفُضَّ الخاتِمَ إلَّا بحقِّهِ، فقُمْتُ وتركْتُ المئةَ الدِّينَارِ. فإنْ كنت تعلم أنِّي فعلت ذلك من خشْيَتِكَ ففرِّجْ عنَّا، ففرَّجَ الله عنهم فخَرجُوا»(١).

□ عن أبي هريرة ﷺ قال: كنت مع عليٍّ بن أبي طالبٍ حيثُ بعثَهُ رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ مكَّةَ ببراءة قال: ما كنتم تُنَادُونَ؟ قال: كنَّا نُنَادِي: أنَّه لا يدخَل الجنَّة إلَّا مؤمنٌ، ولا يطُوفُ بالبيت عريانٌ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهْدٌ فإنَّ أجَلَهُ -أو أمدَهُ- إلى أربعةِ أشهُرٍ فإذا مضتِ الأربعةُ الأشهر فإنَّ الله بريءٌ من المشركينَ ورسولُهُ، ولا يَحُجُّ هذا البيت بعد العام مشرِكٌ، فكنتْ أُنَادِي حتَّى صَحِلَ صَوْتِي(٢)»(٣).

• **عن عبد الله بن عامرٍ ﷺ أنَّهُ قال: دعتْني أمِّي يومًا ورسولُ الله ﷺ** قاعِدٌ في بيتنَا، فقالت: ها تَعَال أُعطيكَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«وَما أرَدْتِ أن تُعْطِيَهُ؟»** قالت: أُعْطيه تمْرًا، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«أَمَا إنَّكِ لوْ لمْ تُعْطِيهِ(٤) شيئًا كُتِبَتْ عليك كذْبةٌ»**(٥).

• **عن أمِّ هانيءٍ ابنة أبي طالبٍ ﷺ قالتْ: ذهبت إلى رسول الله ﷺ** عَامَ الفتح فوجدته يغتسل وفاطمةُ ابنته تستره، فسلَّمْتُ عليه فقال: «من

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٥) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) صحل صوتي: أي بَحَّ أي غلظ وخشونة في الصوت.

(٣) أحمد (٢/ ٢٩٩) واللفظ له. والترمذي (٣٠٩١- ٣٠٩٢) وآخر عنده من حديث علي ﷺ (٨٧١)، وقد سأله زيد بن أتبع، وقال الترمذي: حسن، وفي الباب عن أبي هريرة ﷺ. وابن مردويه والبزار. وأصله عند البخاري (٤٦٥٥).

(٤) لم تعطيه: هكذا وردت بإثبات الياء، والقواعد تقتضي حذفها بعد لم.

(٥) أبو داود (٤٩٩١) واللفظ له وقال الألباني (٤١٧٦): حسن، «الصحيحة» (٧٤٨)، وأحمد (٣/ ٤٤٧).

هذه؟» فقلت: أنا أمُّ هانئٍ بنتُ أبي طالبٍ. فقال: «مرحبًا بأمِّ هانيءٍ»، فلمَّا فرغَ من غسله قام فصلَّى ثمانِ ركعاتٍ ملتحِفًا في ثوبٍ واحدٍ. فقلتُ: يا رسول الله، زعم ابن أمِّي عليٌّ، أنَّه قاتلٌ رجلًا قد أجرتُه؛ فلانُ ابن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرْنَا من أجرتِ يا أمَّ هانيءٍ»، قالت أمُّ هانيءٍ: وذلك ضُحًى[١].

• عن أبي جرَيٍّ جابر بن سليمٍ، قال: رأيتُ رجلًا يصدر النَّاسُ عنْ رأيه، لا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنه، قلتُ: من هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ، قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابكَ ضُرٌّ فدعوتَهُ كشفَهُ عنك، وإنْ أصابك عامُ سَنَةٍ[٢] فدعوْتَهُ أنبتها لك وإذا كنت بأرضٍ قفراءَ أو فلاةٍ فضلَّتْ راحلتُك فدعوْتَهُ ردَّها عليك» قلتُ: اعهد إليَّ، قال: «لا تسُبَّنَّ أحدًا» قال: فمَا سببْتُ بعدهُ حُرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاةً، قال: «ولا تحْقرَنَّ شيئًا من المعروفِ، وأنْ تكلِّمَ أخاكَ وأنْتَ مُنْبَسِطٌ إليهِ وجْهُكَ، إنَّ ذلك من المعروفِ، وارْفَعْ إزَارَكَ إلى نصفِ السَّاقِ، فإنْ أبيْتَ فإلى الكعبين، وإيَّاكَ وإسْبالَ الإزَارِ، فإنَّهَا من المخِيلَةِ[٣]، وإنَّ الله لا يُحبُّ المخيلَةَ، وإن امرُؤٌ شتمك وعيَّرك بمَا يعلمُ فيكَ فلا تُعيِّرْهُ بمَا تعلمُ فيه، فإنَّمَا وبَالُ ذلك عليه»[٤].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٧١) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦).

(٢) عام سنة: أي عام جدب.

(٣) المخيلة -بفتح الميم وكسر الخاء- والخال والخيل والخيلاء والخيلة كله الكبير.

(٤) أبو داود (٤٠٨٤) وقال الألباني: صحيح، والترمذي (٢٨٧٧). وصححه ابن حبان رقم (١٢٢١) في الموارد، ومحقق «جامع الأصول» (١١/ ٧٤٦).

• عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَهْدُ الذي بيْنَنَا وبينَهُمُ الصَّلاةُ، فمنْ تَرَكها فقدْ كَفَرَ**»[١].

• عن عبد الرحمن بن عبد ربِّ الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرٍو بن العاص جالسٌ في ظلِّ الكعبة. والنَّاسُ مجْتَمِعُونَ عليه. فأتيتُهُمْ. فجلستُ إليهِ. فقال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ. فنزلنا منزلًا. فمِنَّا من يُصْلحُ خِبَاءَه. ومنَّا منْ ينتضِلُ[٢] ومنَّا من هو في جَشَرِهِ[٣] إذ نادَى مُنَادِي رسول الله ﷺ: «**الصَّلاة جامعةً**»[٤]. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إنَّه لم يكنْ نبيٌّ قَبْلي إلَّا كان حقًّا عليه أنْ يدلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يَعْلَمُهُ لهم، ويُنْذِرَهُمْ شرَّ ما يعلمه لهم. وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعِلَ عافِيَتُهَا في أوَّلِهَا. وسيُصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكِرُونَهَا. وتجيءُ فتنةٌ فيُرَقِّقُ بعضها بعضًا**[٥]**، وتَجِيءُ الفتنةُ، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثمَّ تنكشفُ. وتجيءُ الفتنةُ، فيقُولُ المؤمن: هذه هذه. فمنْ أحبَّ أنْ يُزَحْزح عن النَّارِ ويُدخل**

---

(١) الترمذي (٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والنسائي (١/ ٢٣١) وغيرهم وقال محقق «الجامع» (٥/ ٢٠٤): وهو حديث صحيح.

(٢) ومِنّا من ينتضِل: هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٣) في جشره: قوم يخرجون بدوابهم على المرعى ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت.

(٤) الصلاة جامعة: هي بنصب الصلاة، على الإغراء، ونصب جامعة على الحال.

(٥) فيرقق بعضها بعضًا: هذا اللفظة، رويت على أوجه: أحدها، وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة، يرقق أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده، والثاني يجعل الأول رقيقًا، وقيل معناه يشبه بعضه بعضًا. وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء. وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. والثاني: فيرفق. والثالث: فيدفق، أي يدفع والدفق هو الصب ويصب.

الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخرِ. وليأْت إلى الناس الذي يُحبُّ أنْ يؤتى إليه [١]. **ومن بايع إمامًا، فأعطاهُ صفقة يده وثمرةَ قلبه، فليُطعه إن استطاعَ. فإنْ جاء آخرُ يُنازعُهُ فاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»** فدنوتُ منه فقلتُ له: أنشُدُكَ الله آنتَ سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ؟ فأهْوَى إلى أُذنيه وقلبه بيديه. وقال: سمعتْهُ أُذُنايَ ووعَاهُ قلبي. فقلتُ له: هذا ابنُ عمِّكَ معاويةُ يأمرنا أن نأكُلَ أموالنَا بيننا بالباطِلِ. ونقْتُلَ أنفسنا. والله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء]. قال: فسكتَ ساعةً ثمَّ قال: أطِعْهُ في طاعةِ الله، واعصه في معصيةِ الله [٢].

• عن سليمِ بن عامرٍ – رجلٍ من حمير – قال: كان بين معاويةَ، وبين الرُّوم عهدٌ، وكان يسيرُ نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهُم، فجاءَ رجلٌ على فرسٍ أو برذونٍ وهو يقولُ: الله أكبرُ، اللهُ أكبر، وفاءٌ لا غَدْرٌ، فنظروا فإذا عمرُو بن عَبَسَةَ، فأرْسَلَ إليه معاويةُ فسألهُ، فقال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**منْ كان ينَهُ وبين قوم عهْدٌ فلا يَشُدَّ عُقْدَةً، ولا يحُلَّهَا حتَّىَ ينْقَضِيَ أمَدُها أوْ ينبِذَ إليهمْ على سواءٍ**» فرجع معاوية [٣].

---

(١) وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه: هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حكمه. وهذه قاعدة مهمة، فينبغي الاعتناء بها. وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوا معه.

(٢) مسلم (١٨٤٤).

(٣) الترمذي (١٥٨٠) وقال: حديث حسن. وأبو داود (٢٧٥٩) واللفظ له وقال الألباني (٢٣٩٧): صحيح. وعند أحمد (٤/١١٣) انظر تحقيق «جامع =

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المسلِمُونَ تتكَافأُ دماؤُهُمْ: يسعَى بذمَّتهم أدْناهم، ويُجيرُ عليهم أقصاهُمْ، وهمْ يَدٌ على منْ سواهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُم على مضعفهم، ومُتَسرِّعُهُمْ على قاعدهمْ، لا يُقْتَلُ مُؤْمنٌ بكافرٍ، ولا ذُو عهْدٍ في عهْدِهِ**»[1].

• عن أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**منْ صلَّى الصُّبْحَ، فهو في ذِمَّةِ الله. فلا تخفروا الله في عهدهِ. فمنْ قتله، طلبهُ اللهُ حتَّى يكُبَّهُ في النَّارِ على وجْهِهِ**»[2].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضِهِ: «**ودِدْتُ أنَّ عنْدي بعضَ أصحابي**» قلْنَا: يا رسول الله، ألا ندْعو لك أبا بكْرٍ؟ فسكتَ. قلنا: ألا ندْعُو لك عُمرَ؟ فسكتَ. قلنا: ألا ندعُو لك عُثْمَانَ؟ قال: «**نعمْ**» فجاءَ، فخلا به، فجعل النبيُّ ﷺ يكلِّمُهُ. ووجْهُ عثمَان يتغيَّرُ. قال قيسٌ: فحدَّثني أبو سهلةَ، مولى عثمَان: أنَّ عثمَان بن عفَّانَ قال يوم الدَّار: إن رسولَ الله ﷺ عهد إليَّ عهْدًا. فأنا صائِرٌ إليه. وقال عليٌّ في حديثه: وأنا صابرٌ عليه. قال قيسٌ: فكانوا يرونَهُ ذلك اليومَ»[3].

الأصول» (٢/ ٦٤٨).

(١) أبو داود (٢٧٥١) وقال الألباني (٢٣٩٠): حسن صحيح. وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٢٥٥): «إسناده حسن».

(٢) الترمذي (٢١٦٤) و(٢٢٢). وابن ماجه (٣٩٤٥). وقال في «الزوائد»: رجال إسناده ثقات. إلا إنه منقطع. وسعد بن إبراهيم لم يدرك حابس بن سعد، قاله في «التهذيب». وهو عند مسلم (٦٥٧) بلفظ آخر نحوه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٥٢)، وبعضه في الترمذي (٣٧١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجه في «المقدمة» (١١٣)، واللفظ له وقال =

• عن عليٍّ رضي الله عنه قال: والذي فلقَ الحبَّة وبرأَ النَّسمةَ إنَّهُ لعهدُ النبيِّ الأميِّ ﷺ إليَّ: «**لا يُحبُّني إلَّا مؤمنٌ، ولا يبغضُني إلَّا مُنَافِقٌ**»(١).

علو همة النبي ﷺ في الوفاء:

□ قال العلَّامة المَاوردي في كتابه «أعلام النُّبُوَّة» في شرف أخلاقه وكمَال فضائله ما نصُّه: «الخصلة السادسة: حفظه للعهد، ووفاؤه بالوعد، فإنه ما نقض لمحافظٍ عهدًا، ولا أخلف لمراقب وعدًا، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوئ الشيم، فيلتزم فيها الأغلظ، ويرتكب فيهمَا الأصعب، حفظًا لعهده، ووفاء بوعده؛ حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله تعالى له مخرجًا».

✍ وكان من هَدْيه ﷺ أن أعداءه إذا عاهدوا واحدًا من أصحابه على عهد لا يَضُرّ بالمسلمين أمضاه لهم:

• فعن حذيفة بن اليمَان رضي الله عنهما قال: ما منعني أن أَشْهَدَ بدرًا إلَّا أني خرجت أنا وأبي حُسَيْلٌ. قال: فأخذَنَا كُفَّارُ قريش. قالوا: إنكم تُريدون محمدًا؟ فقال: ما نُريدُه. ما نُريد إلَّا المدينة. فأخذوا منَّا عَهْدَ الله وميثاقَه لننصَرِفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتِلُ معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأَخْبَرنَاهُ الخَبَرَ، فقال: «**انْصَرِفا. نفي لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»(٢).

• ويُجير من أجاره أحدٌ من المسلمين، ولو كانتِ أمرأة، ولا يخيس

محققه في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) رواه مسلم (٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٧).

بأي عهد قال ﷺ: «قد أَجَرْنَا (١) من أَجَرْتِ يا أُمَّ هانِيء»(٢).

وفي رواية: «وأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْت».

عِظَمُ وفاء النبي ﷺ يوم الحُدَيبية:

• عن المسورِ بن مخرمةَ ومروان رضي الله عنهما قالا: خرج رسولُ الله ﷺ زمن الحديبية، حتَّى إذا كانوا ببعض الطَّريقِ، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ خالد ابن الوليد بالغَمِيم (٣) في خيلٍ لقُرَيْشٍ طليعةً، فخذوا ذات اليمينِ**». فوالله ما شعر بهم خالدٌ حتَّى إذا هم بقترة (٤) الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقُرَيْشٍ، وسار النبيُّ ﷺ، حتَّى إذا كان بالثَّنيَّة التي يُهْبطُ عليهم منها بركتْ به راحلته، فقال النَّاسُ: حَلْ حَلْ (٥). فألحَّتْ. فقالوا: خَلأَتِ القصْوَاءُ (٦). فقال النبيُّ ﷺ: «**ما خَلأَتِ القصْواءُ وما ذاك لها بخُلُقٍ. ولكنْ حَبَسَها حَابِسُ الفيل**» (٧). ثمَّ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسألُونني خُطَّةً (٨) يُعَظِّمُون فيها حُرُماتِ الله إلَّا أعطيتُهُمْ إيَّاها**». ثمَّ زجَرَها فوثَبَتْ. قال: فعدل عنهم حتَّى نزلَ بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ (٩) قليلِ المَاءِ يتبرَّضُهُ

---

(١) أجرتُ الرَّجُل: منعتُ مَن يُريده بسوء.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وزاد أبو داود والترمذي، «وأَمَّنَّا مَن أَمَّنْتِ».

(٣) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) قترة: بفتحتين: الغبار الأسود.

(٥) حَلْ حَلْ: هو زجر الناقة للنهوض.

(٦) خلأت القصواء: حَرَنَتْ من غير علة والقصواء: اسم لناقة رسول الله ﷺ.

(٧) حبسها حابس الفيل: أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٨) خُطَّةَ: أي خصلة.

(٩) ثمد: بفتحتين – أي حُفيرة فيها ماء مثمود أي قليل.

النَّاسُ [١] تَبَرُّضًا، فلم يُلَبِّثْهُ [٢] الناسُ حتَّى نَزَحُوهُ، وشُكِيَ إلى رسولِ الله ﷺ العطشُ؛ فانتزَعَ سهْمًا من كنانتهِ، ثمَّ أمرهُمْ أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدرُوا عنه [٣]. فبينمَا هم كذلك، إذ جاء بُدَيْلُ بن ورْقَاءَ الخُزَاعيُّ في نفرٍ من قومه من خُزَاعة - وكانوا عيبةَ نُصْحِ [٤] رسول الله ﷺ من أهل تهامةَ - فقال: إنِّي تركْتُ كعب بن لُؤَيٍّ وعامر بن لؤيٍّ، نزلُوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذُ المطافيلُ [٥]، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّا لم نجيءْ لقتالِ أحدٍ، ولكنَّا جئنا معتَمرين، وإنَّ قريشًا قد نهكتهم الحربُ وأضرَّتْ بهم، فإنْ شاءوا ماددتهم مدَّةً ويُخَلُّوا بيني وبين النَّاسِ، فإنْ أظهرْ، فإنْ شاءوا أنْ يدخلوا فيما دخل فيه النَّاسُ فعلوا، وإلَّا فقد جَمُّوا** [٦]. **وإنْ همْ أبوْا فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنَّهُمْ على أمري هذا حتَّى تنْفَرِدَ سالِفَتي** [٧]، **وليُنْفِذَنَّ الله أمرهُ**» فقال بُدَيلٌ: سأبلِّغهم ما تقول. قال: فانطلق حتَّى أتى قريشًا، قال: إنَّا جئْناكم من هذا الرَّجل، وسمعناهُ يقولُ قولًا، فإنْ شئْتم أنْ نعرضَهُ عليكم فعلنا. فقال: سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه

---

(١) يتبرضه الناس: أي يأخذون منه قليلاً قليلاً.

(٢) لم يلبثه الناس: أي لم يتركوه يلبث أي يقيم.

(٣) يجيش لهم بالري حتىٰ صدروا عنه: أي يفور بالماء حتىٰ رجعوا.

(٤) عيبة نصح رسول الله: أيْ موضع النُّصْحِ له والأمانة علىٰ سِرِّه.

(٥) العوذ المطافيل: الناقة التي وضعت إلىٰ أن يقوىٰ ولدها.

(٦) جَموا: أي قووا.

(٧) حتىٰ تنفرد سالفتي: أي حتىٰ أموت وأبقىٰ منفردًا في قبري، والسالفة: صفحة العنق.

بشيءٍ. وقال ذَوُو الرَّأْي منهم: هاتِ ما سمعتَهُ يقول. قال سمعتهُ يقول كذا وكذا. فحدَّثَهُمْ بمَا قال النبيُّ ﷺ. فقامَ عروةُ بن مسعودٍ فقال: أيْ قومِ، ألستم بالوالدِ؟ قالوا: بلى. قال: أولستُ بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتَّهمُوني؟ قالوا: لا. قال: ألسْتُم تعلمون أنِّي استنْفَرْتُ أهل عُكَاظٍ، فلمَّا بلَّحُوا[١] عليَّ جئْتُكُمْ بأهلي وولدي ومنْ أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا قدْ عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ، اقبلوها ودعوني آته. قالوا ائْته. فأتاه فجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ نحْوًا من قوله لبُدَيْلٍ. فقال عروةُ عند ذلك: أيْ محمَّدُ، أرأيت إن اسْتأصلتَ أمْرَ قومك، هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاحَ أهلهُ[٢] قَبْلَكَ؟ وإنْ تَكُنِ الأخْرَى، فإنِّي والله لا أرى وجوهًا، وإنِّي لأرى أشوابًا[٣] من الناس خليقًا[٤] أنْ يفرُّوا ويدعُوك. فقال لهُ أبو بكرٍ: امْصُصْ بظْرَ الّلاتِ[٥]، أنحْنُ نفِرُّ عنه وندعُهُ؟ فقال: منْ ذَا؟ قالوا: أبو بكرٍ. قال: أما والذي نفسي بيدهِ، لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبْتُكَ. قال: وجعل يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فكلمَا تكلم كلمةً أخذَ بلحْيَتِهِ، والمغيرة بن شعبةَ قائِمٌ على رأس النبيِّ

(١) بلَّحوا: أي امتنعوا من الإجابة.

(٢) اجتاح أهله: أي أهلك أصلهم.

(٣) أشوابًا: أي أخلاطًا من أنواع شتىٰ.

(٤) خليقًا: أي حقيقًا وجديرًا.

(٥) امصص بظر اللات: البظر قطعة تبقىٰ بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم أحد الأصنام التي كانوا يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ «الأم» بدلا من «اللات» فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه.

ﷺ ومعهُ السَّيْفُ وعليه المغفرُ [١]، فكلمَا أهْوَى عرْوةُ بيدِهِ إلى لِحْيةِ رسولِ الله ﷺ ضرب يدهُ بنَعْلِ السَّيْفِ وقال له: أخِّرْ يدكَ عن لحيَةِ رسول الله ﷺ. فرفعَ عُروةُ رأسهُ فقال: من هذا؟ قال: المغيرةُ بن شُعبةَ. فقال: أيْ غُدَرُ [٢]، ألسْتُ أسْعَى في غدْرتكَ؟ وكان المغيرةُ صحِبَ قومًا في الجاهليَّةِ فقتلهم وأخذَ أموالهم ثمَّ جاءَ فأسلمَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا الإسلامُ فأقبَلُ، وأمَّا المَالُ فلسْتُ منهُ في شيءٍ**». ثمَّ إنَّ عروة جعل يرْمُقُ [٣] أصحاب النبيِّ ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنَخَّمَ رسولُ الله ﷺ نُخامَةً [٤] إلَّا وقعتْ في كفِّ رجلٍ منهم فدلكَ بها وجْهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدرُوا أمرَهُ، وإذا توضَّأ كادُوا يقتتلون على وضُوئه [٥]، وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عندهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظرَ تعظيمًا له. فرجع عُرْوةُ إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقدْ وفدْتُ على الملوكِ، ووفدتُ على قيْصَرَ وكسرى والنَّجَاشيِّ، والله إنْ رأيت مليكًا قطُّ يعظِّمُهُ أصحابه ما يعظمُ أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا والله ما يتنَخَّمْ نُخامةً إلَّا وقعتْ في كفِّ رجل منهم فدلكَ بها وجْهَهُ وجلده، وإذا أمرهمْ ابتدرُوا أمرَهُ، وإذا توضَّأ كادُوا يقتتلون على وضُوئه، وإذا تكلَّمُوا خفَضُوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظر تعظيمًا له. وإنَّه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها. فقال رجلٌ من بني كنانة: دعوني آتهِ، فقالوا: ائْتِهِ. فلمَّا أشرف على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) المغفر: حلق يتقنع به المتسلح وربما كان مثل القلنسوة غير أنها أوسع.

(٢) أي غدر: مبالغة في وصفه بالغدر.

(٣) يرمق: أي يلحظ.

(٤) النخامة: البزقة التي تخرُج من أقصىٰ الحلْق ومن مخرج الخاء.

(٥) الوَضوء – بفتح الواو– : الماء الذي يُتوَضَّأ به.

وأصحابِهِ قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلانٌ، وهو من قوم يعظِّمُون البدنَ**[١]**، فابْعَثُوهَا له**». فبُعِثَتْ له، واستقْبَلَهُ الناس يلَبُّونَ. فلمَّا رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيتِ. فلمَّا رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلِّدتْ وأشعرت، فمَا أرى أن يصدُّوا عن البيتِ. فقام رجلٌ منهم يُقال له مكرزُ بن حفصٍ فقال: دعُوني آته. فقالوا: ائته. فلمَّا أشرف عليهم، قال النبيُّ ﷺ: «**هذا مكْرَزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ**» فجعل يكلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ. فبينمَا هو يكلِّمه إذْ جاء سهيل بن عمرٍو. قال معمرٌ: فأخبرني أيوبُ عن عكرمة أنَّه لمَّا جاء سهيل بن عمرٍو، قال النبيُّ ﷺ: «**قد سَهُلَ لكم منْ أمرِكُمْ**» قال معمرٌ: قال الزُّهريُّ في حديثه: فجاء سهيلُ بن عمرٍو فقال: هات اكتُبْ بيننا وبينكم كتابًا. فدعا النبيُّ ﷺ الكاتبَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال سهيلٌ: أما «الرَّحمن» فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ: باسْمِكَ اللهمَّ، كمَا كنت تكتب، فقال المسلمونَ: والله لا نكتبها إلَّا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. فقال النبيُّ ﷺ: «**اكتُبْ: باسمكَ اللهُمَّ**». ثم قال: «**هذا ما قاضَى عليه محمَّدٌ رسولُ الله**» فقال سُهيلٌ: والله لو كنَّا نعلمُ أنَّك رسول الله ما صددناك عن البيتِ ولَا قاتلْنَاكَ، ولكن اكتبْ «محمدُ ابنُ عبد الله»، فقال النبيُّ ﷺ: «**والله إنِّي لرسُولُ الله وإن كذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ: محمَّدُ بن عبد الله**». قال الزُّهريُّ: وذَلك لقوله: «لاَ يسألُونني خُطَّةً يعظِّمُونَ فيها حرماتِ الله إلَّا أعطيتهم إيَّاها». فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**على أنْ تخلُّوا بيننا وبين البيت فنطُوفَ به**». فقال

---

(١) البُدْن: جمع بَدَنة وهي تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه سميت بدنة لعظمها وسمنها.

سهيلٌ: والله لا تتحدَّثُ العرب أَنَّا أُخذْنا ضغْطَةً[١]. ولكن ذلك من العام المُقْبل، فكتب، فقال سهيلٌ: وعلى أَنَّهُ لا يأتيك منَّا رجلٌ وإنْ كان على دينكَ إلَّا رددته إلينا. قال المسلمونَ: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينمَا همْ كذلك إذ دخل أبو جَنْدَلِ بنُ سهيلِ بن عمرٍو يرسفُ في قُيُوده[٢]، وقد خرج من أسفل مكَّة حتَّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمدُ أوَّلُ من أقاضِيكَ عليه أن ترُدَّه إليَّ. فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّا لمْ نقْضِ الكتابَ بَعْدُ**». قال: فوالله إذًا لم أصالِحْكَ على شيءٍ أبدًا. قال النَّبيُّ ﷺ: «**فأَجِزْهُ لي**»، قال: ما أنا بمُجيزِهِ لك، قال: «**بلى فافعل**»، قال: ما أنا بفاعل. قال مكْرَزٌ: بل قد أجزْنَاهُ لك. قال أبو جنْدَلٍ: أيْ معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترَوْن ما قد لقيتُ؟ وكان قد عذِّبَ عذابًا شديدًا في الله. قال: فقال عمر بن الخطَّابِ. فأتَيْتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألست نبيَّ الله حقًّا؟ قال: «**بلى**» قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «**بلى**» قلتُ: فلم نُعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذًا؟ قال: «**إني رسولُ الله ولستُ أعْصِيه، وهو ناصرِي**»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا، أنا سنأتي البَيت فنطوفُ به؟ قال: «**بلى، فأخبرتُكَ أنا نأتيه العام؟**» قال: قلتُ: لا. قال: «**فإنَّكَ آتيه ومُطَوِّفٌ به**». قال: فأتيت أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكرٍ، أليس هذا نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقِّ وعدُّونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نُعْطي الدنِيَّةَ في ديننا إذًا؟ قال: أيُّها الرَّجُلُ، إنَّه لرسولُ الله،

---

(١) أُخِذنا ضُغطه: أي قهرًا.

(٢) يرسف في قيوده: أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيد.

وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسكْ بغرزه [١]، فوالله إنَّهُ على الحقِّ. قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلتُ: لا. قال: فإنَّكَ آتيه ومطوِّفٌ به. قال الزُّهريُّ: قال عمرُ: فعملتُ لذلك أعمَالًا. قال: فلمَّا فرغَ من قضيَّةِ الكتابِ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحرُوا ثمَّ احْلِقُوا**»: قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ، حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلمَّا لم يقُمْ منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة فذكر لها ما لقِيَ من الناسِ، فقالتْ أمُّ سلمة: يا نبيَّ الله، أتُحِبُّ ذلك؟ اخْرُجْ، ثمَّ لا تكلِّمْ أحدًا منهم كلمةً حتى تنْحَرَ بدنَكَ، وتدْعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَهُ، ودعا حالقه فحلقهُ، فلمَّا رأوْا ذلك قامُوا فنحروا، وجعل بعضهم يحلقُ بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا. ثمَّ جاءَهُ نسوةٌ مؤْمِنَاتٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ﴾ [الممتحنة: ١٠] حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ فطلَّقَ عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوَّج إحداهما معاوية بن أبي سفيانَ، والأخرى صفوانُ ابن أميَّة، ثم رجع النبيُّ ﷺ إلى المدينة، فجاءَه أبو بصيرٍ – رجلٌ من قريشٍ- وهو مسلمٌ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرَّجُلين، فخرجا به حتَّى بلغا ذا الحُلَيْفَةِ، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصيرٍ لأحد الرَّجلين: والله إنِّي لأرى سيفك هذا يا فلان جيِّدًا، فاستلَّهُ الآخرُ فقال: أجل، والله إنَّه

---

(١) فاستمسك بغرزه: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس والمراد اعتلق به واتبع قوله وفِعْله ولا تُخالِفه.

لجيِّدٌ، لقد جرَّبْت به ثمَّ جَرَّبْتُ. فقال أبو بصيرٍ: أرني أنظر إليه، فأمْكنَهُ منه، فضربَهُ حتَّى بَرَدَ [(١)]، وفرَّ الآخرُ حتَّى أتى المدينة، فدخل المسجدَ يَعْدُو، فقال رسول الله ﷺ حينَ رآهُ: «لقدْ رَأى هذا ذُعْرًا»، فلمَّا انتهى إلى النَّبيِّ ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإنِّي لمقتُولٌ. فجاء أبو بصيرٍ فقال: يا نبيَّ الله، قدْ والله أوْفَى الله ذِمَّتَكَ قدْ رددتني إليهم، ثمَّ أنْجاني الله منهم. قال النَّبيُّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ [(٢)] لو كان له أحَدٌ» فلمَّا سَمِعَ ذلك عرف أنَّهُ سَيَرُدُّهُ إليهم، فخرج حتَّى أتى سِيفَ البَحْرِ [(٣)]. قال: وينْفلت منهم أبو جَنْدَلِ بن سُهيْل فلحقَ بأبي بصيرٍ، فجعل لا يخرجُ من قريشٍ رجلٌ قدْ أسلم إلَّا لحق بأبي بصيرٍ، حتَّى اجتمعَتْ منهم عصابةٌ، فوالله ما يسمعونَ بعيرٍ خرجتْ لقريشٍ إلى الشَّام إلَّا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرْسَلَتْ قريشٌ إلى النَّبيِّ ﷺ تُنشده الله والرَّحِمَ لَمَا أرْسل فمنْ أتاهُ فهو آمِنٌ، فأرسلَ النَّبيُّ ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وكانت حميَّتَهُم أنهم لم يقرُّوا أنَّهُ نبيُّ الله، ولم يُقِرُّوا ببسمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وحالوا بينهم وبين البيتِ» [(٤)].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنت

---

(١) حتىٰ بَرَد: أي حتىٰ مات.

(٢) ويل أمه مسعر حرب: ويل أمه كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنىٰ ما فيها من الذم، مسعر حرب: أي من يسعرها كأنه يصفه بالإقدام في الحرب.

(٣) سيف البحر: أي ساحله.

(٤) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٧٣٢)، ومسلم مقطعًا في (١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥).

على جَمَلٍ ثَفَالٍ[١] إنمَا هو في آخر القوم، فمرَّ بي النَّبيُّ ﷺ فقال: «**منْ هذا؟**» قلتُ جابر بن عبد الله. قال: «**مالك؟**» قلتُ: إنِّي على جملٍ ثفالٍ. قال: «**أمَعَك قضيبٌ؟**» قلتُ: نعم. قال: «**أعطنِيهِ**»، فأعطيْتُهُ فضربه فَزَجَرَهُ، فكان من ذلك المكان من أوَّل القوم. قال: «**بِعْنِيه**»، فقلت: بل هو لك يا رسول الله. قال: «**بل بعْنِيهِ. قد أخذْتُهُ بأربعةِ دنانير ولك ظهْرُهُ[٢] إلى المدينة**». فلمَّا دنوْنَا من المدينة أخذتُ أرتحلُ، قال: «**أين تريد؟**» قلت: تزوَّجتُ امرأةً قد خَلا منها. قال: «**فهلَّا جاريةً تُلاعبُها وتُلاعِبُك؟**». قلت: إنَّ أبي توفِّي وترك بناتٍ فأردتُ أن أنْكِحَ امرأةً قد جرَّبتْ، خلا منها، قال: «**فذلك**». فلمَّا قدمْنَا المدينة قال: «**يا بلال اقْضِهِ، وزِدْهُ**». فأعطاهُ أربعة دنانير وزادهُ قيراطًا. قال جابرٌ: لا تُفارقُني زيادةُ رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراطُ يُفارِقُ جِرَابَ جابرٍ بن عبد الله»[٣].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: ابتاع رسولُ الله ﷺ من رجلٍ من الأعراب جَزُورًا[٤] أو جزائر بوسقٍ من تمر الذُّخرةِ - وتمْرُ الذُّخْرة العجْوَةُ- فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: «**يا عبد الله! إنَّا قد ابْتعْنَا منك جَزُورًا أو جزائِرَ بوسْقٍ من تمر الذُّخْرَةِ فالتمسْنَاهُ فلم نَجِدْهُ**»، قال: فقال الأعرابيُّ:

---

(١) جمل ثفال: أي بطيء السير.

(٢) ولك ظهره إلى المدينة: أي تركبه إلى المدينة.

(٣) رواه البخاري (٤/ ٢٣٠٩).

(٤) الجَزور -بفتح الجيم- البعير ذكرًا كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة، والجمع جُزُر -بضمتين- وجزائر.

وا غدْرَاهُ، قالت: فنهمَهُ[١] الناسُ وقالوا: قاتلَكَ الله، أيَغْدِرُ رسولُ الله ﷺ؟ قالتْ: فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لصاحِبِ الحقِّ مقَالًا**»، ثمَّ عادَ له رسولُ الله ﷺ فقال: «**يا عبد الله إنَّا ابتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ ونحنُ نَظُنُّ أنَّ عنْدنا ما سَمَّيْنَا لكَ، فالتَمَسْنَاهُ فلم نَجِدْهُ**»، فقال الأعرابيُّ: وا غدْرَاهُ، فَنَهَمَهُ الناسُ، وقالوا: قاتلَكَ الله، أيَغْدِرُ رسول الله ﷺ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**»، فرَدَّدَ ذلك رَسُولُ الله ﷺ مرتين أو ثلاثًا، فلمَّا رآهُ لا يفْقَهُ عنه قال لرجلٍ من أصحابِهِ: «**اذهبْ إلى خُوَيْلَةَ بنت حكيم بن أميَّة فقل لها: رسولُ الله ﷺ يقولُ لكِ: إنْ كان عندك وسْقٌ من تمرٍ فأسلِفِيناهُ حتَّى نُؤَدِّيَهُ إليك إنْ شاء الله**» فذهب إليها الرَّجُلُ، ثمَّ رجع الرجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله فابْعَثْ من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرَّجُل: «**اذهبْ به فَأَوْفِهِ الذي له**» قال: فذهب به فأوفاهُ الذي له. قالت: فمرَّ الأعرابيُّ برسولِ الله ﷺ وهو جالسٌ في أصحابِهِ فقال: جزَاكَ الله خيرًا. فقدْ أوْفيت وأطيبْتَ. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**أولئكَ خِيَارُ عِبَادِ الله عندَ الله المُوفُونَ المُطَيِّبُونَ**»[٢].

• عن أبي رافع رضي الله عنه قال بعثتني قَرَيشٌ إلى رسولِ الله ﷺ فلمَّا رأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلْقِيَ في قلبي الإسلامُ. فقلتُ: يا رسول الله إنِّي والله لا أرْجِعُ إليهم أبدًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي لا أَخِيسُ بالعهْدِ**[٣]، **ولا**

---

(١) فنهمه الناس، أي: زجروه.

(٢) رواه أحمد (٦/٢٦٨) واللفظ له، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/١٤٠٠): «إسناد أحمد صحيح».

(٣) لا أخيس العهد: أي لا أنقضه.

أَحْبِسُ البُرُدَ، ولكن ارْجِعْ، فَإِنْ كان في نفسكَ، الذي في نَفْسِكَ الآنَ، فَارْجِعْ» قال: فذهبْتُ، ثمَّ أتيْتُ النبيَّ ﷺ، فأسْلَمْتُ[(١)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينمَا يهوديٌّ يعرضُ سلعته، أعطي بها شيئًا كرههُ، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجلٌ من الأنصار، فقام فلطَمَ وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشرِ، والنَّبيُّ ﷺ بين أظْهُرِنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إنَّ لي ذِمَّةً وعَهْدًا، فمَا بالُ فلانٍ لطَم وجْهِي؟ فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى رُؤِيَ في وجهه، ثم قال: «لا تُفَضِّلُوا بينَ أولياءِ الله، فإنَّهُ يُنْفَخُ في الصُّورِ فيُصْعَقُ مَنْ في السمـاوَاتِ ومن في الأرض إلَّا من شاء اللهُ، ثمَّ يُنفخُ فيه أخرى فأكونُ أوَّلَ منْ بُعِثَ، فإذا مُوسى آخِذٌ بالعرشِ، فلا أدْرِي أَحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يومَ الطُّورِ، أمْ بُعِثَ قَبلِي»[(٢)].

ومن تعظيم النبي للوفاء فإنه ﷺ شدّد وغلّظ في عقوبة من آذى ذميًّا -أي معاهدًا من أهل الكتاب- أو قتله:

• فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «مَن قَتَل مُعَاهَدًا لم يَرَحْ [(٣)] رائحةَ الجنَّة، وإنَّ ريحَها يُوجَد من مسيرة أربعين عامًا»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨)، وأحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي رافع، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٧٠٢)، و«صحيح الجامع» (٢٥١٠).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٤١٤).

(٣) لم يَرَح: أي لم يجد ريحَها ولم يشمُّها.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، وأحمد والنسائي إلا أنه قال: «من قتل قتيلاً من أهل =

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قَتَل مُعاهَدًا في غير كُنْهِهِ**[(١)]**، حَرَّمَ الله عليه الجنَّة**»[(٢)].

• وفي رواية للنسائي قال: «**مَن قتل رَجُلًا من أهل الذِّمَّة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا**»[(٣)].

• ورواه ابن حبّان في «صحيحه» ولفظه قال: «**من قتل نفسًا مُعاهَدَة بغير حقِّها لَمَ يَرَحْ رائحة الجنَّة، وإن ريح الجنة لتُوجَد من مسيرة مئة عام**».

• وعن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل نَفْسًا مُعَاهَدَة بغير حِلِّها، حَرَّم الله عليه الجنَّة أن يشمَّ ريحها**»[(٤)].

وانظر إلى وفاء النبي ﷺ لِكافِرٍ:

□ قال ابن إسحاق في ذكر يوم بدر: «نَهَى رسولُ الله ﷺ عن قَتل أبي البَخْتريِّ؛ لأنه كانَ أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يُؤذيه ولا يَبْلُغُه عنه شيءٍ يَكْرَهُه، وكان مِمَّن قام في نقض الصحيفة، فَلَقِيَه المُجَذَّرُ بن ذِيادٍ البَلَوِي حليف الأنصار فقال له: إنَّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلِك، ومع أبي البَخْتَرِيِّ زميلٌ له خرج معه من مَكَّة وهو جُنادة

الذِّمَّة» ورواه ابن ماجه.

(١) أي في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي والدارمي، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي عن رجل، وكذا رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٥٨).



ابن مُلَيْحة، وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له المجَذَّرُ: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلَّا بِكَ وحدَك. قال: لا والله، إذًا لأمُوتَنَّ أنا وهو جميعًا لا يتحدَّث عني نساء مكة أنِّي تركت زميلي حِرْصًا على الحياة. وقال ابن البختري وهو ينازل المجذر:

لـن يُـسْلِمَ ابـنُ حُـرَّةٍ زميلَـهُ ... حتـى يمـوت أو يـرى سـبيله

قال: فاقتتلا، فقتله المجذّر بن زياد..

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحقِّ، لقد جهدتُ عليه أن يَسْتأثِر فآتيك به، فأبَى إلَّا أن يقاتلني، فقاتَلْتُه فقتَلْتُه»[١].

وفاء رسول الله ﷺ لمطعم بن عدي المقتول على الكفر في يوم بدر:

كان مطعم بن عَدِي من أشراف قريش، وكان رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، ولقي من ثقيف منكر القول والفِعل، وطلب النبي ﷺ جوار بعض رؤساء مكة، فأبوْا، فأجاره مطعم بن عدي.

فلمَّا كانت وقعة بدر بعد ذلك، ودارت الدائرة على قريش، وقُتِل نفرٌ من صناديدها، كان بين القتلى مُطعم بن عدي، وفيه يقول حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ:

أيا عينُ فابكي سيدَ القومِ واسفَحي ... بدمعٍ وإن أنزفتِه فاسكبي الدّما

وبَكِّي عظيمَ المَشْعَرين كليهمـا ... على النَّاس معروف لهُ ما تكلَّما

فلو كان مجدٌ يُخْلِد الدَّهرَ واحدًا ... من الناس أبقى مجدُهُ اليومَ مطعما

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٩، ٦٣٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٤٥٠) حوادث السَّنَة الثانية.

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لبّى مُلَبٍّ وأحرما
فلو سُئِلت عنه مَعَدّ بأسرها ... وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرهُما
لقالوا هو الموفي بجيرةِ جارهِ ... وذمّتهِ يومًا إذا ما تذمّمَا
فما تطلع الشمسُ المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعزَّ وأكرما
إباءً إذا يأبى وأكرم شيمة ... وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلَمَا

ذلكم رثاء حسان لرجل من المشركين، مات يحارب محمدًا ﷺ وصحبه، يستمع إليه صاحب الدعوة، ويسرُّه أن يرى المسلمين يرددونه.

• وفي الحديث: «**لو كان المطعم حَيًّا، ثم كَلَّمني في هؤلاء النتنى** – يعني أسارى بدر – **لتركتهم**».

فأيُ وفاءٍ فوق هذا؟! يصل إلى أعلى ما تصل إليه الرجولة والإنسانية الكاملة، فيرثي المروءة في عدو هو أحد صرعاه في القتال؟ ذلكم هو الوفاء الذي عَلَا فوق كُلِّ شيء.

رسول الله ﷺ يكرم قبيلة ظالمة مغلوبة وفاءً لمرضعته حليمة السعديَّة:

وبعد وقعة حُنين، وفيها كادت هوازن [1] تقضي على الإسلام لولا ثباته ﷺ، جاءه وفد منها، وهي الباغية المستكبرة، تطلب العفو عن أسراها، فماذا وجدت لتحرك به رحمته، وتستثير شفقته؟ لا شيء، فليس أشدّ سوادًا من ماضيها معه، ولكنها وجدت في وفائه ملجأها ومنتهاها، فقال رجل منهم: يا محمد، إن في الحظائر مرضعاتك وحواضنك، ولو

(١) غزا رسول الله ﷺ هوازن بوادي حُنين بعد فتح مكة. ومنازل هوازن في نجد مما يلي اليمن.

أنا ملحنا [١] للنعمَان بن المنذر أو الحارث بن أبي شِمر الغساني، ثم نزل منا مثل الذي نزلت، رجونا عطفه وعائدته علينا. فقال ﷺ: «**أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**»، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وبذلك ردّ على هوازن آلاف الأسرى. تلك هي النفس الوفية، التي تكرم أمة ظالمة مغلوبة وفاءً للبن الذي رضعته فيها، فهل للناس وقد عفا فيهم أثر المعروف أن يتذكروا؟.

وفاؤه ﷺ لأم المؤمنين خديجة بعد موتها رضي الله عنها:

بأبي وأمي رسول الله ﷺ ما كان أعظم وفائه لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعد موتها: «كان إذا ذبح الشاة يقولُ: أرسلوا بها إلى أصدقاءِ خديجة» [٢].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غِرْتُ على امرأة للنبي ﷺ ما غِرْت على خديجة هَلَكَتْ [٣] قبل أن يتزوَّجني لمَا كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يُبَشِّرَها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشَّاة فيُهْدِي في خلائلها منها ما يسعهن» [٤].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غِرْتُ على نساء النبي ﷺ إلَّا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول:

---

(١) أي: أرْضَعْنَا.

(٢) رواه مسلم عن عائشة.

(٣) أي: ماتت. وقد سبق التنبيه على أن هذه الكلمة لا بأس بها.

(٤) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، وأحمد (٦/ ٥٨ و٢٠٢)، والترمذي (٣٨٧٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رُزِقت حُبَّها»[١].

• وعن عائشة ﵂ قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة ﵂ على رسول الله ﷺ فعَرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فَغِرْتُ فقلتُ: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشَّدقيْن هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرًا منها»[٢].

قال: «ما أبدلني الله خيرًا منها؛ وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء..!».

• وعن عائشة ﵂ قالت: دخلت امرأة سوداءُ على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أقبَلتَ على هذه السوداء هذا الإقبال. فقال: «إنها كانت تدخُلُ على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمَـان».

وفاء النبي ﷺ للأنصار ﵃:

• عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ: «**الأنصار كَرِشي وعَيْبتي، والناس سيكثرون ويقلُّون فاقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**»[٣].

• وعن أبي قتادة ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر

---

(١) رواه مسلم (ص١٨٨٨)، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٢٢٩) و(٦٠٠٤)، وأخرجه الترمذي (٢٠١٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) رواه مسلم (٢٤٣٧)، والبخاري مُعَلَّقًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠)، والترمذي (٣٩٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في «الفضائل» (٢٢٠).

للأنصار: «**ألا إن الناس دثاري، والأنصارُ شعاري، لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار شعبة لاتبعت شعبة الأنصار، ولولا الهجرة لكنت رَجُلًا من الأنصار، فمن ولي من الأنصار فليُحسِن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ومَن أفزعهم، فقد أفزع هذا الذي بيْن هاتيْن**» وأشار إلى نفسه ﷺ [(١)].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا [(٢)]. فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر – ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي** [(٣)]، **وقد قضُّوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٧٩) وقال: «هذا صحيح الإسناد» ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: «صحيح».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢١): قوله: «ذكرنا مجلس النبي ﷺ» أي: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حُزنًا علىٰ فوات ذلك».

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢١): قوله: «كرشي وعيبتي» أي بطانتي وخاصَّتي. قال القزّاز: ضرب المثل بالكرشي لأنه مستقرّ غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة أيْ عيال كثيرة، والعَيْبة بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، ويريد أنهم موضع سرِّه وأمانته. قال ابن دُرَيْد: هذا من كلامه ﷺ المُوجَز الذي لم يُسبَق إليه، وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبية مستودع الثياب والأول أمرٌ باطن والثاني أمرٌ ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، والأوّلُ أولىٰ، وكلٌّ مِن الأمْرَين مستودع لما يخفىٰ فيه.

محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[١].

• ثم انظروا أخيرًا إلى مقام الوفاء من نفسه ﷺ، وهو يقول يوم أحد حين أمر بدفن القتلى: «**انظروا إلى عمرو ابن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافييْن في الدنيا، فاجعلوهما في قبرٍ واحد**»[٢].

▫ وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، وأنا يومئذٍ غلام أحمل عضو البعير، فأتته امرأة فبسط لها رداءها. قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمه التي أرضعته»[٣].

وفاء الصِّدِّيق رضي الله عنه للنبي ﷺ:

▫ عن أبي جُحيفَة رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ أبيض قدْ شاب، وكان الحسن بن عليٍّ يُشْبِهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلُوصًا، فذهبنا نقْبِضُها فأتانا موْته فلم يُعْطونا شيئًا، فلمَّا قام أبو بكرٍ قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليجيءْ، فقُمْتُ إليه فأخبرته، فأمر لنا بها»[٤].

▫ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ قال لي: لوْ قدْ جاءَنا مالُ البحْرين قدْ أعطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا. فلمَّا قُبض رسولُ الله ﷺ وجاءَ مالُ البحْرَيْن قال أبو بكرٍ: منْ كانت له عندَ رسولِ الله ﷺ عدةٌ فليأتني، فأتيتُهُ فقلت: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءَنا مالُ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي في «الفضائل» (٢٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٢٦٥).

(٣) البخاري في «الأدب المفرد».

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٢٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وأصله عند البخاري (٣٥٤٤)، ومسلم (٢٣٤٢).

البحرين لأعْطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا. فقال لي: احْثُهُ. فحَثَوْتُ حَثْيَةً. فقال لي: عدَّهَا. فعددتُها، فإذا هي خمسمئةٍ، فأعطاني ألفًا وخمسمئة»[١].

وفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

□ عن عمرو بن ميمُونٍ الأوْدِيِّ؛ قال: رأيت عمر بن الخطَّابِ رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر، اذهبْ إلى أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأُ عمرُ بن الخطَّابِ عليك السلام، ثمَّ سَلْهَا أنْ أُدْفنَ مع صاحبيَّ. قالت: كنتُ أريدُهُ لنفسي، فلأُوثِرَنَّهُ اليوم على نفسي. فلمَّا أقبل: قال له: ما لديك؟ قال: أذنتْ لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك المضْجَعِ، فإذا قُبضْتُ فاحْمِلُوني، ثمَّ سَلِّمُوا، ثم قل: يستأذنُ عمرُ ابن الخطَّابِ، فإنْ أذنتْ لي فادفنوني، وإلَّا فرُدُّوني إلى مقابر المسلمين، إنِّي لا أعلم أحدًا أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاءِ النَّفَرِ الذين توفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمنِ استخْلَفُوا بعدي فهو الخليفةَ فاسمَعُوا له وأطيعُوا فسَمَّى عثمَان وعليًّا وطلحةَ والزُّبيرَ وعبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقاصٍ. وولجَ عليه شابٌّ من الأنصارِ فقال: أبشرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرى الله: كان لك من القدمِ في الإسلام ما قد علمتَ، ثمَّ استُخْلِفْتَ فعدلت، ثمَّ الشَّهادةُ بعد هذا كلِّهِ. قال: ليْتَني يا ابن أخي، وذلك كفافًا لا عليَّ ولا لي. أُوصي الخليفةَ من بعدي بالمُهاجرينَ الأوَّلين خيرًا، أنْ يعرفَ لهم حقَّهُمْ، وأن يحفظ لهم حرْمَتَهُمْ وأُوصيه بالأنصارِ خيرًا، الذين تبوَّءُوا الدار والإيمَان أن يقبل من محسنهم، ويُعْفَى عن مُسيئِهِمْ. وأوصيه بذِمَّةِ الله وذمَّة رسولِهِ ﷺ أن يُوفَّى لهم

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣١٦٤) وهذا لفظه، ومسلم (٢٣١٤).

بعهدهم، وأنْ يُقَاتَلَ منْ ورائهم، وأنْ لا يُكَلَّفُوا فوق طاقتهم»[١].

□ عن معدانَ [٢] بن أبي طلحة اليَعْمُرِيِّ: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قام على المنبرِ يوم الجمعة فحمدَ الله وأثنَى عليه، ثمَّ ذكر رسول الله ﷺ، وذكر أبا بكرٍ، ثم قال: «رأيتُ رُؤْيا لا أراها إلَّا لحضورِ أجلي، رأيتُ كأنَّ دِيكًا نقرني نقرتين، قال: وذكر لي أنَّه دِيكٌ أحمرُ، فقصصْتُهَا على أسمَاءَ بنت عُمَيْسٍ امرأةِ أبي بكرٍ، فقالت: يقتلكَ رجلٌ من العجم، قال: وإنَّ الناس يأمُرُونَنِي أنْ أستخلف، وإنَّ الله لم يكن ليُضيع دينَهُ وخلافتَهُ التي بعث بها نبيَّهُ ﷺ، وإنْ يعْجلُ بي أمرٌ فإنَّ الشُّورى في هؤلاءِ السِّتَّةِ الذين مات نبيُّ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمن بايعتم منهم فاسمعُوا له وأطِيعُوا، وإنِّي أعلم أنَّ أُناسًا سيطْعَنُونَ في هذا الأمرِ، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلامِ، أولئك أعداءُ الله الكفَّارُ الضُّلَّالُ، وأيْمُ الله، ما أتْرُكُ فيمَا عهد إليَّ ربي فاستخْلَفَنِي شيئًا أهمَّ إليَّ من الكَلَالة [٣]، وأيْمُ الله ما أغلظَ لي نَبِيُّ الله ﷺ في شيءٍ منذ صحبْتُهُ أشدَّ ما أغْلظَ لي في شأنِ الكلالَةِ، حتَّى طَعَنَ بإصْبعه في صدْرِي، وقال: «**تكفيكَ آيةُ الصَّيْفِ** [٤]

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٣٩٢).

(٢) تحرفت في «المسند» بطبعته القديمة إلى «معبد» والصواب ما أثبتناه، وانظر «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٠٤).

(٣) الكلالة: أن يموت الرجل ولا يدع والدًا ولا ولدًا يرثانه، فإن كان له أخت فلها نصف ما ترك وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثنين.

(٤) الآية (١٧٦) من سورة النساء وهي قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.. إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾. وآية الصف: أيْ التي نزلت في الصف.

التي نزلتْ في آخر سُورةِ النِّساءِ» ، وإنّي إنْ أعشْ فسأقْضِي فيها بقضاءٍ يعلمُهُ منْ يقرأُ ومنْ لا يقرأُ، وإنِّي أشهدُ الله على أُمراءِ الأمصار، إنّي إنَّمَا بعثتهم ليعلموا الناس دينهم، ويُبيِّنُوا لهم سنَّة نبيِّهم ﷺ ويرفعُوا إليَّ ما عُمِّي عليهم، ثمَّ إنكم أيها الناسُ تأكلون من شجرتين لا أراهمَا إلَّا خبيثَتين، هذا الثوْمُ والبصلُ. وأيمْ الله لقد كنتُ أرى نبيَّ الله ﷺ يَجدْ ريحهمَا من الرجُلِ فيأمُرُ به فيُؤخذُ بيده فيُخْرَجُ به من المسجد حتى يُؤْتى به البقيع، فمنْ أكلهُمَا لا بدَّ فليُمِتْهمَا طبخًا، قال: فخطب الناس يوم الجمعةِ وأُصيبَ يوم الأربعاءِ»[1] .

□ عن أُبيِّ بن كعبٍ في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[2] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: جمعهم فجعلهم أرواحًا ثمَّ صوَّرَهم فاستنْطقهم فتكلَّمُوا، ثمَّ أخذ عليهم العهد والمِيثاقَ، وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربِّكُم. قال: فإنِّي أشهد عليكم السمَاواتِ السَّبْع، والأرضين السَّبْع، وأشهدُ عليكم أَباكُمْ آدم عليه السلام أنْ تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنَّهُ لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، فلا تشركوا بي شيئًا، إنِّي سأُرْسِلُ إليكم رسلي، يُذَكِّرُونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدْنَا بأنَّكَ ربُّنا وإلهُنَا، لا ربَّ لنا غيرك، فأقرُّوا بذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم، فرأى الغنيَّ والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: ربِّ لولا سوَّيْتَ بين عبادكَ، قال:

---

(١) أحمد (١/ ١٥) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ١٩٢): «إسناده صحيح».

(٢) هكذا وردت في «مسند أحمد»، وفي رواية حفص ﴿ذُرِّيَّتَهم﴾ الآية ١٧ من سورة الأعراف.

إنِّي أحببْتُ أن أشكر. ورأى الأنبياءَ فيهم مثل السُّرُج عليه النُّورُ، خُصُّوا بمِيثَاقٍ آخر في الرِّسالة والنُّبُوة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ .. إلى قوله: ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] كان في تلك الأرواحِ فأرْسَلهُ إلى مريمَ»[١].

حَضُّ عثمانَ على الوفاء:

□ «كتب عثمَان رضي الله عنه إلى عماله وولاته عقب توليته الخلافة هذا الكتاب: أمّا بعد فإن الله خلق الخلق بالحق، خذوا الحق، وأعطوا الحق، والأمانةَ الأمانةَ قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم، الوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المَعاهد، فإن الله خصم من ظلمهم»[٢].

□ إن الوفاء ليست كلمة مهملة لا معنى لها، أو ميّتة لا روح فيها، إنمَا الوفاء رَحْبُ المعاني، واسع الدلالة، وصلة وشيجةٌ بمكارم الأخلاق كلها، وشعب الإيمَان بتمامها.

الوفاء للعلم أولى من الوفاء للصحبة:

□ اعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيمَا يخالف الحق في أمرٍ يتعلَّق بالدين، بل الوفاء له المخالفة، فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد ابن عبد الحكم، وكان يقرّبه، ويُقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتلّ محمد، فعاده الشافعي رحمه الله فقال:

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه (٥/ ١٣٥)، ورواه ابن أبي حاتم، وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية ابن جعفر الرازي به.

(٢) «الوفاء» (ص١٣٢).

مـــرض الحبيـــبُ فعدتُـــه فمرضـتُ مـن حـذري عليـه
وأتـــى الحبيـــبُ يعـــودني فبرئـــتُ مِـــن نظـــري إليـــه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علّته التي مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم – وهو عند رأسه- ليومئ إليه، فقال الشافعي: سبحان الله! أيشكّ في هذا أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي، مع أن محمدًا كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين، وترك المداهنة، وآثر رضا الله تعالى.

فلمَّا توفي الشافعي انقلب محمد بن عبد الحكيم عن مذهبه، ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك، وآثر البويطي الزهد والخمول، ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة، وصنف كتاب الأم، الذي ينسب الآن إلى الربيع ابن سليمَان، ويعرف به، وإنمَا صنفه البويطي، ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه، وأظهره.

والمقصود أنَّ الوفاء بالمحبة من تمَامها النصح لله.

الوفاء:

□ قال الأحنف: «الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير.

□ ومن آثار الصدق والإخلاص وتمَام الوفاء: أن تكون شديد

الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها، كمَا قيل:

وجدت مصيبات الزمـان جميعهـا سوى فرقة الأحباب هيِّنة الخطب»

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: «لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إليّ أنّ حسرتهم ذهبت من قلبي».

□ ومن الوفاء: ألا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا سيمَا من يظهر أولًا أنه محب لصديقه – كيلا يتهم- ثم يلقي الكلام عرضًا، وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب، ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلًا.

□ قال واحد لحكيم: «قد جئت خاطبًا لمودّتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا فعلت، قال: وما هي؟ قال: لا تسمعْ عليّ بلاغة، ولا تخالفني في أمري، ولا توطئني عشوةً.

□ ومن الوفاء: ألا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي رحمه الله: «إذا أطاع صديقُك عدوّك فقد اشتركا في عداوتك».

أخي: كن سموْأل الإسلام في وفائك لربك وللخلق:

□ ممَّا أسفرتْ عنه وجوه الأوراق، وأخبرت به الثِّقات في الآفاقِ، وظهرتْ روايته بالشام والعراق، وضرب به الأمثال في الوفاءِ بالاتِّفَاقِ، حديث السموأل بن عاديا، وتلخيص معناه أنَّ امرأَ القيسِ الكنديَّ، لمَا أراد المُضيَّ إلى قيصر ملك الرُّوم، أودع عند السَّموْأل دروعًا وسلاحًا، وأمتعةً تساوي من المَال جملةً كثيرةً. فلمَّا مات امرُؤُ القيسِ أرسل ملك كنْدَةَ يطلبُ الدُّرُوع والأسلحةَ المُودعةَ عند السَّموأل. فقال السموأل: لا أدفعها إلَّا لمستحقِّهَا. وأبى أنْ يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده فأبى، وقال:

لا أغدرُ بذمَّتي، ولا أخُونُ أمانتي، ولا أتركُ الوفاءَ الواجب عليَّ. فقصدهُ ذلك الملكُ من كندة بعسكره فدخل السَّموأل في حصنه، وامتنع به. فحاصرهُ ذلك الملك، وكان ولدُ السموأل خارج الحصنِ فظفر به ذلك الملكُ وكان ولدُ السموأل خارج الحصن فظفرَ به ذلك الملك فأخذهُ أسيرًا ثمَّ طاف حول الحصن وصاح بالسموألِ. فأشرف عليه من أعلى الحصن. فلمَّا رآهُ قال له: إنَّ ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإنْ سلمت إلى الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلتُ عنك وسلَمْتُ إليك ولدك، وإن امتنعْتَ من ذلك ذَبحْتُ ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهُمَا شئتَ. فقال له السموألُ: ما كنتُ لأخفرَ ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئْتَ. فذبحَ ولدهُ وهوينظرُ. ثمَّ لمَّا عجَزَ عن الحصْنِ رجع خائبًا، واحْتَسَبَ السَّموأل ذبحَ ولدِهِ وصَبرَ، محافظةً على وفائهِ. فلمَّا جاء الموسم وحضر ورثَةُ امريءِ القيس سلَّم إليهم الدُّروعَ والسِّلاحَ. ورأى حفظَ ذمامِهِ ورعاية وفائه أحبَّ إليه من حياة ولدهِ وبقائهِ. صارتِ الأمثالُ في الوفاءِ تضربُ بالسموألِ، وإذا مدحُوا أهل الوفاء في الأنام ذُكِرَ السموألُ في الأولِ»[1].

✍ **أخي:** أعجزت وأنت المسلم فيك كل معاني النور، أن تكون كالسموأل في وفائه، وأعْلَى منه مرتبة وفائك لعهدك مع ربك، ومع رسولك ﷺ.. ولإسلامك؟!

وفَيْـــتْ بـــأَدْرُعِ الكِنْـــدشيِّ إني	**إذا مـــا خَـــانَ أَقْـــوامٌ وَفَيْـــتُ**
وقَـــالُوا: إنـــه كَنْـــزٌ رَغيـــبٌ،	**وَلَا - والله - أغْـــدِرُ مَـــا مَـــشَيْتُ**

(١) «المستطرف» (١/ ٢٨٩).

بنَـى لي عَاديًـا حِـصْنًا حَـصِينًا ... وَبِئْـرًا كُلَّـمَا شِـئْتُ اسْـتَقَيْتُ
طِمِـرًّا تَزْلَـقُ العِقْبَـانُ عَنْـهُ ... إذَا مَـا نَـابَني ظُلْـمٌ أَبَيْـتُ

□ وقال الأعشى في ذلك:

شريحُ لا تَترُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ... حِبَالُكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أظْفَارِي
كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طَافَ الهُمَامُ بِـهِ ... في جَحْفَـلٍ كَسَوَادِ اللَّيْـلِ جَـرَّارِ
بالأَبْلَقِ الفَـرْدِ مِـنْ تَيْمَـاءَ مَنْزِلُـهُ ... حِصْنٌ حصِينٌ وَجَـارٌ غَـيرُ غَـدَّارِ
إذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَـالَ لَـهُ ... مَهْمَا تَقُلْـهُ فَـإني سَـامِعٌ حَـارِ[1]
فَقَالَ: غَدْرٌ وَثَكْـلٌ أنْتَ بَينَهُمَـا ... فَـاخْتر، وَمَـا فِـيهمَا حـظٌّ لمخْتَـارِ
فَـشَكَّ غَـيْرَ طَويـلٍ ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ: ... اذْبَحْ أَسِـيرَكَ إني مَـانِعٌ جَـاري
هـذَا لَـهُ خَلَـفٌ إن كُنـتَ قَاتِلَـهُ ... وإنْ قَتَلْـتَ كَـريمًا غَـيْرَ خَـوَّارِ
فَقَـالَ تَقْدِمَـةً إذْ قَـامَ يَقْتُلُـهُ: ... أَشْرِفْ سَمَوْأَلُ فَانْظرْ لِلدَّمِ الجاري
أَأَقْتُـلُ ابْنَـكَ صـبرًا أوْ تَجِـيءَ بِـهِ ... طَوعًـا؟ فـأنْكَرَ هـذا أيَّ إنْكَـارِ
فشَكَّ أَوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ في مَضضٍ ... عَلَيْـهِ مُنْطَويًـا كاللَّـذْعِ بِالنَّـارِ
وَاخْتَارَ أدْرَاعَـهُ أنْ ألا يُـسَبَّ بهَـا ... ولَمْ يَكُـنْ عَهْـدُهُ في غَـيرِ مختـارِ
وَقَـالَ: لَا أَشْـتَري عَـارًا بِمَكْرُمَـةٍ ... فاخْتَارَ مَكْرُمَـةَ الـدُّنْيا عَـلَى العَـارِ
وَالـصَّبْرُ مِنْـهُ قَـدِيمًا شِـيمةٌ خُلُـقٌ ... وَزَنْدُهُ في الوفَاء الثَّاقِبُ الوَارِي[2]

---

(١) أي: يا حارث.
(٢) «الوفاء» (ص٩٠ - ٩٢).

وفاء الطائي الجاهلي خذ منه العِظة وعلوَّ الهمة:

الوفاءُ بالعهدِ وَرِعاية الذِّمَم نُقِل فيه من عجائب الوقائع، وغرائبِ البدائعِ، ما يُطربُ السَّمَاع، ويُشَنِّفُ المسامع، كقضية الطائيِّ وشريكٍ، نديمي النُّعمَان بن المنذر. وتلخيصُ معناها أن النُّعمّانَ كان قد جعل له يومين: يوم بُؤسٍ، من صادفهُ فيه قتلهُ وأرادهُ، ويوم نعيمٍ، من لقيهُ فيه أحسن إليه وأَغْنَاهُ، وكان هذا الطَّائِيُّ قد رماهُ حادثُ دهْره بسهام فاقته وفقره، فأخرجته الفاقة من محلِّ استقراره ليرتاد شيئًا لصبْيته وصغاره، فبينمَا هو كذلك إذ صادفهُ النُّعمَانُ في يوم بُؤسه، فلمَّا رآهُ الطائيُّ علم أَنَّهُ مقتُولٌ وأنَّ دَمَهُ مطلولٌ. فقال: حيَّا الله الملك إنَّ لي صبيةً صغارًا، وأهلًا جياعًا، وقد أرقْتُ ماءَ وجْهي في حصول شيءٍ من البُلغةِ لهم، وقد أقدمني سوءُ الحظِّ على الملكِ في هذا اليوم العبُوسِ، وقد قرُبْتُ من مقرِّ الصِّبْية والأهلِ وهمْ على شفا تلفٍ من الطَّوَى، ولن يتفاوت الحالُ في قتلي بين أول النَهار وآخره، فإنْ رأى الملكُ أنْ يأذن لي في أنْ أُوصِّلَ إليهم هذا القُوتَ وأوصِيَ بهم أهل المرُوءَةِ من الحيِّ، لئلَّا يهْلِكُوا ضياعًا ثُمَّ أعُودَ إلى الملك وأُسلِّمَ نفسي لنَفَاذِ أمْرِهِ. فلمَّا سمعَ النُّعْمَانُ صورة مقاله، وفهم حقيقة حاله، ورأى تلهُّفَهُ على ضياع أطفاله، رَقَّ له ورَثَى لحاله، غير أنَّه قال له: لا آذنُ لك حتَّى يضْمَنَكَ رجلٌ معنا، فإنْ لم ترجعْ قتلناهُ، وكان شريكُ بن عديٍّ بن شُرحبيل نديمُ النُّعمَانِ معه فالتفتَ الطائيُّ إلى شريكٍ وقال له:

يَـا شَرِيـكَ بْـنَ عَـدِيٍّ	مَـا مِـنَ المَـوْتِ انْهِـزَامْ
مَـنْ لأَطْفَـالِ ضِـعَافٍ	عَـدِمُوا طَعْـمَ الطَّعَـامْ

بَــيْنَ جُــوعٍ وَانْتِظَــارٍ وَافْتِقَــارٍ وَسِــقَامْ
يَــا أَخَــا كُــلِّ كَــرِيمٍ أَنْــتَ مِــنْ قَــوْمٍ كِـرَامْ
يَا أَخَـا النُّعْمَــانِ جُـد لِي بِــضَمَـانٍ وَالْتِــزَامْ
وَلَـــكَ اللهُ بِـــأَنِّي رَاجِــعٌ قَبْـلَ الظَّــلَامْ

فقال شريك بن عديٍّ: أصلح الله الملك، عليَّ ضمَانهُ، فمرَّ الطائي مسرعًا، وصار النعمَانُ يقول لشريكٍ: إنَّ صدر النهارِ قد ولَّى، ولم يرجع، وشريكٌ يقول: ليس للملكِ عليَّ سبيلٌ حتى يأتيَ المساءُ، فلمَّا قرب المساءُ، قال النعمَان لشريكٍ: قد جاء وقتك قم فتأهَّبْ للقتل، فقال شريكٌ: هذا شخصٌ قد لاح مقبلًا، وأرجو أن يكون الطائيَّ، فإنْ لم يكن فأمرُ الملك ممتثلٌ، قال: فبينمَا هم كذلك وإذ بالطائيِّ قد اشتدَّ في عدوه وسيره مُسْرعًا، حتى وصل، فقال: خشيتُ أنْ ينقضيَ النهارُ قبل وصولي، ثمَّ وقف قائمًا، وقال: أيُّها الملكُ، مُرْ بأمركَ فأطْرَقَ النُّعمَانُ ثم رفع رأسهُ وقال: والله ما رأيتُ أعجب منكُمَا، أمَّا أنتَ يا طائيُّ فمَا تركت لأحدٍ في الوفاءِ مقامًا يقوم فيه، ولا ذكرًا يفْتَخِرُ به، وأمَّا أنت يا شريكُ فمَا تركْتَ لكريمٍ سمَاحةً يُذْكَرُ بها في الكرماءِ، فلا أكونُ أنا ألأَمَ الثلاثةِ، ألا وإني قد رفعتُ يوم بُؤسي عن النَّاس، ونقضْتُ عادَتِي، كرامَةً لوفاءِ الطائيِّ وكرم شريكٍ. فقال الطَّائيُّ:

وَلَقَـدْ دَعَتْنِـي لِلْخِـلَافِ عَـشِيرَتِي فَعَـدَدْتُ قَــوْلَهُم مِــنَ الإِضْـلَالِ
إِنِّي امْــرِؤٌ مِنِّــي الوَفَــاءُ سَـجِيَّةٌ وَفَعَــالُ كُــلِّ مُهَــذَّب مفْــضَال

فقال له النُّعمَانُ: ما حملك على الوفاءِ وفيه إتلافُ نفسك، فقال:

ديني، فمنْ لا وفاء فيه لا دينَ له، فأحسنَ إليه النُّعْمَانُ ووصلهُ بمَا أغْنَاهُ وأعادَهُ مكرَّمًا إلى أهلِهِ وأنا له ما تمنَّاهُ»[١].

وفاء عبد الله بن طاهرٍ للخليفة المأمون:

ومن ذلك ما حُكِيَ أنَّ الخليفة المأمونَ، لمَّا ولَّى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشَّامَ، وأطلق حكمَهُ دخل على المأمُونِ بعض أخوانه يومًا فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ عبد الله بن طاهرٍ يميلُ إلى ولد أبي طالبٍ، وهواهُ مع العلويِّين، وكذلك كان أبوه قبله، فحصل عند المأمون شيءٌ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهرٍ، فتشوَّشَ فكرهُ وضاقَ صدرهُ، فاستحضر شخصًا وجعله في زيِّ الزُّهَّاد، والنُّسَّاك الغزاة ودسَّهُ إلى عبد الله بن طاهرٍ وقال له: امْضِ إلى مصر، وخالطْ أهلها، وداخلْ كُبراءها واستملهم إلى القاسمِ بن محمدٍ العلويِّ، واذكر مناقبه، ثمَّ بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهرٍ، ثم اجتمع بعبد الله بن طاهرٍ بعد ذلك وادْعُه إلى القاسم بن محمدٍ العلويِّ، واكشفْ باطنهُ، وابْحثْ عن دفين نيَّتِه وائتني بمَا تسمع. ففعل ذلك الرَّجُلُ ما أمرهُ به المأمون، وتوجَّه إلى مصرَ، ودعاجماعةً من أهلها، ثمَّ كتب ورقةً لطيفةً ودفعها إلى عبد الله بن طاهرٍ وقت ركوبه، فلمَّا نزل من الرُّكوب وجلس في مجلسه، خرج الحاجبُ إليه وأدخله على عبد الله بن طاهرٍ، وهو جالسٌ وحدهُ، فقال له: لقد فهمْتُ ما قصدتَهُ، فهات ما عندك فقال: ولي الأمانُ؟ قال: نعم فأظْهَرَ له ما أراده ودعاهُ إلى القاسم بن محمدٍ. فقال له عبد الله، أو تنصِفُني فيمَا أقواله لك؟ قال: نعم قال: فهل يجبُ شكر الناسِ بعضهم

---

(١) «المستطرف» (١/ ٢٨٧- ٢٨٨).

لبعضٍ عند الإحسانِ والمِنَّةِ؟ قال: نعم، قال: فيجبُ عليَّ وأنا في هذه الحالةِ التي تراها من الحكم والنِّعْمةِ، والولاية، ولي خاتمٌ في المشرق، وخاتمٌ في المغرب، وأمري فيمَا بينهمَا مطاعٌ، وقولي مقبولٌ. ثمَّ إني ألتفتُ يمينًا وشمَالًا فأرى نعمةَ هذا الرجل غامرةً، وإحسانهُ فائضًا عليَّ، أفتدعوني إلى الكفر بهذه النِّعمة، وتقول اغدر وجانب الوفاءَ، والله لو دعوْتَني إلى الجنَّة عيانًا لمَا غدرْتُ ولمَا نكثتُ بيعتَهُ، وتركْتُ الوفاءَ له. فسكتَ الرَّجُل فقال له عبد الله: والله، ما أخافُ إلَّا على نفسكَ. فارْحلْ من هذا البلد، فلمَّا يئسَ الرجل منه وكشف باطنهُ وسمع كلامه رجع إلى المأمون فأخبره بصورة الحال فسرَّهُ ذلك، وزاد في إحسانِهِ إليه، وضاعفَ إنْعَامَهُ عليهِ»[1].

وفاء امرأة مسلمة لزوجها بعد مماته:

□ قال رجل من بني أَسَدٍ: «أَضللْتُ إبلًا لي، فخرجتُ في طلبهنّ، فهبَطْتُ واديًا، إذا أنا بفتاةٍ أعشى نورُ وجهها نورَ بصري؛ فقالتْ لي: يا فتى، ما لي أراك مُدَلَّهًا - ساهي القلب ذاهل العقل - ؟فقلت: أضللْتُ إبلًا لي فأنا في طلبها؛ قالت: أفأَدُلُّكَ على من هي عنده، وإن شاء أعطاكها؟ قلتُ: نعم ولك أفضلُهنَّ. قالت: الذي أعطاكهن أخذهن وإن شاء رَدهُنَّ. فَسله مِن طريق اليقين لا من طريق الاختبار؛ فأعجبني ما رأيتُ من جمالها وحسن كلامها، فقلت: ألك بعل - زوج-؟ قالت: قد كان، وَدُعيَ فأجابَ، فأُعيدَ إلى ما خُلقَ منه. قلت: فما قولك في بعلٍ تُؤْمنُ بوائقُه - شروره وغوائله- ولا تُذَمُّ خلائقُه؟ فرفعت رأسها وتنفَّسَتْ

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٨٨).

وقالت:

كنَّا كغُصنين في أصلٍ غذاؤُهما ... ماءُ الجداول في رَوْضَاتِ جنَّاتِ
فاجتثَّ خيرَهما من جنب صاحبه ... دَهْرٌ يَكُرُّ بترحاتٍ وفرحَاتِ
وكان عاهدني إن خانني زَمَنٌ ... ألا يضاجِعَ أنثى بعد مَثْواتي
وكنت عاهدته إن خانه زَمَنٌ ... ألا أبوءَ ببعل طولَ محياتي
فلم نزل هكذا والوصلُ شيمتُنَا ... حتى تُوُفِّي قريبًا مُذْ سُنَيّاتِ
فاقبِضْ عِنانَكَ عمَّن ليس يردَعُه ... عن الوفاء خلافٌ بالتحيَّات»[١]

وفاء المرأة لزوجها جالبٌ للسعادة في بيتها، وهي بذلك خير النساء:

• قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فتُعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالِكَ، والدابّة تكون وطيئة [٢]، فتُلحِقُكَ بأصحابك، والدار تكون واسعةً كثيرة المرافِق، ومِن الشقاء: المرأة ترها فتسوؤك، وتحمِلُ لسانها عليك [٣]، وإنْ غِبْتَ عنها لم تأمنها على نفسها ومالِكَ، والدابة تكونُ قطوفًا [٤]، فإن ضربْتَها أتعبتك، وإنْ تركتها لم تُلْحِقُكَ بأصحابِك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»[٥].

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.
(٢) أي: مُذَلَّلَةً سريعة.
(٣) أي: بالقبيح من القول.
(٤) أي: متقاربة الخطا، بطيئة السير.
(٥) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» عن سعد، وحَسَّنه الألباني في «الصحيحة» =

• وقال رسول الله ﷺ: «خيرُ النساء مَنْ تسرُّك إذا أبْصرتَ، وتُطيعُك إذا أَمَرْتَ، وتحفظ غَيبَتَك في نفسِها ومَالِكَ»[(١)].

وفاء عَوْف بن مُحَلم:

كان من وفائه أن مَرْوان القَرَظِ بن زنباع غزا بكر ابن وائل، فَقَصُّوا أثَرَ جيشِه، فأسره رجلٌ منهم وهو لا يعرفه، فأتى به أمه، فلمَّا دخل عليها قالت له أمه: إنك لَتَخْتالُ بأسيرك كأنك جئت بمَرْوَان القرظ فقال لها مروان: وما تَرْتَجيْنَ من مروان؟ قالت: عظم فدائه، قال: وكم ترتجين من فِدائِه؟ قالت: مئة بعير، قال مروان: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعَةَ بنت عَوْف بن مُحلم.

وكان السبب في ذلك أن لَيْثَ بن مالك المسمى بالمنزوف ضَرِطًا لمَا مات أخذت بنو عَبْس فرسَه وسَلَبه، ثم مالوا إلى خِبائه فأخذوا أهلَه، وسلَبوا امرأته خُماعَةَ بنت عَوْف ابن مُحَلم، وكان الذي أصابها عَمْرو بن قاربٍ وذُؤَاب ابن أسماء، فسألها مروان القرظ: مَنْ أنتِ؟ فقالت: أنا خُماعة بنت عَوْف بن مُحَلم، فانتزعها من عمرو وذُؤَاب لأنه كان رئيسَ القوم، وقال لها: غَطِّي وجْهَك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردّك إلى أبيك، ووقع بينه وبين بني عبس شرّ بسببها.

ويقال: إن مروان قال لعمرو وذؤاب: حَكِّماني في خُماعة، قالا: قد حكَّمناك يا أبا صهبان! قال: فإني اشتريتها منكما بمئة من الإبل، وضَمَّها

(١٨٠٣)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٦).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨)، و«صحيح الجامع» (٣٢٩٩).

إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كِسْوَتها، وأخْدَمها، وأكرمَها، وَحَملها إلى عُكاظ، فلمَّا انتهى بها إلى منازل بني شيبان قال لها: هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فقالت: هذه منازل قومي، وهذه قُبَّةُ أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك، فانطلقت فخبّرت بصنيع مروان، فقال مروان فيمَا كان بينه وبين قومه في أمر خُماعة، ورَدّها إلى أبيها:

رددْتُ عَلَى عَوْفٍ خُماعَةَ بَعْدَ مَا ... خَلَاهَا ذُؤَابٌ غيرْ خَلْوَةِ خَاطِبِ

ولَوْ غَيْرُهَا كَانَتْ سَبيَّةَ رمحِهِ ... لَجَاءَ بِهَا مَقْرُونَةً بالذّوائب

وَلكنَّهُ ألقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ ... رَجَاءَ الثَّوَابِ أَوْ حِذَارَ العَوَاقِبِ

فَدَافَعْتُ عَنْهَا نَاشِبًا وَقَبِيلَهُ ... وَفَارِسَ يَعْبُوبٍ وَعَمْرَو بْنَ قَارِبِ

فَفَادَيْتُهَا لَمَّا تعيَّنَ نصفها ... بكومِ المتَالِيَ وَالعِشَارِ الضَّوَارِبِ

صُهَابِيَّةٍ حُمْرِ العَثَانِينِ وَالذُّرَى ... مَهَارِيسَ أمْثَالِ الصُّخُورِ مَصَاعِبِ

في أبيات مع هذه؛ فكانت هذه يدًا لمروان عند خُماعة، فلهذا قال: ذاك لك على أن تؤديني إلى خُماعة بنت عوف ابن ملحم فقالت المرأة: ومَنْ لي بمئة من الإبل؟ فأخذ عُودًا من الأرض فقال: هذا لك بها، فمضَتْ به إلى عَوْف ابن مَحلم، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيهُ به، وكان عمرو وجد على مروان في أمر، فآلى ألا يعفوَ عنه حتى يضع يدَه في يده، فقال عَوْف حين جاءه الرسول: قد أجارتْهُ ابنتي، وليس إليه سبيل، فقال عمرو بن هند: قد آليت ألا أعفو عنه أو يَضَعَ يده في يدي، قال عوف: يَضَعُ يدَه في يدك على أن تكون يدي بينهمَا، فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوَضَعَ يده في يده ووضع يده

بين أيديهمَا، فعفا عنه، وقال عمرو: لا حُرَّ بوادي عوف، فأرسلها مثلًا، أي لا سيد به يناويه، وإنمَا سمي مروان القرَظِ لأنه كان يغزو اليمنَ، وهي: منابت القَرَظِ[١].

وفاء الحارث بن ظالم:

وكان من وفائه أنَّ عياض بن دَيْهث مَرَّ برعاء الحارث وهم يسقون، فسقى فقَصُر رِشَاؤُه، فاستعار من أرْشِيَةِ الحارث فوَصَل رشاءه، فأروَى إبله، فأغار عليه بعضُ حَشَمِ النعمَان فاطردوا إبله، فصاح عياض: يا جاراه، يا جاراه! فقال له الحارث: متى كنتُ جارَك؟ فقال: وصَلتُ رشائي برشائك، فسقيتُ إبلي، فأُغيرَ عليها، وذلك المَاء في بطونها، قال: جِوَارٌ ورَبِّ الكعبة، فأتى النعمَانَ، فقال: أبيتَ اللعن! أَغار حَشَمُك على جاري عياضِ ابنِ ديهث فأخذوا أبله وماله، فاردُد عليه، فقال له النعمَان: أفلا تشد ممَا وَهَى من أديمك، يريدُ أنَّ الحارث قتل خالد ابن جعفر بن كلاب في جوار الأسود بن المنذر، فقال الحارث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي؟ ويروى: هل تعدّون الحلبة من الأعداء؟ يعني تركضون، ويروى «تعدون» من التعدي، أي: تتعدون، أي: تتجاوزون – فأرسلها مثلًا – أي: أنك لا تُهلك إلَّا نفسي إن قتلتها، فتدبّر النعمَان كلمته، فردّ عليه عياض أهله وماله.

□ قال الفرزدق يضربُ المثل لسليمَان بن عبد الملك حين وفي ليزيد بن المهلّب:

لَعَمْري لقد أَوفى وَزَاد وَفَاؤُهُ ... عَلى كُلِّ جَارٍ جَارُ آلِ المهَلَّبِ

---

(١) «الوفاء» (ص٩٢- ٩٥).

كَمَـا كَانَ أَوْفَى إذ يُنَادِي ابنُ دَيْهثٍ　　وَصِرمَتُـهُ كـالمغْنَمِ المُتنهَّـبِ
فَقَـامَ أَبُـو لَـيلَى إِلَيْـهِ ابْـنُ ظَـالم　　وَكانَ مَتَى مَا يَسْلُلِ السيفَ يَضْربِ [(١)]

جابر عثرات الكرام وعُلُوُّ همته في الوفاء:

□ تنزل الشدة بالمرء فيتلفت إلى إخوانه الذين تربطهم به روابط المودة عسى أن يواسوا كربته، ويخففوا ما نزل به فمنهم الكريم الذي يبادر بالمواساة، ومنهم اللئيم الذي يتنكر لصديقه، فإن لقيه أعرض عنه كأنه لا يعرفه، وفي مثل هذا يقول الأول:

كـم مـن أخ لـك لـست تنكـره　　مـا دمـت في دنيـاك في يـسر
فـإذا عـدا - والـدهر ذو غِـيَرٍ -　　دهـرٌ عليـك عـدا مـع الـدهر
فـارفض بإجمـالٍ مـودة مـن　　يقـلي المقـل ويعـشق المثـري
وعليـك مـن حـالاه واحـدة　　في العـسر مـا كنـت واليـسر

وفي القصة الآتية ترى كيف يكون الوفاء؟ وكيف يواسي الأخ أخاه إذا ألمت به ملمة وتنزلت به فاقة؟.

كان خزيمة بن بشير الأسدي مقيمًا بالجزيرة وكان معروفًا بالمروءة والكرم ومشهورًا بمواساة من تحل به نكبة، كانت نعمته وافرة، وعيشه رغيدًا، فلم يزل على تلك الحال حتى قلب الدهر له ظهر المِجَنّ، فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينًا ثم ملوه، فلمَّا لاح له تغيرهم أتى امرأته، وكانت بنت عمه. فقال لها: يا بنت العم! قد رأيت من إخواني جفاء، وشاهدت منهم تغيرًا وإعراضًا، وقد عزمت

---

(١) «الوفاء» (ص٩٥- ٩٦).

على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأوى إلى منزله يتقوت بمَا عنده حتى نفد.. وكان عكرمة الفياض واليًا على الجزيرة من قبل سليمَان بن عبد الملك، فجاء ذكر خزيمة في مجلس عكرمة وأخبره خبره، وشرح حالته فقال: أما وجد خزيمة مواسيًا ولا مكافئًا. ثم لمَا جن الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار وركب دابته ومعه غلام يحمل المال حتى وصل إلى خزيمة فدفعها إليه فقال خزيمة: من أنت! فقال عكرمة: ما جئت في هذا الظلام وأريد أن أُعرَفَ! قال خزيمة: حلفت ألا أقبلها أو أعرف من أنت؟ فقال عكرمة: أنا جابر عثرات الكرام. قال خزيمة: زدني إيضاحًا؟ قال: لا، ثم مضى عكرمة فلمَّا رجع إلى منزله وجد امرأته في قلق وقد ارتابت في خروجه ليلًا، فعرّفها الخبر، وطلب منها الكتمَان ليكون عمله لله خالصًا.

أما خزيمة فإنه أصلح من المَال شأنه، ودفع ديونه، وتجهز إلى سليمَان بن عبد الملك، فلمَّا دخل سلّم بالخلافة فقال سليمَان: ما أبطأك عنا؟ قال: ضيق الحال يا أمير المؤمنين إلى أن قيض الله لي جابر عثرات الكرام. فقال سليمَان: لو عرفنا جابر عثرات الكرام لأعنّاه على مروءته؛ ثم عقد سليمَان لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى أعمَال عكرمة، فلمَّا وصل خزيمة إلى الجزيرة نزل في دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة فيحاسب، فظهر قبل عكرمة أربعة آلاف دينار، فطالبه خزيمة بها، فقال: مالي إلى ردّها من سبيل، فأمر خزيمة بوضعه في السجن مقيدًا بالأغلال، فأقام عكرمة في السجن حتى أضناه القيد، فلمَّا علمت زوجته بذلك أرسلت جارية لخزيمة: أهكذا يكون جزاء جابر عثرات الكرام؟! فلمَّا سمع خزيمة ذلك قال: واسوأتاه، جابر عثرات الكرام غريمي، ثم ذهب تَوًّا إلى السجن ففك أغلال عكرمة وقبّل رأسه واعتذر إليه، ثم سارا معًا إلى سليمَان ليعرف من جابر عثرات الكرام، فلمَّا عرف القصة قال

لعكرمة: لقد كان برك وبالًا عليك، ثم عقد سليمَان لعكرمة الولاية على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمرُ خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته فقال: بل أبقيه. فمكثا عاملين لسليمَان مدة خلافته، وهكذا يكرم الله أهل المروءات ويضاعف لهم الجزاء، ويجنبهم المذلة والهوان، ويخلد ذكرهم التاريخ على مر الزمان..

وما ضاعَ مالٌ ورَّثَ الحمدَ أهلَه ولكنَّ أموالَ البخيلِ تضيعُ [(١)]

الوفاء للأخ في الله والصاحب بعد مماته:

□ مَرَّ بك قول الحسن: «إن كان الرَّجُل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة».

□ قال هُريم بن سفيان: «كان عمرو بن قيس المُلائي يمرُّ بنا في كل جمعة، ومعه هديّة قد حملها، يأتي بها منزل منصور المعتمر قال: وذلك بعد موت منصور بمَا شاء الله، فلم يزل على ذلك حتى مات. قال: فبلغني أن أهله تعاهدهم بنحو من ذلك بعد ما مات عمرو».

□ وعن بسطام التيمي قال: «رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زَقاق ضيِّق في التيم، فقلت: من أين يجيء طلحة؟ قالوا: يأتي أمَّ عمَارة ابن عمير يبرّها بالنفقة والكسوة والصِّلة. قال: وذاك بعد موت عمَارة ببضع عشرة سنة. قال: وكانت أم عمَارة أعجمية» [(٢)].

الوفاء في رياض الشِّعْرِ ودوحته:

في رحاب الشعر = بعد القرآن والسُّنَّة يتذوَّق القارئ شيمة الوفاء،

---

(١) «الوفاء» (ص٩٦= ٩٩).

(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٧١= ٨٨).

ويلتمسها في جنبات كل بيْتٍ، ووراء كلِّ مَقْطَعٍ بإحساسها الصادق النقي..

□ فلله در القائل وهو عبد الحميد الكاتب:

أُسِرّ وفــاءً ثــم أظهِــرُ غــيره فمن لي بعذرٍ يُوسِع الناسَ ظاهُرهُ[1]

وفاء عبد الحميد الكاتب لمروان بن محمد:

□ قائل البيت السابق هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري الكاتب المشهور، وكان قد اختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فلم يزل معه إلى أن شعر بقرب زوال ملكه فقال له: قد احتجتُ إلى أن تصير إلى عدوّي وتظهر الغدر بي. وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد إلَّا البقاء معه حتى قتلا معًا في بوصير بمصر سنة ١٣٢ [2].

الوفاء الدائم:

النَّاسُ بالناس مـا دامَ الوفـاءُ بهـمْ والعُسْرُ واليُسْرُ سَاعاتٌ وأوقـاتُ
وأكرمُ الناس ما بين الورى رَجُـلٌ تُقضَى عـلى يـدِهِ للنَّـاس حاجَـاتُ
لا تقطعَنَّ يَد المعْروفِ عـنْ أَحَـدٍ إنْ كنْـتَ تَقْـدِرُ فالأيـامُ تَـاراتُ
واشكرْ صَنيعَةَ فَضْلِ الله إذْ جعلـتْ إليْكَ، لا لَـكَ للإنسان حاجـاتُ
قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ فَـضائِلُهمْ وَعَاش قومٌ وهمْ في الناسِ أمواتُ

---

(١) «مجموعة المعاني» لعبد السلام هارون (١/ ٢٤٩)- طبع دار الجيل.

(٢) «وفيّات الأعيان» لابن خلّكان (١/ ٣٠٧).

دوام الوفاء بالعفو والغفران:

□ قال المغيرة بن حَبْناء:

خُذْ من أخيك العفو واغفِرْ ذُنوبَه ... ولا تـكُ في كـلِّ الأمـور تُعَاتِبُـهْ

فإنـكَ لـن تلقـى أخَـاك مُهَـذَّبًا ... وأيّ امريءٍ ينجُو منَ العيبِ صاحبُه

أَخُوكَ الذي لا ينقُضُ النّأيُ عهدَهُ ... ولا عندَ صرفِ الدّهرِ يَزْورُّ جَانبُه

وليسَ الذي يَلقَاكَ في البِشْرِ والرِّضَا ... وإنْ غَبْـتَ عنـه لَـسَّعَتْكَ عَقارِبُـه

□ وذكر جَبَّار بنُ سَلَمى عامرَ بنَ الطُّفَيل، فقال: كانَ واللهِ إذا وَعَد الخيرَ وفَّى، وإذا أوعد بالشرّ أخلف، وهو القائل:

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ ما عِشْتُ صَوْلَتِي ... ويـأمَنُ منّـي صَـوْلَةَ المتهـدّدِ

وإني وإنْ أوعدْتُـه أو وَعَدْتُـه ... ليكذِبُ إيعادِيْ ويصدقُ مَوْعِـدي

□ وقال ابنُ أبي حازم:

إذا قلـتَ في شيء: «نَعَـم» فأتمَّـه ... فإنَّ «نعم» دَيْنٌ عـلى الحرِّ واجِـبُ

وإلَّا فقل: «لا» تسترِحْ وتُـرِحْ بهـا ... لـئلا يقـولَ النَّـاسُ: إنَّـكَ كـاذِبُ

□ وأحسن ما ورد في إنجاز الموعد قول عوفِ بن مُحلِّم:

ذكرْتُ مواعيدَ الأمير ابـنِ طَـاهِرِ ... ومثـلُ العطايـا في الأكـفّ عداتُـه

وزكّيـتُ مـا لم أحـوِهِ مـن عطائـه ... فكنْتُ كمـن حلّـت عليـه زكاتـه

□ ومما ينسب إلى الإمام عليّ رضي الله عنه في الأصدقاء والوفاء:

تغـيَّرت المـودّةُ والإخـاءُ ... وقـلَّ الـصّدقُ وانقطَـع الرجَـاءُ

وأسـلَمني الزَّمـانُ إلى صـديقٍ ... كثـير الغـدرِ لـيس لـه رعَـاءُ

وربَّ أخٍ وفيْتُ لـه بحـقٍ ... ولكـن لا يـدومُ لـه وفـاءُ

□ ويقول في النساء:

دعْ ذِكْـرَهُنَّ فـما لهُـنَّ وفـاءُ ... رِيْـحُ الـصَّبا وعهـودُهُنَّ سَـواءُ

يكـسِرْن قلبـكَ ثـم لا يجبرنَـهُ ... وقلـوبُهُنَّ مـن الوفـاءِ خَـلاءُ

□ وقال في الوفاء بين الناس:

ذَهَبَ الوفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ ... فالنَّـاسُ بَـيْنَ مُخاتِـل ومُـوارِبِ

يَفْـشُونَ بيـنهُمُ المـودَّة والـصَّفا ... وقلـوبُهُم محـشوَّةٌ بعقـارِبِ

□ ومثله:

ماتَ الوفـاءُ فَـلا رِفْـدٌ ولا طَمـعٌ ... في النّاس لم يبْقَ إلَّا اليأسُ والجزَعُ

فاصْبرْ علـى ثِقَـةٍ بـاللهِ وارضَ بـه ... فـاللهُ أكـرَمُ مَـنْ يُرْجَـى ويُتَّبَـعُ

رباط الصحبة بالوفاء:

وكنْـتُ إذا صَـحِبْتُ رِجـالَ قـومٍ ... صَـحِبْتُهمُ وشـيمتيَ الوفـاءُ

فأُحـسنُ حـين يُحْـسِنُ مُحسِنُوهُمْ ... وأجتنـبُ الإسـاءةَ إن أسـاؤوا

وأُبـصر مـا بعيـبهم بعـينٍ ... عليهـا عـنْ عيـونِهمُ غطـاءُ

□ وقال الشافعي في الربط بين السمَاحة والوفاء:

وكُنْ رَجُـلًا عـلى الأهـوال جَلْـدًا ... وشـيمتُكَ الـسَّمَاحةُ والوفـاءُ

□ وقال إبراهيم الشبراوي:

سَـألتُ النَّـاسَ عَـنْ خِـلٍّ وَفِيٍّ فقـالوا: مـا إلى هـذا سـبيْلُ
تمسَّك إن ظفِـرتَ بـذيل حُـرٍّ فـإنَّ الحُـرَّ في الـدنيا قليْـلُ

□ وقيل:

اشدُد يـديكَ بمـن بلـوتَ وفـاءَه إنَّ الوفـاءَ مـن الرّجـال عزيْـزُ

□ ويشبهه قول الشاعر:

يمـوتُ المـرء لـيس لـه وفيٌّ وقبـل اليـوم عَـزَّ الأوفيـاءُ
أتـدري الـشمسُ أنَّ لهـا بَهَـاءً فتأسـفَ أنْ يفارقهـا البهـاءُ؟

□ وقال الشاعر القديم:

إني كـأني أرى مـن لا وفـاء لـه ولا أمانـة وسْـطَ القـوم عُريانـا

□ وذكر الجاحظ في البيان والتبيين قول أحدهم:

فيَّ انْقِبـاضٌ وحـشمةٌ فـإذا صَـادقْتُ أهـلَ الوفـاءِ والكَـرَمِ
خلَّيْـتُ نفـسي عـلى سـجيتها وقلـتُ مـا قلـتُ غـيرَ محتـشم

□ ويشبهه:

مـالي وَجْـهٌ في اللِّئـامِ ولا يَـدُ ولكنَّ وجهـي في الكـرام عـريْضُ
أَهُـشُّ إذا لاقيـتُهم وكـأنني إذا أنـا لاقيـتُ اللّئـام مـريضُ

مطلب الوفاء صعب:

أرومُ الوفاءَ الصَّعبَ بالمطلب السّهل وأرتادُ جُوْدَ الحبَ في منبت البخل

□ ومنه:

دُريت الوفي العهد يا عُرو فاغتبط فـإن اغتباطًـا بالوفـاء حميـد

□ وقيل:

أفدي خُطاك بنفسي وهي قاصرة عنها، ولكنها أوفى الذي أَجِدُ

الوفاء شرف للإنسان:

إنَّ الكرامَ إذا ما استُعطِفُوا عَطَفُوا والحرُّ يعفو لمن بالذنب يعترَفُ

والصَّفحُ عن مُذْنبٍ قد تاب مكرمةٌ وفي الوفاء لأخلاق الفتي شَرَفُ

الحبُّ طاعة ووفاء:

□ يقول الشاعر في وصف المحبّ لرسول الله ﷺ:

مَنْ يدَّعي حبَّ الرسُولِ ولم يُفِدْ من هديه فَسَفَاهَةٌ وهُرَاءُ

الحبُّ أولُ شرطِهِ وفروضِهِ إنْ كان صِدقًا طاعَةٌ ووفاء

وفي وفاء الرسول ﷺ:

يا صفوة الرّسُلِ الكرام ومَنْ به هدى الأنام محجَّةً بيضاءَ

صلَّى عليك الله ما خفق الحشا حبًّا، وأخلصت النفوسُ وفاءَ

وفي محبة العرب والوفاء لهم يقول الشاعر:

ناشَدْتُكِ اللهَ يا روحي اذهبي كَلَفًا بحبِّ قومٍ عن الجرعاء قد ذهبوا

لا تسأليهم ذمامًا في محبتهم فطالمَا قد وفى بالذمة العربُ

الوفاء للوطن:

□ قال ابن الرومي:

ولي وَطَنٌ آليتُ ألا أبيعَهُ وألا أرى غيري له الدَّهرَ مالكا

وَحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ مَآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ عهودَ الصّبا فيها فحنوا لذلكا

فَقَد ألفتْهُ النفس حتى كأنه ... لها جَسَدٌ إن بان غُودِرَ هالكا

الوفاء في اليسر والعسر:

▫ أنشد الإمام محمد الخضر حسين تحت هذا العنوان:

مَسَّتِ العيشَ عسْرَةٌ فدعيْهَا ... تبتلي الصَّبرَ ساعةً ويَمُرُّ

جَارَتي هكذا الزَّمانُ يوافينا ... بيومٍ يجفو ويوم يَسرُّ

ما افتقدنا في الحالتين وفاءً ... واحتفاءً به العيون تَقَرُّ

الوفاء بعهد الصداقة:

▫ وأنشد الإمامُ أيضًا عن أحد أصدقائِه وصلته به:

أحبَبْتُهُ مِلءَ الفُؤَادِ وإنمَا ... أحببتُ مَنْ ملأ الودادُ فؤادَه

فظَفِرْتُ منه بصاحبٍ إنْ يدرِ ما ... أشكُوه جافى ما شكوتُ رقادَه

ودريت منه كمَا درى مني فتًى ... عرفَ الوفاءُ نجادَه ووهادَه

الوفاء في تحقيق التراث:

▫ مدح أحد الشعراء عالمًا مهتمًا بتحقيق التراث فقال:

وفيْتَ لآباءٍ طَواهُمْ زَمانُهم ... وكنْتَ لهم مِنْ ذلك الطّي تنشرُ

تراثًا وأخلاقًا وعِلْمًا ومنهَجًا ... إلى أن طويتَ العمر زرْعًا يُثْمِر

وخلفتَ لي عَهْدًا ودَرْبًا وعدَّةً ... يحقُّهمُ منك الرضا ويُنوَّرُ

فصارَ جميعُ الإرث عندي أمانةً ... ووالله لا يخزيْ القديمَ المؤخّرُ

▫ وقال ابن زيدون في قصيدته المشهورة يطلب الوفاء:

أضحى التنائي بديلًا عن تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

لم نعتقد بعدكم إلَّا الوفاءَ لكم ... رأيًا، ولم نتقلدْ غيره دينا

دُومي على العَهْدِ ما دُمنا مُحافِظَةً ... فالحرُّ مَنْ دانَ إنصافًا كما دينا

أوْلي وفاءً وإن لم تبذلي صِلَةً ... فالذكر يُقنعنا والطيف يكفينا

□ وقال المتنبي في مدحه يربط القدرة والوفاء:

إنَّ في ثَوْبِكَ الذي المجدُ فيه ... لضياءً يُزري بكل ضِيَاءِ

كرمٌ في شجاعةٍ،وذكاء ... في بهاءٍ، وقدرةٌ في وفاءِ

□ ومن غرر أحاسن أبي فراس الحمداني:

لم أؤاخذْكَ بالجفاء لأني ... واثقٌ منك بالوفاءِ الصحيح

فجميلُ العَدُوِّ غيرُ جميلٍ ... وقبيحُ الصديق غيرُ قبيح

□ وقال ابن العميد:

أين لي مَنْ يفي بشكر الليالي ... حين ضاقت حبالها حيالي؟

□ وأنشد الحسن بن عبد الوهاب لرجلٍ يذمّ صديقًا له، ويمدح كلبًا بوفائه:

تخيَّرت من الأخلاق ... ما يُنفى عن الكَلْبِ

فإنَّ الكلبَ مجبولٌ ... على النُّصرةِ والذَّبِ

وفيٌّ يحفَظُ العَهْدَ ... ويحمي عَرْصَةَ الدَّرْبِ

ويعطيك على اللّين ... ولا يعطي على الضرب

ويشفيك من الغيْظِ ... ويُنجيك من الكربِ

□ وقال آخر:

تقولُ العِدى لا باركَ الله في العِدى قدَ اقصَرَ عن ليلى ورثَّت وسائلُه
ولو أصبحتْ ليلى تدِبُّ على العصا لكان هَوَى ليلى جديدًا أوائله

□ وقال إبراهيم بن العباس:

ولكنّ الجواد أبا هشام وفيُّ العهد مأمونُ المَغيبِ
بطيءٌ عنك ما استغنيت عنه وطلَّاعٌ إليك مع الخُطوبِ

□ وقال آخر:

ومن عجبٍ أن بتَّ مستشعرَ الثرى[1] وبتُّ بما زوَّدتني متمتِّعا
ولو أنني أنصفتك الود لم أبِتْ خلافك حتَّى ننطوِي في الثَّرى معًا

□ وقال البحتري:

فوَا أسفا أن لا أكونَ شهدتُه فخاست[2] شمالي عنده ويَميني
وألا لقيت الموت أحمر[3] دونه كما كان يلقى الدَّهرَ أغبرَ دوني
وإنَّ بقائي بعده لخيانةٌ وما كنت يومًا قبلَه بخؤون

□ وقال المتنبي:

غاضَ[4] الوفاء فما تلقاه في أحدٍ وأعوزَ[5] الصدقُ في الأخبار والقَسَمِ

□ وقالوا: «إذا أَرَدْتَ أن تعرفَ وفاءَ الرَّجُلِ ودوام عَهْدِه فانظر إلى

---

(١) مستشعر الثرىٰ، كأنه جعله شعارًا له في قبره.
(٢) خاست: لزمت موضعها واحتسبت، أو غدرت.
(٣) أحمر: أي في أوج شدته.
(٤) غاض: نقص.
(٥) أعوزَ: قلّ فما يُوجد.

حنينه إلى أوطانه، وتشوُّقِهِ إلى إخْوانه، وكَثْرَةِ بُكائه على ما مضى من زمانِهِ.

□ قال الشاعر:

تَعْجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أُكْرُومَةٌ تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وَالْحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ وَلَا يَلِيقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

□ وقال آخرُ:

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الْإِنْعَامِ

□ وقال آخرُ:

وَمِيعَادُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلَا تَزِدِ الْكَرِيمَ عَلَى السَّلَامِ
يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ وَيُغْنِيكَ السَّلَامُ عَنِ الْكَلَامِ

□ وأنشدُوا:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ «نَعَمْ» فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ «نَعَمْ» دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ
وَإِلَّا فَقُلْ «لَا» تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ

□ وقال آخرُ:

لَا كَلَّفَ اللهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
فَلَا تَعِدْ عِدَةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَاحْذَرْ خِلَافَ مَقَالٍ لِلَّذِي تَعِدُ

□ وقالَ آخرُ:

اشْـدُدْ يَـدَيْكَ بِمَـنْ بَلَـوْتَ وَفَـاءً   إِنَّ الوَفَـاءَ مِـنَ الرِّجَـالِ عَزِيـزُ

وقالوا في الغدر والخيانة:

□ قال حرب بن جابر الحنفي:

رأيـت أبـا القَيَّـار للغـدرِ آلفـا   وللجـار وابـن العـم جَمًّـا غوائلُـهْ

وإنّ أبـا القيَّـار كالـذئب، إن رأى   بصاحبه يومًـا دمًـا فهـو آكلـهْ[1]

□ وقال آخر:

إذا عهـدوا فلـيس لهـم وفـاءُ   وإنْ وعـدوا فموعـدهم هَبَـاءُ

□ وقال عارق الطائي:

غدرت بـأمرٍ كنـتَ أنـتَ دعوتَنـا   إليه، وبِئْسَ الشّيمة الغـدر بالعهـد

وقد يـتركُ الغـدرَ الفتـى وطعامـه   إذا هو أمسى حلبة مـن دم الفَـصْدِ

□ وقال آخر:

ولا خـير في وعـدٍ إذا كـانَ كاذبًـا   ولا خيرَ في قـولٍ إذا لم يكـن فِعـلُ

□ وقال آخر:

جرّبت دهري وأهليه فـما تركـت   لِيَ التجاربُ في ودِّ امـريءٍ غَرَضـا

□ وقال آخر:

إنَّ خُلْـفَ الوعيـد لـيس بعـارٍ   إنَّمـا العَـارُ كُلُّـه خُلـفُ وَعْـدِك

□ وقال مزاحم بن الحارث العقيلي:

---

(١) إشارة إلىٰ ما هو متداولٌ مِن أكْلِ الذئب لصاحبه الذئب إذا رأىٰ عليه دمًا. والبيتان في حماسة البحتري (ص٢١٠).

فيومًا تراها بالعهود وفيّةً ... ويومًا على دين ابن خاقانَ دينُها [(١)]

يدًا بيد مَنْ جاء بالعين منهم ... ومن لم يجيء بالعينِ حِيزتْ رهونها[(٢)]

□وقال أبو فراس:

نَعَمْ دعتِ الدُّنيا إلى الغدرِ دعوةً ... أجاب إليها عالمٌ وجهولُ

□وقال آخر:

كل الذنوب خفيفةٌ محمولَةٌ ... إلَّا ذنوبَ إذاعة الأسرارِ

□وقال آخر:

أَبْغِي الوفاءَ بزَمَنٍ [(٣)] لا وفاءَ به ... كأنني جاهل بالزمن [(٤)] والناس

نكرانُ المحاسن:

□قال الشاعِرُ:

وما كلُّ من تهواه يهواكَ قلبُه ... ولا كل من أنصفته لك منصف

□وقال آخر:

---

(١) خاقان: ملك الترك وعني به كسرىٰ قباذ بن فيروز. ملك الفرس. وكان قد قام مزدك في زمانه فدان بدينه من اشتراك القوم في النساء والأموال كما اشتركوا في الماء والنار والكلأ. يريد أن نفسها تطاوعها علىٰ مواصلة كل من تعرض لها ولا تعاف أحدًا.

(٢) هذا تمثيل، أي من جاء منهم بالنقد جازته بمثله نقدا، وهو ما سمّاه بالعين، أي من حضر منحته الحاضر من ودها.
وأما من غاب عنها فكأن رهنه قد ضاع وغلق، أي كأنه أودع قلبه رهينةً لا ردّ لها.

(٣) في الأصل بدهر وهي لأبي فراس، وقد غيَّرتها إلى «زمن» حتى لا يُعاب الدَّهْرُ ويُسَبُّ.

(٤) انظر الهامش السابق.

وعدْتَ وكان الخلفُ منك سجيَّةً مواعيدَ عُرقُوبٍ أخاه بيثرب

□ وقال آخر [(١)]:

ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه يلاقِ كما لاقى مُجير أمّ عامر [(٢)]

أعدَ لها لما استجارت بداره [(٣)] أحاليب [(٤)] ألبان اللّقاح الدّوائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكّنت [(٥)] فرته [(٦)] بأنيابٍ لها وأظافر

فقل لذوي المعروف: هذا جزاء من يجود بمعروفٍ على غير شاكر [(٧)]

□ وقال آخر:

إذا ما جعلت السرَّ عند مضيّع فإنك ممَّن ضيع السرّ أذنب

□ وقال آخر:

إِن يسمعوا سُبَّةً طاروا بها فَرَحًا مني،وما سَمِعُوا من صالح دفنوا

□ وقال المتنبِّي:

أَقِلَّ اشتياقًا أيُّها القلبُ إنني رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خُلِقت ألوفًا لو رَجعتُ إلى الصِّبَا لفارقتُ شيبي مُوجَع القلبِ باكيا

---

(١) هي لأعرابي، والأبيات مع قصتها في حياة الحيوان للدميري (٢/ ١١٧).

(٢) أم عامر: كنية الضَّبع.

(٣) عند الدميري:

أدام لها حين استجارت بقربه قواها من ألبان اللقاح الغرائز.

(٤) الأحاليب: جمع إحلابة، وهو أن يحلب لأهله وهو في المرعىٰ لبنا ثم يبعث به إليهم ما زاد منه علىٰ السِّقاء. واللقاح: جمع لقوح وهي الإبل بأعيانها.

(٥) عند الدميري: «وأشبعها حتىٰ إذا ما تملأت».

(٦) فرثه تفريه: قطعته وشقصته.

(٧) عند الدميري: «غدا يصنع المعروف مع غير شاكر».

ما أقل الوفاء وأندره:

وَدَدْتُك لَمَّا كان حُبُّك خالِصًا ... وأعرضتُ لَمَّا صار نهبًا مُقَسَّما

ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه ... على كثرة الوُرَّادِ أنْ يتهدَّما

نسيان الأحباب بعد موتهم وهذا من قلّة الوفاء:

□ وقال أرطأة بن سُهيَّة [1]:

وكائن تَرى من ذات شجو وعَولةٍ ... بكَتْ شجوَها بعد الحنين المرجَّع [2]

فكانت كذات البَوَ لَمَّا تعطَّفتْ ... على قِطعٍ من شِلوهِ المتمزَّعِ [3]

مَتَى لا تجِدْه تنصرفْ لطِيَاتها ... من الأرض أو تعمِدْ لإلفٍ فتَرْبَعِ [4]

---

(١) هو أرطاة بن زفر بن عبد الله، وسُهَيَّة أمه. وهو من شعراء الدولة الأموية. وكان امرأ صِدق شريفًا في قومه.

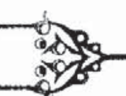
(٢) الأبيات في «الأغاني» (١١/ ١٣٨)، يرثي بها ابنه عَمْرًا والشجو: الحزن والهم. والعولة: رفع الصوت بالبكاء، وحرارة وجد الحزين والمحب من غير نداء ولا بكاء. وكذلك العويل: وفي الأغاني: «ذات بث». والبث: الحزن.

(٣) البَوَ: الحُوار، وولد الناقة. وقيل: جلده يحشىٰ تبنا أو ثُماما أو حشيشًا لتعطف عليها الناقة إذا مات ولدها ثم يقرب إلىٰ أمه لتر أمه فتدر عليه. وفي الأصل: «كذات البر»، صوابه في الأغاني. والشلو: واحد الأشلاء. وهي الأعضاء والجلد والجسد.

(٤) والطيَّات: جمع طِيَّة، وهي المنية، والوطن، والمنزل. وفي «اللسان» «وقد يخفف في الشعر». والبيت هنا شاهد لتخفيف الياء. تربع. من قولهم: ربع بالمكان يربَع. اطمأنّ. وبعد هذا البيت في «الأغاني»:

عن الدهر فاصفح إنه غير معتب ... وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

وبَدَلاً منه يقال: عن الزمن فاصفح إنه غير معتب.



عَوْدٌ على بدء:

وفاء الصحابي الجليل أبي العاص بن الربيع بن عبد العزَّى القرشي العبشيمي رضي الله عنه:

صهر رسول الله ﷺ، وزوج بنته زينب، وهو والد أمامة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلاته.

• أُسِرَ في غزوة «بدر» فبعثت زينب قِلادتها لِتَفُكَّهُ وكانت هذه القلادة لأم المؤمنين خديجة أعطتها لزينب رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «**إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لهذه أسيرها**»، فبادر الصحابة إلى ذلك.

□ قال المسور بن مخرمة: «أثنى النبي ﷺ عَلَى أبي العاص في مصاهرته خيرًا وقال: «**حدَّثني فصدَقني، وَوَعَدَني، فوفَى لي**»، وكان قد وعد النبيَّ ﷺ، أن يرجع إلى مكة بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدّة حبه لها، وكان من تُجار قريش وأمنائهم.

ثم أسلم قبل الحُديبية بخمسة أشهر، ولمَّا هاجر، ردَّ عليه النبي ﷺ زوجته زينب بعد ستة أعوامٍ على النكاح الأول [(١)].

وفاء ابن عباس رضي الله عنهما لحبيبه ﷺ، ولأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

□ عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب قَدِم على ابن عباس البصرة، ففرَّغ له بيته، وقال: لأصنعنَّ بك كمَا صنعتَ برسول الله ﷺ، كم عليك؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، ومتاعُ البيت» [(٢)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٠- ٣٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» ترجمة أبي أيوب الأنصاري (٢/ ٤٠٢- ٤١٣)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ١٧١).

الإمام المحدِّث الزاهد عطاء بن أبي سعد الهَرَوي الفُقَّاعيّ تلميذ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري:

□ قال السَّمعاني: «كان ممن يُضرَب به المَثَل في إرادة شيخ الإسلام والجدِّ في خدمته، وله حكايات ومقامات في خروج شيخه إلى بَلْخ في المحنة، وجرى بينه وبين الوزير نظام الملك محاورة ومُراددة واحتمل له النِّظام.

قال: وسمعتُ أن عطاءً قُدِّم للخشبة ليُصْلَبَ، فنجَّاه الله لحسن نيَّته، فلمَّا أُطلِق، عاد إلى التظلُّم، وما فتر، وخرج مع النِّظام ماشيًا إلى الروم، فمَا ركب، وكان يخوض الأنهار مع الخيل ويقول: شيخي في المحنة، فلا أستريح»[1].

✍ أين هذا من أبناء زمانا.

إذا قيلَ: في الدنيا خليلٌ؟ فقلْ: نعمْ ... خليل اسمُ شخصٍ لا خليل وفاءِ

اللهم اجعلني عند حسن ظن شيخي المقدم بي وأجب دعاءه لي:

✍ أرسل لي شيخي الدكتور محمد إسمَاعيل المقدِّم رسالة على الهاتف المحمول بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٦م كتب فيها: «أكرمك الله يا أوْفى الأوفياء، ونصرَ بك السُّنَّة».

وأنا أقولها لوجه الله خالصة لشيخي المقدم:

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا ... سريرة حب يوم تبدو السرائر

بضاعتي طيلة عمري مزجاة إلَّا أن عملي الوحيد الذي أعلم صدقي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٤- ٥٦).

فيه إن شاء الله هو حبي لشيخي المقدم في الله ووفائي له.. ويعلم الله أني أقولها خالصة لوجه الله أنه ما من شاب من أبناء الحركة الإسلامية في السبعينات وما بعدها في مصر مَسَّ محبرة ولا تناول قرطاسًا على المنهج السلفي إلَّا وللشيخ المقدم في عنقه مِنَّة ودَيْن، وكيف لا وهو مقدم الدعوة السلفية والمنظِّر لها والذاب عن قضاياها ومُجدِّد أمرها في ربوع مصرنا، أنكر هذا حاسد أو حاقد لا يرى إلَّا نفسه أو قَبِلَهُ ولوددت والله يعلم صدقي -أن لو أُخذ من عمري فزيد في عمره- لو جاز ذلك -وأن أفديه بدمي ونفسي ومالي وأولادي، وأن لا تمر عليه لحظة من هم أو أسى لمن يتنكَّر له أو يغمطه حقه، ولله در القائل: «بعتكم أغلى المُلك فلا تنسَوْني غدًا لكرامة الدلَّال»، ولو استقبلت من عمري ما استدبرت ما فارقته لحظةً ولحملتُ نعله.. ولي الشرف في ذلك.. ولقبَّلتُ قدمه كما قبّل الإمام مسلم قدم البخاري، ولقلتُ له عن أي إساءة أُسيئ بها، أو تنكر له: عَفوًا يا أستاذَ الأستاذين ويا طبيب السلفيَّة في عللها.. والله أنت شامة مصرنا وزين مجالسنا، وقرة أعيننا، وكم في النفس والفؤاد ألوان من الوفاء لك عسى الله أن يظهر عشر معشارها لتطيب حياتنا.. جعلني الله خادمًا لكم ذابًا عنكم.. وفيًّا لكم وخادمًا في كل نَفَسٍ من أنفاسي لكم ولذويكم.

✍ شيخي الحبيب:

ليُسْقَ عهدَكمُ عهد السُّرور فمـا	كنـتم لأرواحنـا إلَّا رياحينـا

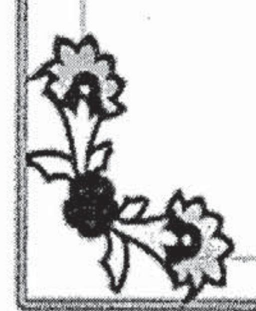
◇◇◇◇

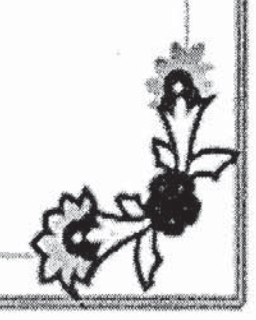




عُلُوُّ الهِمَّة

في الأمانة





عُلُوُّ الهِمَّة في الأمانة

الأمانة من أَجَلِّ القِيَم الخُلُقِيَّةِ التي بُنيتِ عليها شريعة الإسلام، وهي قيمة عظيمة تُصان بها حقوق الله ﷻ وحقوق الناس، وهو جزء لا يتجزَّأ من صفات المؤمنين، ومن الأمانةِ الكبرى التي حَمَلَهَا الإنسانُ أمامَ الله ﷻ بالخضوع لأوامِرِهِ، والانتهاءِ عن زواجِرِهِ - انبثقتْ سائرُ الأماناتِ مثلُ: أمانَةِ الشَّهَادَةِ لهذا الدِّينِ، وأمانةِ العِلمِ، وأمانةِ الدَّعوةِ إلى الله تعالى، وأمانةِ المحافظةِ على حرماتِ المجتمعِ، وأمانةِ التعاملِ مع الناس، ورَدِّ أمانَاتِهِم إليهم..، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «.. وَالأَمَانَةُ في الصلاة، والأَمَانَةُ في الصَّوم، والأَمَانَةُ في الحديث، وَأَشَدُّ ذلك الودَائع..»، فالأمانة في الإسلامِ مفهومها شاملٌ لِدِينِ الإنسانِ وطاقَتِهِ في تحمُّلِ أعباءِ التكاليفِ التي فَرَضَها الله تعالى عليه.

والأمانة بوصفها قيمةً خُلُقِيَّةً من أَجَلِّ الفضائلِ، هي الأساسُ لكلِّ الأعمَالِ، والشاملةُ للسلوك الإنساني كُله»[١].

الأمانة لغة:

الأمانةُ مصدر قولهم: أَمُنَ يأمُنُ أَمَانَةً أي صَارَ أَمِينًا، وهو مأخُوذٌ منْ مادَّة (أَمَ نَ) التي تدُلُّ على سكون القلب، ويقال: أمنْتُ الرَّجُل أمنًا وأمنَةً وأمانًا وآمنني يؤمنُنِي إيمَانًا، ورجلٌ أمنةٌ: إذا كان يأمنه النَّاسُ ولا يخافُون غائِلَتَهُ، وأمنةٌ بالفتح إذا كان يُصدِّقُ ما سمع ولا يُكذِّبُ بشيءٍ،

---

(١) «الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع» (ص٦) لعبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف - دار ابن الجوزي. السعودية.

وقال الجوهريُّ: الأمنةُ الذي يُصدِّقُ بكلِّ شيءٍ وكذلك الأمنةُ مثال الهمزةُ، واستأمن إليه دخل في أمانِهِ.

□ وقال ابن منظورٍ: «الأمانُ والأمانةُ بمعنًى، والأمانةُ: ضدُّ الخيانة».

□ وقال ابن الأثير: «الأمنةُ جمع أمينٍ، وهو الحافظُ. وقوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة].

□ قال أبو إسحاقَ: أراد ذا أمنٍ، فهو آمنٌ وأمنٌ وأمينٌ. ورجلٌ أمنٌ وأمينٌ بمعنًى واحدٍ».

ويقالُ: أمنْتُهُ على كذا، وائتمنته بمعنًى. وتقولُ: ائتُمِن فلانٌ على ما لم يسمَّ فاعله، فإن ابتدأت به صيَّرْت الهمزة الثانية واوًا فنقول: أوْتمن.

□ وقال الرَّاغبُ: «والأمْنُ والأمانُ والأمانةُ في الأصل مصادرٌ، ويجعل الأمان تارةً اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسانُ في الأمنِ، وتارةً «تجعل الأمانةُ» اسمًا لِمَا يؤمنُ عليه الإنسانُ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي ما ائتُمنْتُم عليه، وقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. قيل هي كلمةُ التوحيد وقيل: العدالةُ، وقيل: حُروفُ التَّهجِّي، وقيل: العقل وهو صحيحٌ؛ فإنَّ العقل هو الذي لحصوله يتحصَّل معرفة التوحيد وتجْري العدالةُ وتعرفُ حروف التَّهجِّي، بل لحصوله تعلُّم كلِّ ما في طوْقِ البشر تعلُّمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله وبه فضِّلَ «الإنسان» على كثيرٍ ممَّنْ خلقهُ»[1].

---

(١) «لسان العرب» (١٣/ ٢١، ٢٢) مختصرًا، و«مفردات الراغب» (٢٩)، و«مقاييس اللغة» (١/ ١٣٣).

□ وقال الطَّبريُّ: «اختلفَ في معنى هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: المعنى أن الله تبارك وتعالى عرض طاعته وفرائِضَهُ على السَّمواتِ والأرض والجبال على أنَّها إنْ أحسنت أثيبتْ وجوزيتْ، وإنْ ضيَّعتْ عوقبتْ، فأبتْ حملها شفقًا منها ألَّا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدمُ، إنَّه كان ظلومًا لنفسه، جهُولًا بالذي فيه الحظُّ له، وقد استدلَّ أبو جعفرٍ على ذلك بمَا رُويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما وغيره منْ أنَّ الأمانَةَ في الآيةِ الكريمةِ هي الفرائضُ التي افترضها الله على عبادِهِ، وبمَا رُويَ عنه أيضًا من قوله (أي ابن عباسٍ رضي الله عنهما) الأمانةُ: الطاعةُ عرضها الله عليها أي على السمواتِ والأرض والجبال قبْل أنْ يعرضها على آدمَ، فلمْ تُطِقْها، فقال لآدم: يا آدمُ، إنِّي قدْ عرضتُ الأمانةَ على السمواتِ والأرض والجبال فلم تُطِقها، فهل أنت آخذها بمَا فيها؟ فقال: يا ربُّ وما فيها؟ قال: إنْ أحسنْت جُزِيتَ، وإنْ أسأْتَ عُوقِبْتَ فأخذها آدَمُ فتحمَّلَها»[1].

□ قال الطبريُّ: «وقال آخرونَ: عُنِيَ بالأمانةِ في هذا الموضع أماناتُ الناس، وذهبَ فريقٌ ثالثٌ إلى أنَّ المراد بالأمانة هنا ائتمَانُ آدمَ عليه الصلاة والسلام ابنه قابيل على أهله وولده»[2].

وأولى هذه الأقوالِ بالصَّوَابِ ما قاله الذين قالوا إنَّهُ عُنِيَ بالأمانَةِ في هذا الموضع جميعُ معاني الأماناتِ في الدِّين، وأماناتِ الناس، وذلك أنَّ

---

(١) «تفسير الطبري» المجلد العاشر (حـ٢٢ ص٣٨، ٣٩).

(٢) ذكر القرطبي أن الحكيم الترمذي قد اعترض على هذا الرأي، وتعجب من قائله لأن الآثار وظاهر النص وباطنه، كل ذلك يتعارض معه تعارضًا واضحًا، قلت: والأمر كما قال. انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٥٦).

الله ﷻ لم يخُصَّ بقوله: ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأماناتِ دون بعضٍ»[١].

□ وقال القرطبي: «الأمانةُ تَعُمُّ جميع وظائفِ الدِّين، ونسب هذا القول لجمهور المفسِّرين، فالأمانةُ هي الفرائضُ التي ائْتمنَ الله عليها العباد، واختُلِفَ في تفاصيل بعضها على أقوالٍ: فقيل: «هي أماناتُ الأموالِ، كالودائع وغيرها». وقيل: «في كلِّ الفرائضِ، وأشدُّها أمانةُ المَالِ»، وقيل: «من الأمانة أن ائْتُمِنَتِ المرأةُ على فرْجِها»، وقال بعضهم: «غسل الجنابة أمانةٌ»، وقيل: «الأمانةُ هي الصلاةُ، إن شئْتَ قلت: صلَّيْتُ، وإنْ شِئْتَ قلت: لم أُصَلِّ، وكذلك الصيام وغسل الجنابة، وعلى ذلك فالفرجُ أمانةٌ»[٢]، والأذن أمانةٌ، والعين أمانةٌ، واللِّسانُ أمانةٌ، والبطنُ أمانةٌ، واليدُ أمانةٌ، والرِّجل أمانةٌ».

قال: «ولا إيمَانَ لمنْ لا أمانةَ له»[٣].

وقيل: «هذه الأمانةُ هيَ ما أوْدَعَهُ الله تعالى في السمواتِ والأرض والجبال والخلق من الدلائلِ على رُبوبيَّته أنْ يظهروها فأظْهروها إلَّا الإنسانَ فإنَّه كتمَها وجحدها، والمرادُ بالإنسانِ على ذلك هو الكافرُ والمنافقُ»[٤].

• أما ما جاءَ في الحديث: «المؤذِّنُ مُؤْتَمَنٌ»، أراد به: مؤْتمنُ القوم

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩).
(٢) أي حفظ الفرج.
(٣) أي لن لم يحفظ هذه الأمانات التي استودعها الله إياه.
(٤) انظر هذه الآرواء وغيرها في «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٥٣= ٢٥٨).

الذي يثقُونَ إليه، ويتَّخِذُونه أمينًا حافظًا، والأمانةُ تقعُ على الطاعةِ والعبادةِ والوديعةِ والثقة والأمَانِ.

ويُقالُ: رجلٌ أمينٌ وأمَّانٌ أي له دينٌ. وقيل: مأمونٌ به ثقةٌ.

□ قال الأعمش:

وَلَقَـدْ شَـهِدْتُ التَّـاجِرَ الـ ... أُمَّـانَ مَـوْرودًا شَرَابُـهْ

والتَّاجر الأمَّانُ بالضمِّ والتَّشديدِ: «هو الأمين»[1].

□ وقال ابنُ الأنباريِّ: «والأمينُ منْ حروف الأضدادِ، يقالُ: فلانٌ أمينٌ، أي مؤْتَمَنٌ، وفلانٌ أميني، أيْ مُؤْتَمَنِي أأْتَمِنُهُ على أمْري، قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمِـي يَـا أَسْـمَ وَيْحَـكِ أَنَّنِـي ... حَلَفْـتُ يَمِينًـا لَا أَخُـونُ أَمِينِـي

أي: مُؤْتَمَني»[2].

واصطلاحًا:

□ **قال الكفويُّ: «الأمانةُ: كلُّ ما افترض الله على العبادِ فهو أمانةٌ كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدُهَا الودائعُ، وأوكدُ الودائع كتمُ الأسرار، وقال في موضعٍ آخرَ: كُلُّ ما يُؤتَمَنُ عليه منْ أموالٍ وحُرَمٍ وأسرارٍ فهو أمانةٌ[3]»[4]. اهـ.**

□ **قال الشيخ عبد الرحمن حبنَّكة الميداني في كتابه القيِّم «الأخلاق**

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٧١)، و«لسان العرب» (١٣/ ٢٢).

(٢) «الأضداد» (٢٤).

(٣) «الكليات» للكفوي (١٧٦ - ١٨٦) بتصرف يسير.

(٤) «نضرة النعيم» (٢/ ٥٠٧ - ٥٠٩).

الإسلامية وأُسُسُها»: «الأمانة أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره، وهي ضد الخيانة.

والأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عمَّا ليس له حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس.

فمن تهيأ له أن يهضم دينًا عليه دون أن يكون لدى الدائن ما يثبت به حقه، فعف عن ذلك ولم يفعل وأدى ما عليه من حقٍّ كاملًا غير منقوص فهو أمين حقًّا.

ومن تهيأت له فرصة اختلاس أموال غيره دون أن يشعر به أحد من الناس، ودون أن يكون عرضة لاكتشاف لصوصيته، فعف عن ذلك ولم يفعل، فإنمَا ذلك أثر من آثار الأمانة في نفسه.

ومن كان يؤدي الودائع التي عنده لأصحابها، مع أن أصحابها لا يملكون وثائق بها عليه، فهو أيضًا إنمَا يفعل ذلك بدافع خلق الأمانة الذي يتحلى به.

مجالات الأمانة:

ولا تقتصر الأمانة على العفة عن الأموال، بل العفة عن كل ما ليس للإنسان به حق هي أيضًا داخلة في حدود الأمانة، أو أثر من آثارها.

فالعفة عن العدوان على الأعراض من الأمانة، والعفة عن العدوان على الحقوق العلمية من الأمانة، والعفة عن الغش وتطفيف الكيل

والميزان من الأمانة، والعفة عن الغلول[1] من الأمانة، وتبليغ الرسائل الكتابية أو اللفظية إلى أصحابها من الأمانة، وتأدية حق النصيحة لكل مسلم من الأمانة، وتأدية حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمانة. وتأدية العبد حق ربه عليه من الأمانة، كالعبادات المفروضة والطاعة الواجبة، وكف العبد نفسه عمَّا حرم الله عليه من الأمانة؛ لأن العبد المكلف مستأمن على ما وضع الله بين يديه وما وضع تحت سلطته من أشياء، سواء أكانت داخلة في حدود ذاته أو خارجة عنها، الحق في كل ذلك هو لله وقد استأمن الله عباده عليها، فأذن لهم بأشياء وحرم عليهم أشياء، فمن تجاوز حدود الإذن الإلهي فاعتدى على ما ليس به حق فقد خان الأمانة، فالطاعة لله من الأمانة، والمعصية لله من الخيانة.

ومن الأمانة إعطاء كل ذي حق حقه، فالعدل من الأمانة، والجور والظلم من الخيانة. ومن الأمانة الاهتمام بأن يحفظ المستأمنون ما تحت أيديهم من حقوق لغيرهم، حتى يؤدوها إلى أصحابها وهي على حالتها حينمَا استؤمنوا عليها، ما لم يكن مرور الزمن يغير منها بصفة طبيعية معلومة.

وهكذا تتعدد مجالات خلق الأمانة وتتسع دوائرها.

ولمَّا كانت الأمانة مرتبطة بمبدأ الحق كان من يحب الحق ويؤثره يجد نفسه مدفوعًا لأن يكون أمينًا على حقوق الآخرين، وإن تحركت مطامعه أو شهواته للاستيلاء عليها.

والأمانة مصدر كالأمان، والأمان من الأمن هو ضد الخوف، وحين

---

(١) الغلول: هو العدوان على الأموال العامة للمسلمين.

تنعدم مسببات الخوف يحصل الأمان في النفوس. ولمَّا كان الأمين إنسانًا مأمون الجانب لا يُخشى عدوانه على حقوق غيره كانت ساحته ساحة أمان، ليس فيها أي مثير للخوف على المَال، أو على العرض، أو على الحياة، ولذلك سميت الخصلة التي يتحلى بها الأمين على حقوق الآخرين أمانة، ولمَّا كانت هذه الخصلة داخلة في ميدان الأخلاق كانت إحدى الفروع الأخلاقية، ولمَّا كان أساسها الحق كانت إحدى الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره.

□ وقد ظهر لنا من تعريف الأمانة أنها تشتمل على ثلاثة عناصر:

الأول: عفة الأمين عمَّا ليس له به حق.

الثاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍّ لغيره.

الثالث: اهتمَام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها[1].

---

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» لعبد الرحمن حبنكة الميداني (١/ ٦٤٦- ٦٤٧).

الأمانة في القرآن الكريم

□ ذكر ابن الجوزي في كتابه «نزهة الأعين النواظر»[(١)] - نقلًا عن بعض المفسِّرين أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجهٍ:

الأول: الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الثاني: الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

الثالث: العِفَّة (والصيانة): ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

وقد ذكر المولى عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم آمرًا بها ومؤكِّدًا شأنها وشأن أهلها، وتكرر لفظ الأمانة ومشتقّاتها في القرآن العظيم أكثر من أربعين مرة[(٢)].

* وعمَاد ما ورد في شأن الأمانة تعظيمًا، وإجلالًا، وإعلاء، لمن قام بها وحملها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب]. إذ دَلَّ على عظم منزلة الأمانة، وتفرد الإنسان بحملها.

---

(١) «نزهة الأعين النواظر» (١/ ١٠٥، ١٠٦)، وقد أضفنا إلى الوجه الثالث لفظ (والصيانة) نقلا عن الفيروزأبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٥٣) ولم يذكر الفيروزأبادي سوى الوجهين الأول الثالث.

(٢) انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص٨١- ٨٩).

□ قال الشيخ ابن جبرين: «إن المقصود بالأمانة العامة هي العبادة، وهي التي ذُكِرت في الآية الكريمة».

فقد عرض الله هذه الأمانة على أعظم مخلوقاته: على السموات مع عِظم خَلْقِها، وعلى الأرض - أيْ: جنس الأرض - مع عِظَمها، وعلى الجبال مع قوّة خلِقها وصلابتها؛ فأشفقت وتبرَأت منها ولم تتحمَّلها، مع أن هذه المخلوقات مُذَلَّلة لأمر الله، لا تستعصي، ولا تخرج عن الطاعة التي كُلِّفت بها.

* وقد ذكر الله أن هذه المخلوقات مطيعة لربها، مسخَّرة لِمَا كُلِّفت به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

فهذه المخلوقات من الجبال وغيرها قد تبرّأت من هذه الأمانة، وأشفقت منها، وأمتنعت من تحمُّلِها على خشيتها وطاعتها لله، وقد تحملَّها الإنسان على ضعفه! تحمَّلها الإنسان والتزم بها، فلابد أن يؤديها، ويقوم بها حق القيام، وإذا لم يقم بها وفرّط يها فإنه مسؤول عنها أمام الله مستحق للعقوبة بتركها وخيانتها»[1].

□ قال الشنقيطي في «أضواء البيان»: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السموات والأرض والجبال، وأنهُنَّ أَبَيْنَ أن يحمِلْنَها وأشفقن منها، أي: خِفْن من عواقب حملها أن ينشأ لهنَّ من ذلك عذاب الله وسخطه، وهذا العَرْض والإباء، والإشفاق كلُّه حق، وقد خلق الله للسموات

---

(١) «الإمانة» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ص٧، ٩).

والأرض والجبال إدراكًا يعلمه هو جل وعلا، ونحن لا نعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبتْ وأشفقت، أي: خافت.

* ومثل هذا تدل عليه آيات وأحاديث كثيرة فمن الآيات الدالة على إدراك الجمادات المذكور قوله تعالى في سورة البقرة في الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، فصرّح بأن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وهذه الخشية التي نسبها الله لبعض الحجارة بإدراك يعلمه هو تعالى.

* ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[الإسراء: ٤٤].

* ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

* وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، راجع للفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ مُجَرَّدًا عن إرادة المذكور منه، الذي هو آدم.

والمعنى: إنه أي الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا أمران:

أحدهما: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذَّب ومرحوم في قوله تعالى بعده متَّصلًا به: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ

﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)﴾ [الأحزاب]، فدلَّ هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المُعَذَّب، والعياذ بالله، وهم المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات. واللام في قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل، وهي متعلقِّة بقوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾.

الأمر الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرَّد اللفظ دون اعتبار المعنى التفصيلي معروف في اللغة التي نزل القرآن بها، وقد جاء فعلًا في آية من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ راجع إلى لفظ «المعمَّر» دون معناه التفصيلي؛ كمَا هو ظاهر. وهذه المسألة هي المعروفة عند علمَاء العربية بمسألة: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر، كمَا ترى.

وبعضُ من قال من أهل العلم: إن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ عائد إلى آدم، قال: المعنى: إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا، أي: غرًّا بعواقب الأمور، وما يتبع الأمانة من الصعوبات، والأظهر ما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى»(١).

ومن الآيات الواردة في الأمانة:

أوَّلاً: ما يؤتمن عليه الإنسان من الفرائض والتكاليف:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾ [الأنفال].

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٦/ ٤١٠ - ٤١٢)- طبعة المكتبة التوفيقية.



* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ .. ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ثانيًا: ما يُؤتمن عليه الإنسان من ودائع ونحوها:

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج].

ثالثًا: ما يؤتمن عليه الإنسان من الأعراض «العفة والصيانة» والتكاليف:

* قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

رابعًا: أمانة الرُّسل: «ما يُؤتمن عليه الرسل والملائكة في التبليغ عن الله عَزَّ وَجَلَّ».

الأمانة من أبرز أخلاق الرسل:

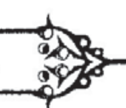
من الملاحظ في أسس العقيدة أن الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنها شرط أساسي لاصطفائهم بالرسالة، فلولا أن يكونوا أمناء لَمَا استأمنهم الله على رسالاته لخلقه.

* ففي شأن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

فعرض هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه من صفاته أنه أمين، وهذه الصفة من صفاته لابد أن تكون معروفة لديهم قبل أن يبعثه الله رسولًا، ومن شأن الأمين أن يكون موثوقًا به في نقل الأخبار وتبليغ الرسالات.

* قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى في شأن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾



﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى عن كليمه موسى ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ [الدخان].

رسول الله ﷺ الأمين:

كانت الأمانة خُلُقًا بارزًا ظاهِرًا من أخلاق رسول الله ﷺ اشتهر به رسول الله ﷺ بين قومه قبل الرسالة، وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولمَا هاجر ﷺ وَكَّل عليَّ بن أبي طالب بردِّ الودائع إلى أصحابها[(١)].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعثَ عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمنِ بذُهَيْبَةٍ [(٢)] في أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ [(٣)]، لم تحصَّلْ من ترابها [(٤)]. قال فقسمها بين أربعة نفرٍ: بين عيينة بن بدْرٍ، وأقْرع بن حَابِسٍ، وزيد الخيل، والرَّابعُ إمَّا علْقمةُ وإمَّا عامرُ بن الطُّفيل. فقال رجلٌ من أصحابه: كنَّا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاءِ. فبلغ ذلك النَّبِيَّ ﷺ فقال: **«أَلَا تَأْمَنُونِي وأنَا أَمِينُ مَنْ في السَّمَاءِ، يَأتِيني خَبَرُ السَّماءِ صَبَاحًا ومَسَاءً؟»**

---

(١) انظر: «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٨).

(٢) ذُهَيبَة: تصغير ذهبة بمعنى القطعة.

(٣) أديم مقروظ: أيْ في جِلْد مدبوغٍ بالقَرَظ، والقَرَظ حَبٌّ يؤخذ من ثمر شجر العضاه.

(٤) لم تُحصَّل من ترابِها: لم تُميَّز ولم تُصفَّ من ترابِ معدنها.

قال: فقام رجلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتيْنِ [(١)]، نَاشِزُ الجَبْهَةِ [(٢)] كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإزَارِ. فقال: يا رسول الله اتَّقِ الله! قال: «ويْلَكَ: أو لستُ أحَقَّ أهلِ الأرْض أَنْ يَتَّقِيَ الله؟» قال: ثُمَّ وَلَّى الرَّجل. قال خالدُ بن الوليدِ: يا رسول الله ألَا أضْرِبُ عنقه؟ قال: «لا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي». فقال خالدٌ: وَكَمْ منْ مُصَلٍّ يقول بلسانِهِ ما ليسَ في قلبهِ. قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ قُلُوبَ النَّاسِ [(٣)] وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ». قال: ثمَّ نظر إليه وهو مُقَفٍّ [(٤)] فقال: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ [(٥)] هذا قومٌ يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبًا لا يُجَاوِزُ حناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». وأظُنُّهُ قال: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ [(٦)]» [(٧)].

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان على رسول الله ﷺ ثَوْبانِ قطْرِيَّانِ غَلِيظانِ. فكان إذا قعد فعرقَ، ثَقُلَا عليه، فقدم بَزٌّ [(٨)] من الشام لفلانٍ اليهوديِّ. فقلت: لو بعثْتَ إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرةِ. فأرسل إليه فقال: قدْ علمْتُ ما يريد. إنمَّا يريدُ أنْ يذهب بمَالي أو بدَرَاهِمي. فقال

---

(١) مشرف الوجنيْن: أي غليظها. والوجنتان: تثنية وَجْنة وهي ما ارتفع من لحم الخَدِّ.

(٢) ناشز الجبهة: أي مرتفعها.

(٣) لم أومر أن أُنقِّب عن قلوب الناس: أي أُفَتِّش وأكشف.

(٤) وهو مُقَفٍّ: أي ذهب مُوَلِّيًا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره.

(٥) ضئضئ هذا: هو أصل الشيء. وهو بالمُعْجَمتيْن والمهملتيْن.

(٦) قتل ثمود: يعني الاستئصال.

(٧) رواه البخاري «الفتح» (٧/ ٤٣٥١) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٤).

(٨) البَزُّ: الثياب.. ضرب من الثياب.. انظر «لسان العرب» «بزز».



رسول الله ﷺ: «**كَذَبَ. قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لله وآداهُمْ للأَمَانَةِ**»[(١)].

* وجبريل عليه السلام أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤)﴾ [الشعراء].

ولولا صفة الأمانة فيه لَمَا حصلت الثقة بما يبلِّغ عن الله من شرائع، ولَمَا اصطفاه الله لحمل رسالاته إلى رسله من البشر.

وكذلك حال الرسل من البشر، لولا صِفة الأمانة فيهم لمَا حصلت الثقة بمَا يبلِّغون عن ربهم، ولَمَا اصطفاهم الله لحمل رسالاته للناس»[(٢)].

الأمانة والفِطْرَة:

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين؛ رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر. حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأمانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ**[(٣)] **قُلوبِ الرِّجَال، ثم علموا من القرآن، ثم علمُوا من السُّنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينامُ الرَّجل النَّومَة فتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه، فيظلُّ أثرُها مثل أثَر الوَكْت**[(٤)]. **ثم**

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في كتاب البيوع - باب ما جاء الرخصة في الشراء الأجل (١٢١٣)، والنسائي (٧/ ٢٩٤) -كتاب البيوع: باب البيع إلى أجل معلوم. وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (ص٢١٦).

(٢) «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٩).

(٣) جَذْر: أي في أصلها، ويقال: جِذْر بكسر الجيم وبفتحها. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٥٠)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٣٤).

(٤) الوَكْت: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢١٨).

ينامُ النومةَّ فتُقبضُ، فيبقى أثرها مثل المَجْل [١]، كجمرٍ دحْرجْتَهُ على رجْلِك فنَفِطَ [٢]، فتراه مُنْتَبِرًا [٣] وليس في شيء. فيُصبحُ الناس يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يُؤدي الأمانة، فيُقالُ: إن في بَني فُلانٍ رجلًا أمينًا. ويقال للرجل: ما أعقلَهُ وما أظرَفَهُ وما أجلدهُ، وما في قلبه مثقَالُ حبَّة خَردَلٍ من إيمانٍ. -ويقول حذيفة-: ولقد أتى زمانٌ وما أبَالي أيكم بَايعت، لئن كان مسلمًا رَدَّهُ عليَّ الإسلام، وإنْ كان نصرانيًّا رَدَّهُ على ساعيه. فأمَّا اليوم فما كنتُ أبايع إلَّا فُلانًا وفُلانًا» [٤].

ففيه دلالة على «حقيقة من حقائق التكوين الخلقي الفطري في الناس، وهذه الحقيقة تثبت أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء؛ لأن الله تعالى بالتكوين الفطري قد أنزل خلق الأمانة فوضعه في جذر قلوب الرجال، أي في أصل قلوبهم..، ثم نزلت شرائع الله التي أنزلها في كتبه، وبينها القرآن الكريم أحسن بيان، وبينتها سنة الرسول ﷺ، فكانت تغذية وتنمية لمَا غرسه الله تعالى في قلوب الرجال من فطرة قائمة على الأمَانَة في

---

(١) المجل: أثر العمل في اليد. المرجع السابق (٤/ ٣٠٠).

(٢) فَنَفِطَ: أي صار منتفطًا وهو المنتبر، يقال: انتبر الجرح وانتفط: إذا ارتَفَعَ وَوَرِمَ «لسان العرب» (١٤/ ٢٤١)، و(١٤/ ١٩)، و«القاموس المحيط» (ص٦١٦)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٩).

(٣) منتبرًا: أي مرتفعًا. «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ٥٣٧).

(٤) رواه البخاري -واللفظ لَهُ- في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم الحديث (٦٤٩٧)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب، رقم الحديث (١٤٣)، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

أصل تكوينها»[١].

فهذه الفطرة المستقيمة استحسنت الأمانة منذ بدء الخلق، إلَّا أنها كانت محكومةً بحكم الشرع، فهي إذا زاغت عن الشرع انحرفت عن الأمانة وقَصَّرَت فيها وفَرَّطَت، سواء أكان بسبب الظلم أم الجهل، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في أكثر من موضع في تفسيره، من هذه المواضع ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: «يجوز أن يراد: ظلومًا في فطرته، أي في طبع الظلم والجهل، فهو مُعَرَّضٌ لهمَا ما لم يعصمه وازع الدِّين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها»[٢]، وصرح به محمد رشيد رضا في قوله: «الأصل أن يكون الناس أمناء يقومون بوازع الفطرة والدِّين، والخيانةُ خلاف الأصل»[٣].

ويصف صاحب «الظلال» هذه الأمانة بأنها: «أمانة الهداية والمعرفة والإيمَان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه. فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة. فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمَان به، والاهتداء إليه، ومعرفته، وعبادته، وطاعته. وألزمه طاعة نَامُوسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه.. والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته وإلى عقله.. وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله تعالى، بعون من الله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾

---

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها»(١/ ١٨٥)، وانظر: (١/ ٤١٨، ٦٥١، ٦٥٣).

(٢) «تفسير التحرير والتنوير» (٢٢/ ١٣٠)، (٢٢/ ١٣١).

(٣) «تفسير المنار» (٥/ ١٧٦- ١٧٧).

[العنكبوت]، وهذه أمانة حملها الإنسان، وعليه أن يؤديها أول ما يؤديها من الأمانات»(١).

□ قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: «المراد بالأمانة في حديث حذيفة: الإيمَان، وتحقيق ذلك فيمَا ذكر من رفعها، أن الأعمَال السيئة لا تزال تُضعِف الإيمَانَ، حتى إذا تناهى الضَّعْفُ لم يبق إلّا أثر الإيمَان -وهو التلفُّظ باللسان- والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب. فشبهه بالأثر ظاهر البدن، وكنّى عن ضعف الإيمَان بالنَّوم، وضرب مثلًا لزهوق الإيمَان عن القلب حالًا بزهوق الحجر عن الرِّجْل، حتى يقع بالأرض»(٢).

بين الأمانة والميثاق:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف].

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمَان(٣) يوم عرفة، وأخرج مِن صُلْبه كل ذريّة ذرأها فنثرهم بين يديْه كالذَّرِّ، ثم كلَّمَهم قُبُلًا قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ

---

(١) «الظلال» (٢/ ٦٨٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

(٣) يعني: عرفة.

وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف]»[1].

وللجمع بين الآية والحديث جواب.

«والجواب: أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم، لمَا علم أنهم كلهم بنوه، وأُخرجوا من ظهره» اهـ من البغوي.

* وقوله تعالى: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ . أي: أشهد بعضهم على بعض، وقرَّرهم بالتوحيد، وقال لهم: ألست بربكم وخالقكم؟ قالوا: بلى.

وذلك على اعتبار أن شهادة القريب على القريب أقوى من شهادة البعيد على البعيد؛ ولذلك تكون شهادة النبي على قومه، أقوَى في دلالتها؛ لإنه الحريص عليهم، والمنافح عنهم.

□ ويحتمل – والله أعلم- أن يكون إشهاد كل إنسان على نفسه، وتقريره بنفسه.. وهذا أبلغ، وأقْطع عند المنازعة يوم القيامة، حيث أن الإنسان يوم القيامة لا يقبل – أثناء محاجته لربه عَزَّ وَجَلَّ- إلَّا شهيدًا عليه من نفسه، لذا يختم على فيه، فلا يستطيع الكلام، وتنطق جوارحه فتشهد عليه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٢)، والنسائي في «تفسيره» (١/ ٥٠٦ رقم ٢١١)، و«سننه» (١/ ٨٩) رقم (٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٧- ٢٨) (٢/ ٥٤٤)،وابن أبي عاصم، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٢) نسخة أحمد شاكر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٣)، و«صحيح الجامع» (١٦٩٧) .

* وقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾ يحتمل أن يعود الضمير إلى الله عز وجل، ويحتمل رجوعه إلى الملائكة أنهم يشهدون على إقرار بني آدم، ويحتمل أن يكون هو خبر عن قول بني آدم بعضهم على بعض، فيشهد بعضهم على بعض.

ويحتمل – والله أعلم- أن يكون كل إنسان يشهد على نفسه، بمَا نطق به، وأقرّه، واعترف به من وجود الله تعالى، والإيمَان بوحدانيته، وعدم الشريك له..

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ وأما العهد والميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على ذرية آدم عليه السلام فيوضِّحه حديث أنس رضي الله عنه التالي.

• فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو كان لك ما في الأرض من شيء أكنتَ مفتديًا به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلْب آدم؛ أن لا تُشرك في شيئًا، فأبيْت إلَّا أن تُشرك بي**»[(١)].

□ قال القاضي عياض: «يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية. فهذا الميثاق الذي أُخِذ عليهم في

---

(١) رواه البخاري واللفظ له – كتاب أحاديث الأنبياء- باب خلق آدم وذريّته، و«صحيح مسلم» كتاب صفات المنافقين- باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا- رقم (٥١- ٥٣).

صُلْب آدم، فمن وَفَّى به بعد وجوده في الدنيا: فهو مؤمن، ومن لم يُوَفِّ به فهو الكافر».

□ لقد عرض الله سبحانه وتعالى الأمانة على آدم عليه السلام - بعد اعتذار السموات والأرض والجبال عن حملها، فتحمَّلها، كمَا مَرَّ. وأخرج ذريته بعد هبوطه إلى الأرض وأخذ عليهم العهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الذي أخذه الله تعالى على جميع البشر، من لدن آدم عليه السلام حتى آخر إنسان على سطح الأرض.

وهذا العهد الذي يمثِّله قوله تعالى لبني آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وجوابه على لسان بني آدم ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ هو الأمانة التي كان قد تحملَّها آدم عليه السلام مِن قبل»[(١)].

□ قال الأصبهاني: «الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهي عين الإيمَان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء ما أُمِر به، واجتنب ما نهي عنه»[(٢)].

الإيمان والأمانة:

* أثنى الله عز وجل في أكثر من آية على رعاية المؤمنين للأمانة، وفي هذا إعلاءٌ لشأنها، من هذا الثناء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون:٨]، و[المعارج: ٣٢]. فجعلها صفة بارزة للمؤمنين.

□ قال ابن كثير: «إن المؤمنين «إذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى

---

(١) انظر: «الأمانة العظمىٰ ونبيها ﷺ» لخليل إبراهيم مَلاَ خاطر (ص٥٠- ٦٢)- دار القبلة للثقافة الإسلامية.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أَوْفَوا بذلك»[١].

وجمع الله الأمانات باعتبار تَعدُّد أنواعِها وتعدُّدِ القائمين بحفظها، وذلك تنصيص على العموم [٢]، والحكمة في جمع الله تعالى الأمانة دون العهد - والله أعلم - أن الأمانة أعمّ من العهد، ولذا فكُلُّ عهد أمانة»[٣].

• وقد ربط النبي ﷺ بين الأمانة والإيمَان أَيّما رباط، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلمُ من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنه الناس على رعائهم وأموالهم**»[٤].

• وقال ﷺ: «**المؤمن من أَمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هَجَر الخطايا والذنوب**»[٥].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله إلّا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهدَ له**»[٦].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٦٣).

(٢) «تفسير التحرير والتنوير» (١٨/ ١٦).

(٣) «فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٦٤٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي (٢٦٢٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦)، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن «واثلة»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٢)، و«صحيح الجامع» (٦٧١٠).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه عن فضالة بن عبيد، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩)، و«صحيح الجامع» (٦٦٥٨).

(٦) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٥ و١٥٤ و٢١٠)، وابن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٥)، و«تخريج الإيمان» لابن أبي شيبة (٧)، و«صحيح الجامع» (٧١٧٩).

الأمانة جالبة لمحبة الله ورسوله ﷺ:

• قال رسول الله ﷺ: «**مَن سَرَّهُ أن يُحِبَّهُ الله ورسوله فليَصْدُق حَدِيثَهُ إذا حدَّث، وليُؤَدِّ أمانَتَه إذا ائتُمِن**»(١).

الأمانة وَصِيَّةٌ يتواصى برعايتها المسلمون:

• ففي حديث قزعة قال: قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هَلُمَّ أُوَدِّعك كمَا وَدَّعني رسول الله ﷺ: «**أستودِعِ الله دينك وأَمَانتَكَ، وخواتيمَ عَمَلِك**»(٢).

ولفظ الترمذي: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول للرَّجُل إذا أراد سَفَرًا: ادْنُ مني أُوَدِّعْك كمَا كان رسول الله يُوَدِّعنا: «**أستودِعُ الله دينَك وأمانتك وخواتيم عملك**».

• وعن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال: «**أستودِعُ الله دينكُم، وأمانَتكُم، وخواتيم أعمالِكم**»(٣).

---

(١) حسن: أخرجه اليهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٠١) برقم (١٥٣٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» برقم (٢٦٦، ٢٧٣) مرسلاً عن الزهري من حديث عبد الرحمن بن أبي قراد، وذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (١/ ٧٨٤)، والخطيب في «مشكاة المصابيح»، وحسنه الألباني في «تحقيق مشكاة المصابيح»، رقم الحديث (٤٩٩٠) (٣/ ١٣٩١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الجهاد – باب في الدعاء عند الوداع، (٢٦٠٠)، ورواه الترمذي (٣٤٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ١٢٢- ١٢٣)، و«صحيح الجامع» (٩٥٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠١)، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، و«الصحيحة» (١٥)، و«صحيح الجامع» (٤٦٥٧).

والأمانة فرض:

* قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يُرخِّص الله تعالى لموسرٍ ولا مُعْسِر أن يمسكَ الأمانة»(١).

□ وقال القرطبي: «هذه الآية من أمهات الأحكام، تضمَّنت جميع الدين والشَّرائع»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنكَ، ولا تَخُنْ من خانكَ**»(٣).

يجب أداء الأمانة حتى مع المخالفين في الدين، وحذّر النبي ﷺ من الخيانة عمومًا، ولا يتوقّف التحذير على مجرّد الخيانة، بل يشمل خيانة من خان في أمرٍ ما، وذلك بأن يُقابل بالمِثْل؛ لأن «الخيانة ليست من الاعتداءات التي تُقابل بالمثل»(٤).

□ قال ميمون بن مهران: «ثلاثة يُؤَدَّين إلى البر والفاجر: الأمانة،

---

(١) «تفسير البحر المحيط» (٣/ ٢٨٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٤٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب، والبخاري في «التاريخ»، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة. ورواه الدارقطني، والضياء عن أنس، والطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة، وأبو داود عن رجل من الصحابة، والدارقطني عن أُبيّ بن كعب، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٢٤)، و«صحيح لجامع» (٢٤٠).

(٤) «الفضائل الخلقية في الإسلام» (ص٢٣٨).

والعهد، وصلة الرَّحم»(١).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرَّجُل راعٍ في أهله، وهُو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيِّده، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ،وكلكم مسؤول عن رعيته»(٢).

• ولفظ مسلم: «ألا كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكُم مسؤولٌ عن رَعيَّتِه، فالأميرُ الذي على الناس رَاعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ رَاعٍ على أهل بَيتِه، وهُو مسؤُولٌ عنهم، والمرأةُ رَاعِية على بَيتِ بَعلِها وولَدِه، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سَيدِه، وهو مسؤُولٌ عنه. ألا فكُلُّكُم راع، وكُلُّكم مسؤُولٌ عن رعيته»(٣).

والرعاية بمعنى الحفظ والأمانة (٤)، فكلّ هؤلاء المذكورين في الحديث رعاةً وحكامًا على اختلاف مراتبهم، مُؤتمنون بأمانات يجب الوفاء بها، قال النووي في شرحه للحديث: «الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أَنَّ كل من كان

(١) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٠/ ١١٢).

(٢) رواه أحمد، والبخاري في كتاب «الجمعة»، باب الجمعة في القرىٰ والمدن (٨٩٣)، ورواه مسلم في كتاب «الإمارة»- باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٩)،ورواه أبو داود، والترمذي.

(٣) مسلم (١٨٢٩).

(٤) «بهجة النفوس وتحلّيها بمعرفة ما لها وعليها» لعبد الله بن أبي جمرة (٢/ ٤٦).

تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»[(١)].

الأمانة والرحم على جنبتيْ الصراط:

يا لَعِظم الأمانة والرَّحِم عند الله وكبير موقعهما عند مالك الملوك ﷻ، يصورهما الله ﷻ مشخَّصتيْن على الصفة التي يريدها الله.. فأعدّ لهذا الموقف رعاية للأمانة سهَّل الله لنا ولك مرورًا على الصراط:

• عن حُذيفةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتَّى تُزْلَفَ**[(٢)] **لهم الجنَّةُ. فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفْتِحْ لنا الجنَّة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنَّةِ إلَّا خطيئةُ أبيكم آدم، لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيمُ: لستُ بصاحب ذلك، إنما كنت خليلًا من وراءَ وراءَ**[(٣)]**، اعمدوا إلى موسى** عليه السلام **الذي كلَّمَهُ اللهُ تكليمًا. فيأتون موسى** عليه السلام **فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك. اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله وروحِهِ. فيقولُ عيسى** عليه السلام**: لستُ بصاحبِ ذلك. فيأتون محمَّدًا** ﷺ **فيقوم فيؤذن له. وترسل الأمانةُ والرحمُ فتقومان جنبتي الصِّراطِ يمينًا وشمالًا. فيمُرُّ أولكم كالبرقِ**». قال: قلت: بأبي أنت وأمي أيُّ شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمُرُّ ويرجعُ في طرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ. ثمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وشدِّ الرِّحالِ**[(٤)]

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).

(٢) تُزْلَف: تُقَرَّب.

(٣) وراء وراء: كلمة مُؤكدة كشذر مذر، وشغر مغر، فركَّبها وبناهما على الفتح.

(٤) شدّ الرِّحال: الشدُّ هو العَدْوُ البالغ الجرْي.

تَجْري بهم أعمالهم [١] ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ يقول: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ حتى تعجز أعمالُ العبادِ حتى يجيءَ الرَّجُلُ فلا يستطيع السير إلَّا زحفًا». قال: «وفي حافتي الصِّرَاط كلالِيبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أمرتْ به. فمخْدُوشٌ ناجٍ ومكْدُوسٌ [٢] في النَّار» [٣].

الأمين في سبيل الله:

• عن رافع بنِ خَدِيج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العامِلُ على الصَّدَقةِ بالحقِّ كالغازي في سبيل الله حتى يرجعَ إلى بيتِهِ**» [٤].

ثناء الرسول ﷺ على الأمناء:

• أثنى النبي ﷺ على أمانة الأزد [٥] فقال ﷺ: «**المُلْك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد**» يعني اليمن [٦].

---

(١) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: «**فيمرُّ أولكم كالبرق، ثم كمرِّ الريح**».

(٢) مكدوس في النار: أي مدفوع فيها.

(٣) رواه مسلم (١٩٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود في كتاب الخراج- باب في السُّعاة على الصدقة، رقم الحديث (٢٩٣٦)، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم (١/ ٤٠٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٢٨)، و«صحيح الترغيب» (٧٧١)، و«تخريج المشكاة» (١٧٨٥)، و«صحيح الجامع» (٤١١٧).

(٥) يُقال: الأزدي: مِن أزْد شنوءة، قبيلة يقال لها: الأزد، والأسد، وهم من اليمن انظر كتاب «الأنساب» للسمعاني (١/ ٩٦)، و«شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذي في كتاب «المناقب»- باب فضل اليمن (٣٩٣٦) عن أبي هريرة، وصححه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح سنن =

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الخازنُ الأمين الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طيِّبَةً نفسُهُ أحَدُ المتصدِّقين»**[(١)].

• وقال ﷺ: **«الخازن المسلم الأمينُ الذي يُعْطي ما أُمِر به كاملًا موفَّرًا طيِّبَةً به نفسُه فيدفعُهُ إلى الذي أُمِرَ لَهُ به؛ أحدُ المُتَصدِّقين»**[(٢)].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْطٍ فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ، فقال: **«يا غلامُ، هل منْ لبنٍ؟»** قال: قلت: نعم. ولكنِّي مؤْتَمَنٌ. قال: **«فهل منْ شَاةٍ لم يَنْزُ[(٣)] عليها الفحْلُ؟»** فأتيتُهُ بشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَها، فنزل لبنٌ، فحلَبَهُ في إنَاءٍ، فشربَ وسقَى أبا بكرٍ. ثمَّ قال للضَّرْعِ: **«اقْلِصْ»** فَقَلَصَ[(٤)]. قال: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بعد هذا. فقلتُ: يا رسول الله، علِّمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: **«يرحَمُكَ اللهُ، فإنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»**[(٥)].

«فمع أن عبد الله غلامٌ صغير إلَّا أنه بفطرته النقيّة قال: إنه مؤتمن على

الترمذي» و«الصحيحة» (١٠٨٣)، و«صحيح الجامع» (٦٧٢٩).

(١) رواه البخاري (٢٢٦٠)، ومسلم (١٠٢٣)، واللفظ له.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٣) نزا عليها الفَحْل أي وثب.

(٤) فقَلَص: أي اجتمع.

(٥) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٣٥٩٨) وقال الشيخ أحمد شاكر (٥/ ٢١٠): إسناده صحيح. وجاء بإسناد بعده. قال: فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة، فاحتلب فيها وشرب، وشرب أبو بكر وشربت. قال: ثم أتيته بعد ذلك. قلت: علِّمني من هذا القرآن، قال: إنك غلامٌ مُعَلَّم. قال: فأخذتُ من فيه سبعين سورة.

المَاشية ولبنها. ولم يفرِّطَ في الأمانة، رغم شرك عقبة وأذاه للمسلمين»[(١)].

الأمانة صفة الأنبياء:

□ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرني أبو سفيان أنَّ هِرَقْلَ قال له: سألتُك ماذا يَأْمُرُكم فزعمت أنه يأمُر بالصلاة والصِّدْق والعفاف والوفاء بالعَهْد وأداءِ الأمانة. قال: وهذه صفةُ نَبِيٍّ»[(٢)].

□ وعن أم سلمة رضي الله عنها في حديث هجرة الحبشة، ومن كلامِ جعفرٍ في مخاطبة النجاشيِّ. فقال له: أَيُّها الملك، كنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحِشَ، ونقْطَعُ الأرحام، ونسيءُ الجوار، يأكل القويُّ منا الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرفُ نسبَهُ وصدْقَهُ وأمانتهُ وعفافه فدعانا إلى الله، لنوحِّدَهُ ونعبده ونخلع ما كُنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث. وأداءِ الأمانةِ، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحدهُ ولا نشركَ به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزَّكاةِ والصِّيامِ، قال: فعدَّد عليه أمُورَ الإسلام، فصدَّقْنَاهُ وآمَنَّا، واتَّبعْنَاهُ على ما جَاءَ به..» الحديث[(٣)].

---

(١) انظر «الربَّانيون قدوة وعمل» لمحمد أديب صالح (ص١٤١- ١٤٢).

(٢) رواه البخاري (٦)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣/ ١٨٠): إسناده صحيح، وهو في «سيرة ابن هشام» (٢١٧- ٢٢١) عن ابن إسحاق، والحديث بطولة في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤- ٢٧)، وقال: رواه =

وأداء الأمانة سبب لدخول الجنة:

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمسٌ من جاءَ بهنَّ من إيمانٍ دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئِهنَّ وركوعِهنَّ وسجودِهنَّ ومواقيتِهِنَّ، وصامَ رمضان، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلًا وأعْطى الزكاةَ طيِّبةً بها نفسه. وأدَّى الأمانَةَ**». قالوا: يا أَبا الدرداءِ: وما أَداءُ الأمانةِ؟ قال: الغُسلُ من الجَنابَةِ[(١)].

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي سِتًّا من أنفسِكُم أضمنْ لكم الجنَّة؛ اصدقُوا إذا حدَّثتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتُم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكُمْ**»[(٢)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصِّدِّقين والشهداء**»[(٣)].

أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع.

(١) حسن: رواه أبو داود (١/ ٤٢٩)، وقال الألباني (١/ ٨٧): حسن، وأورده في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧) إلا أن السؤال وقع للنبي ﷺ لا لأبي الدرداء وزاد بعدها: «إن الله لم يأمن بني آدم علىٰ شيء من دينه غيرها»، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده جيد.

(٢) حسن: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان، والحاكم (٨١٣٠) (٥/ ٥١٣)، وحَسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٧٠)، و«صحيح الجامع» (١٠١٨).

(٣) جيد: رواه الترمذي (١٢٠٩) في كتاب البيوع- باب ما جاء في التجار، وقال عنه: حديث حسن، ورواه ابن ماجه (٢١٣٩) في كتاب التجارات- باب الحث علىٰ المكاسب عن ابن عمر بلفظ «**التاجر الأمين الصدوق المسلم، مع الشهداء**

=

أداء الأمانة لسبب للعُلُوّ والنفع والسعادة في الدنيا:

□ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أربع خلال إذا أُعطيتَهُنَّ فلا يَضُرُّكَ ما عُزل عنك من الدنيا، حُسْنُ خَلِيقةٍ، وعَفافُ طُمعة، وصِدْق حديثٍ، وحفظ أمانة»[1].

□ وعن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه قال: «خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ لهُ، ووضعوا السفرة لَهُ، فمر بهم راعي غنم، فَسَلَّمَ، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعٍ فأصب من هذه السفرة. فقال له: إني صائم. فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟ فقال: والله إني أبادر أيامي الخالية. فقال لَهُ ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه - وأمانته-: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي. فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولى الراعي عنه، وهو يرفع أصبعه إلى السمَاء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، يقول: قال الراعي: أين الله؟. قال: فلمَّا قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم»[2].

يوم القيامة». وأشار الألباني إلى ضعفه في «جامع الترمذي» (ص٢١٥)، وللحديث شواهد كثيرة، منا ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٨٧) (٢/ ٢٩٥- ٢٩٦)- كتاب البيوع- وقال الذهبي: هو حديث جيد الإسناد، صحيح المعنى، انظر: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» (٤/ ٣٣٣).

(١) «الأدب المفرد» (ص١٠٩).

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٤١). وهي قصة صحيحة.

* ولأداء الأمانة أثر في تحقق سعادة المرء في الدنيا، وتثبيت الله تعالى له، وحفظه في أهله وماله في حياته وبعد وفاته، وقد أخبرنا الله تعالى في قصة الخضر مع موسى عليه السلام حفظ أموال اليتيمين لصلاح أبيهمَا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

□ عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قال: كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحفظ الله تعالى له كنزه، حتى أدرك ولداه، فاستخرجا كنزهما»[1].

انظر من يبني جدار اليتيمين لأمانة والدهمَا.. إنهمَا نبيّان كريمَان على الله.. فانظر جلالة الأمانة وعظمها.

□ وقد سأل بعض خلفاء بني العبّاس بعض العلمَاء أن يُحدِّثه عمن أدرك، فقال: «أدركت عمر بن عبد العزيز، قيل له: يا أمير المؤمنين أقفرت أفواه بنيك من هذا المَال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم؟ - وكان في مرض موته- فقال: أدخلوهم علي، فأدخلوهم، وهم بضعة عشر ذكرًا، ليس فيهم بالغ، فلمَّا رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني، والله ما منعتكم حقًّا هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنمَا أنتم أحد رجلين: إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أخلف لَهُ ما يستعين به على معصية الله تعالى، قوموا عني. قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مئة فرس في سبيل الله؛ يعني أعطاها

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨٧).

لمن يغزو»[١].

وبأمانة التُّجَّار المسلمين وصدقهم دخل الناس في دين الله أفواجًا:

إن أثر التجار الأمناء الصادقين في انتشار الإسلام لا يقلّ عن أثر الجيوش في الفتوحات الإسلامية، بل إنه فاق أثر هذه الجيوش، ووصل إلى مناطق لم تدخلها جيوش المسلمين، وإنمَا دخلها التجار المسلمون بأمانتهم كمناطق جنوب شرق آسيا، وغرب أفريقيا، ووسطها.

ولمكارم الأخلاق وعلى رأسها الأمانة أسرع كرام الناس إلى اعتناق الإسلام لدعوته إليها..

وما أسلم صفوة الصحابة على يد أبي بكر الصِّدِّيق إلَّا لمَا عهدوه فيه من خُلُق وأمانة فأسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم إلَّا لمخالطتهم الصِّديق التاجر الأمين وما لمسوه من أخلاقه الكريمة..

ولمَا سمع حكيم العرب أكثم بن صيفي قول الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل]، قال لقومه: «أيْ قوم، إنه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابًا»[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٤٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٦)، و«أسد الغابة» (١/ ١١٢)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١١٠) وأكثم بن صيفي التميمي: أحد المعمَّرين أدرك الإسلام، وخرج يريد النبي ﷺ، ومعه مئة من قومه، فمات في الطريق، وأمراض به أن =

لا عليك ما فاتك من الدنيا إنْ كنت أمينًا:

• قال رسول الله ﷺ: «**أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صِدْقُ الحديث، وحِفْظ الأمانةِ، وحُسن الخُلُقِ، وعفَّةُ مَطْعَم**»[١].

ضياع الأمانة من علامات النفاق، وفساد الزمان، وعلامة من علامات الساعة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِن خان**»[٢].

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالِصًا، ومَن كانت فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفَاقَ حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمِن خان، وإذا حَدَّث كذب، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصمَ فَجَر**»[٣].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ، يُصَدَّق فيها الكاذبُ، ويُكَذَّب فيها الصادقُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، وينطق فيها الرُّويبضة**». قيل: وما

يقدموا على رسول الله ﷺ ويُعلِموه بإسلامه. انظر: «أسد الغابة» (١/ ١١٢).

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمرو، ورواه ابن عدي، وابن عساكر عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٣٣)، و«صحيح الجامع» (٨٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي، والنسائي.

(٣) رواه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم.

الرُّويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلَّم في أمرِ العامة**»(١).

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف بكمْ، وبزمانٍ يُوشِكُ أنْ يأتيَ يُغَرْبَلُ الناسُ** (٢) **فيه غربلةً، ثمَّ تبْقى حُثَالةٌ** (٣) **من الناس قدْ مرجَتْ** (٤) **عهودهم وأماناتهم، فاخْتلَفُوا هكذا** – وشَبَّكَ بين أصابعهِ- قالوا: كيف بنا يا رسولَ الله إذا كان ذلك؟ قال: «**تأخذون بمَا تعرفون، وتدعُونَ ما تنكِرون، وتقْبِلون على خاصَّتِكم، وتذرون أمر عوامِّكم**»(٥).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّهُ سمع رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يُبغضُ الفُحْشَ والتَّفحُّشَ. والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لا تقوم الساعةُ حتَّى يُخوَّنَ الأمينُ، ويُؤْتمن الخائِنُ. حتَّى يظهر الفُحْشُ والتَّفحشُ. وقطعيةُ الأرْحَامِ وسوء الجوار. والذي نفس محمدٍ بيده إنَّ مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذَّهبِ، نفخَ عليها صاحبها فلمْ تغيَّرْ ولم تنقصْ. والذي نفسُ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩١، ٣٣٨)، وابن ماجه في «الفتن» (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٤٦٥، ٤٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٨٨)، و«صحيح الجامع» (٣٦٥٠).

(٢) يغربل الناس: يذهب خيارهم، ويبقىٰ شرارهم.

(٣) حثالة من الناس: الحُثالة: الردئ من كل شيء.

(٤) مرجت: اختلفت وفسدت.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٥٨) واللفظ له، وأبو داود (٤٣٤٣)، وأحمد، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥)، و«صحيح الجامع» (٤٥٩٤)، وقال الشيخ شاكر (٧٠٤٩): إسناده صحيح.

محمدٍ بيده إنَّ مثل المؤمن لكمثلِ النحلةِ أكلتْ طيِّبًا. ووضعت طيِّبًا. ووقعتْ فلم تكْسرْ ولم تفسد..». قال وقال: «ألا إنَّ لي حوضًا ما بين ناحيتَيْه كما بين أيلة إلى مكَّة»، أو قال: «صنعاء إلى المدينة، وإنَّ فيه من الأباريقِ مثل الكواكبِ، هو أشدُّ بياضًا من اللبنِ وأحْلَى من العسل. ومن شربَ منهُ شربة لا يظمأُ بعدها أبدًا»[1].

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُطبَعُ المؤمِنُ على كُلِّ خُلَّةٍ غيرَ الخيانة والكذب»[2].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينمَا النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يحدِّثُ القوم جاء أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ. فقال بعض القومِ: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمعْ. حتى إذا قضى حديثه قال: «أينَ أراهُ السَّائِلُ عن الساعةِ؟» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهْلِهِ فانتظر الساعة»[3].

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٢، ١٩٩، ٢٣٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (١١/ ٩٠): إسناده صحيح. وروىٰ ابن ماجه (٤٠٣٦) نحوه عن أبي هريرة.

(٢) سنده قوي: رواه البيهقي في «سننه» (١٠/ ١٩٧)، والبزار في «كشف الأستار» (١٠٤)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٧١١). وذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٠٨) وقال: سنده قوي. ونقل المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٦٣) عن المنذري قوله: رواته رواة الصحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٩٢): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٥٩).

العرب والأمانة:

□ عن عائشة رضي الله عنها: «لقد جاء الإسلامُ وفي العرب بضع وستون خصلة، كلها زادها الإسلام شِدَّةً، منها قرى الضيف، وحُسْن الجوار، والوفاء بالعهد»[(١)].

وقد أشاد المجتمع العربي بالأمانة، ورفع مكانة الأمين والأمناء، وجعلها من الصفات الرئيسة التي يسود بها شيوخ القبائل[(٢)].

□ ومن أقوال شعراء العرب في الثناء على الأمانة بيت لبيد:

وإذَا الأمانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ ... أَوْفَى بِأَوفَر حَظِّنَا قَسَّامُهَا[(٣)]

□ وقال زهير:

وحِفْظِي للأمانَةِ واصْطِبَارِي ... على مَا كانَ من ريبِ الزَّمَانِ[(٤)]

□ وقال النابغة:

سأرعى كل ما استودعت جهدي ... وقد يرعى أمانته الأمين[(٥)]

وما قصة أمانة السموْأَل ووفائه في عدم التفريط بالأمانة، والتي يضرب بها المثل، إلَّا صورة رائعة من صور الأمانة والوفاء في المجتمع.

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٤١).

(٢) «موسوعة القيم والأخلاق العربية والإسلامية» بإشراف د. مرزوق بن تذباك (٩/ ٢٦).

(٣) «ديوان لبيد» (ص١٨٠).

(٤) «ديوان زهير» (ص١٠٢).

(٥) «ديوان النابغة» (ص٢٦٢).

أمانة هانئ بن مسعود الشيباني في الجاهلية وانتصار العرب على الفُرس في يوم ذي قار[١]:

«وما اشتهر عن العرب في يوم ذي قار؛ الذي انتصر فيه العرب على الفرس، وذلك أن كسرى لمَا طلب مصاهرة النعمَان بن المنذر - وكان عاملًا لَهُ-، فرفض النعمَان، ثم أدرك أن كسرى سينتقم منه، فجعل يستعد ويتوقع حتى أتاه كتاب كسري: أن أقبل فإن للملك إليك حاجة، فطفق النعمَان يطوف قبائل العرب مستجيرًا، ولم يجره غير هانئ بن مسعود الشيباني، وأودعه دروعًا وودائع، فلمَّا قبض كسرى على النعمَان قتله، واستعمل إياس بن قبيصة على الحيرة، وبعث يطلب ما خلفه النعمَان، فبعث إياس إلى هانئ يأمره أن يرسل إليه ما استودعه من الدروع وغيرها، فرفض هانئ تسليم الأمانة التي عنده، فاجتمع العرب وقاتلوا الفرس فانتصروا في يوم ذي قار. وهذا اليوم يُعد مفخرة للعرب ترويها الأجيال للأجيال تربيةً واعتزازًا بالأمانة»[٢].

وكان النبي ﷺ معروفًا قبل البعثة بالأمانة، وما عرفت مكة أمينًا مثله ﷺ حتى سمّوه - قبل نبوته - بالأمين:

□ قال فيه عمه أبو طالب:

إن الأمين محمَّدًا في قومِه ... عندي يفوقُ منازلَ الأولادِ

---

(١) «نسبة للواقعة بين بكر بن وائل والفرس». وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص٣٧- ٣٨).

□ وقال أحمد شوقي واصفًا النبي ﷺ بالأمين:

لقَّبتموه أمينَ القوم في صِغَرٍ   وما الأمينُ على قولٍ بِمُتَّهَمِ

ولا أدل على ذلك من أنَّ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلَّا وضعه عنده، لمَا يعلم من أمانته [١]، حتى أن قريشًا قد شهدت له بالأمانة، في حادثة عند بناء الكعبة لمَا اختلفت وتَحَازَبت [٢] فيمن يضع الحجر، وحكموا أول داخل عليهم، فإذا هو محمد ﷺ - قبل نبوته- فقالوا: «هذا محمد الأمين قد رضيناه» [٣].

ﮃﮂﮂﮃﮃﮂ

---

(١) «سيرة النبي ﷺ» لابن هشام (٢/ ٩٨).

(٢) تحازبت: صارت أحزابًا وفرقًا.

(٣) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (١/ ١٧٢).

علو الهمة في مجالات الأمانة

الأمانة في العقيدة:

• قد مر معنا حديث حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَت فِي جِذْرِ قُلوبِ الرِّجَالِ**»، وهو يدل على أن الأمانة تكون في الإيمَان.

□ قال المباركفوري: «هي عين الإيمَان، أو كل ما يخفى ولا يعلمه إلَّا الله من المكلف..»[١].

□ وقال ابن تيمية في قوله ﷺ: «**نَزَلتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**»: «أي تنزل في قلوب المؤمنين من نوره وهداه..، وهو الإيمَان الذي هو إفضال المنعم، وهو أفضل النعم»[٢].

• والإيمَان وثيق الصلة بالأخلاق، وملازم لها تلازم الروح بالجسد، يقول رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤمِنِين إِيمَانًا أحسَنُهم خُلُقًا، وخِيَارُهُم خِيارُهُم لِنِسَائِهِم**»[٣]، ويتعلق ابن تيمية على الحديث بقوله: «فجعل كمَال الإيمَان في كمَال حسن الخلق»[٤].

□ ويصف الطحاوي أهل السنة بأنهم يحِبُّون أهلَ العدل والأمانة،

---

(١) «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» (٦/ ٤٠٤) للمباركفوري.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٠٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة»، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث (٤٦٨٢)، وصححه الألباني «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٥٩).

ويبغِضُون أهلَ الجَوْر والخيانة»(١).

وحيث إن الأمانة من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي ينضوي تحتها جميع أحوال العبد الدينية والدنيوية، فإن القيام بالأمانة من الإيمَان، والتفريط بها دلالة على ضعف الإيمَان، فالأمانة والإيمَان بينهمَا ترابط شديد، يدل عليه حديث أنس بن مالك ﷺ: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلَّا قال: «لا إيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَه، وَلا دِينَ لِمَن لا عَهْدَ لَه»(٢)، فقد ربط النبي ﷺ الأمانة وكون الإنسان مأمون الجانب بالإيمَان (٣)، وأن اختلال الأمانة مؤثر في صحة الإيمَان، فهنا النفي ليس نفي مطلق الإيمَان، ولكن لفظ الكمَال والتمَام (٤)، ويؤيد هذا أيضًا ما جاء عن عروة (٥) قوله: «ما نقصت أمانة الرجل إلَّا نقص إيمَانه»(٦)، وممَا يُعَضِّد ارتباط الأمانة بالإيمَان، تفسير الأمانة بالإيمَان في جملة من الأحاديث عند شرّاح السنة، من ذلك ما ذكره الأصبهاني أن الأمانة هي: «عين الإيمَان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء ما أُمِرَ به، واجتنب ما نُهِيَ عنه»(٧)، وللفيروزآبادي كلام في ارتباط الأمانة بالعقيدة، إذ يقول في معنى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾: «أي النية التي

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٦٤٧).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦٤٧)، و«فتح الباري» (١/ ٥٧).

(٥) ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، (أبو عبد الله المدني).

(٦) «الإبانة» لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي (٢/ ٨٥٢).

(٧) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠).

يعتقدها فيمَا يظهره باللسان من الإيمَان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر؛ لأن الله تعالى ائتمنه عليها.. فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة»(١).

أمانة الإيمان بالله تعالى:

«والأمانة في هذا الركن تقتضي أن يؤمن الإنسان بمَا ورد في الكتاب والسنة، ممَا يجب لله عَزَّ وَجَلَّ من التوحيد الكامل والعبودية التامة وإثبات أسمَائه وصفاته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل(٢)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه «قرأ الآية: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء]، وقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضع إبهَامَهُ على أذُنِهِ، والتي تَلِيهَا على عَيْنه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضعُ إصْبَعَيهِ»(٣).

والمعنى أنه ﷺ وضع سبابتيه على عينيه وإبهاميه على أذنيه، تأكيدًا أن الله عَزَّ وَجَلَّ يسمع ويرى، سمعًا وبصرًا حقيقيين، فاعلموا أن الله يسمعكم ويراكم فاتَّقُوا الله وأَدُّوا الأمانة(٤)» اهـ(٥).

---

(١) «القاموس المحيط» (ص١٥١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة»- باب في الجهمية رقم الحديث (٤٧٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر: «تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية» - حاشية (١/ ٤٩٧).

(٥) «الأمانة في الإسلام» (ص١٢٥).

أمانة الإيمان بالملائكة:

من الأمانة في الإيمَان بالملائكة أن نعرف النصوص التي وردت في شأن الملائكة عليهم السلام في الكتاب والسنة، ونوفق بينها.

* ومن الأمانة أن نتولى الملائكة الكرام بالحب والتوقير، وأن نتجنب الإساءة إليهم أو إذايتَهُمْ، خلافًا لمَا زعم اليهود أن جبريل عليه السلام عدو لهم، وأن ميكائيل عليه السلام وَلِيٌّ لهم، فكذَّبهم الله سبحانه في قوله تعالى[1]: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة][2].

أمانة الإيمان بالكُتب السماوية المُنَزَّلة:

□ قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الإيمَان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بمَا سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسمَاءها وعددها إلَّا الله تعالى»[3].

* وقد تكفل المولى عز وجل بحفظ القرآن العظيم، وما عداه من التوراة والإنجيل وَكِلَ حفظها إلى الربانيين والأحبار من اليهود والنصارى، ولكنهم حرَّفوها وبدَّلوها وغيروها وزادوا فيها ونقصوا، قال جل جلاله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٧٧).

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٢٨).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٤٢٣).

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة]، واختص المولى ﷻ القرآن الكريم بالحفظ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]، وجعله آخر الكتب المنزلة، وأعظمها والناسخ لجميعها.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القرآن أمينٌ على كل كتاب قبله»(١).

□ وقال ابن جريج: «القرآن آمينٌ على الكتب المتقدمة، فمَا وافقه منها فهو حقٌّ، وما خالفه فهو باطلٌ»(٢).

* فأمانة الإيمَان بكتاب الله ﷻ، تقتضي الاحتكام إليه في كل شؤون الحياة وقضاياها، صغرت أم كبرت، قال ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

ومن أمانة الإيمَان بكتاب الله تعالى، وتلاوته، وحفظه، والقيام به آناء الليل وأطراف النهار، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده»(٣).

أمانة الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

* الإيمَان بالرسل –عليهم الصلاة والسلام– هو الركن الرابع من

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٢٨).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٠).

أركان الإيمَان، فنؤمن بهم جميعًا ونجلهم ونعظمهم من غير غلو فيهم، فهم أفضل الخلق عند الله تعالى، ونحن بحاجة إليهم في إصلاح قلوبنا، وتزكية نفوسنا، وهداية عقولنا، يقول ابن تيمية: «الرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلَّا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمَان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمَات»[١].

* والمؤمنون يؤمنون بالرسل جميعًا، فكل رسول أرسله الله تعالى قد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة على الوجه الأكمل، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران]. فمن الرسل من قص الله ﷻ علينا خبره في كتابه، ومنهم من لم يقصص علينا خبره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٩٣- ٩٤)، (١٩/ ٩٦- ٩٩).

فيجب الإيمَان بجميع الرسل والأنبياء، سواء من جاء ذكرهم في القرآن الكريم والسنة النبوية، أو من لم يأت ذكرهم، «فلا نفرق بينهم بأن نؤمنَ ببعض، ونكفرَ ببعض، بل نؤمنُ بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو كافر بالكل»[(١)].

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

* وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

* ومن أمانة الإيمَان بالرسل -عليهم الصلاة والسلام- طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

ومن الأمانة اعتقاد أنهم معصومون ومنزَّهون عن الكذب والخيانة.

ومن أمانة الإيمَان بالرسل أن نؤمن بالآيات والمعجزات التي أيَّدَ الله تعالى بها رسله وأنبياءه[(٢)]، ومن أظهرها القرآن العظيم الذي جعله الله سبحانه معجزة لنبينا محمد ﷺ خاتم الرسل، يقول صاحب «الظلال»: لم يشأ الله تعالى أن ينزل آية قاهرة مادية تلوي الأعناق وتخضعها

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٣).

(٢) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١٢٣- ١٥٣).

وتضطرها إلى التسليم، ذلك أن الرسالة الأخيرة – التي أُرْسِلَ بها محمد ﷺ- رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للقريب والبعيد، لكل أمة ولكل جيل، والخوارق القاهرة لا تلوي إلَّا أعناق من يشاهدونه، ثم تبقى بعد ذلك قصة تروى، لا واقعًا يشهد..، فأما القرآن فها هو ذا بعد أكثر من – ثلاثة عشر قرنًا- كتاب مفتوح ومنهج مرسوم، يستمد منه أهل هذا الزمان ما يقوم حياتهم- لو هُدُوا إلى اتخاذه إمامهم- ويلبي حاجاتهم كاملة، ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل، وأفق أعلى، ومصير أمثل، وسيجد من بَعْدَها كثيرًا ممَا لم نجده نحن، ذلك بأنه يعطي بقدر حاجته، ويبقى رصيده لا ينفد، بل يتجدد»[1].

أمانة الإيمان باليوم الآخر:

وتتجلى أمانة الإيمَان باليوم الآخر في سلوك المسلم في تعامله مع الآخرين، فإذا كان تاجرًا فهو التاجر الصادق الأمين، وإذا كان فقيرًا فهو الرجل الشريف العامل، وإذا كان عاملًا فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنيًا فهو الغني السخي المواسي، وإذا كان قاضيًا فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان واليًا فهو الوالي المخلص الأمين..، وإذا كان خادمًا أو أجيرًا فهو المخلص الأمين».

وما أعظم خطر الأمانة يوم القيامة!، وما أعظم السؤال عنها في هذا المشهد العصيب واليوم العقيم!!

□ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الشهادة تكفّر كل ذنب إلَّا

---

(١) «الظلال» (٥/ ٢٥٨٥).

الأمانة، يؤتى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قتل في سبيل الله تعالى، فيقال: أد أمانتك، فيقول: وأنَّى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها، فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل على عاتقه فيهوي على أثرها أبد الأبد، قال زاذان: «فأتيت البراء [(١)] رضي الله عنه، فحدثته، فقال: صدق أخي ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [النساء: ٥٨] [(٢)].

أمانة الإيمان بالقدر خيره وشرِّه:

* إن استشعار العبد لأمانة الإيمَان بالقدر تجعله يمضي في حياته على منهج سواء، لا تُبْطِرُهُ النعمة، ولا تُسْخِطُهُ المُصِيبَةُ، فمَا أوتي من نِعَمٍ وخيراتٍ فمِنَ الله تعالى، لا بذكائه وحسن تدبيره، قال جل جلاله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل]، وإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله سبحانه وابتلاء منه، فلا يَجزع ولا ييأس [(٣)]، قال جل جلاله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد]، بل عليه أن يحتسب ويرضى ويصبر، فيكون ذلك خيرًا له بمَا يناله من الأجر والمثوبة من المولى الكريم فقد قال النبي ﷺ: **«عَجَبًا لأمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خيرٌ، وليس ذَاكَ لأحدٍ إلَّا للمُؤمنِ، إنْ أصابَته سرَّاءُ شكر، فكان**

---

(١) البراء بن عزاب رضي الله عنه.

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٨٥).

(٣) انظر: «القضاء والقدر» للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١١١).

خيرًا لهُ. وإنْ أصابتْهُ ضَرَّاءُ صَبرَ، فكان خيرًا لهُ»[(١)] .

• ومن آثار أمانة الإيمَان بالقدَر، غِنَى النفس والرضا بالرزق، يقول النبي ﷺ: «.. وارْضَ بمَا قسَمَ اللهُ لَكَ تكُن أَغْنَى النَّاس..»[(٢)] .

• وقال ﷺ: «ليس الغِنَى عن كَثْرةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس»[(٣)] .

* كمَا أن أمانة الإيمَان بالقَدَر تجعل العبد دائمًا على حذر من مكر الله تعالى: []، فقلوب العباد بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرَّحمن يصرِّفُها حيث يشاء، مع مراعاة تنزيه الله تعالى عن ظلم العباد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)﴾ [طه][(٤)] .

الأمانة وارتباطها بالعقيدة:

□ قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أصل الإيمَان عندنا، وفروعه وداخله وخارجه، بعد الشهادة بالتوحيد، وبعد الشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وترك الخيانة، ووفاء العهد، وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين، فقيل له: يا أبا عَلِي، مِن رأيك تقول أو سمعته؟ قال: لا بل سمعناه وتعلمناه من أصحابنا، ولو لم أجده من أهل الثقة والفضل لم أتكلم به»[(٥)] .

---

(١) رواه مسلم - كتاب الزهد- باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩).

(٢) حسن: جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب «الزهد»- باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥) وحسَّنه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٣) رواه البخاري في كتاب «الرقاق» باب الغنى غنى النفس.

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٤- ١٣٥).

(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي- باب في الأمانات (٤/ ٣٢١).

الأمانة في العبادة:

عَرَّفَ ابن تيمية العبادة بأنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمَال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة.. وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبِرُّ الوالدين.. وأمثال ذلك من العبادة»[١]، فالإسلام كُلٌّ لا يتجزأ، سواء في العقيدة والعبادة والأخلاق، فهو بمثابة عِقْدٍ مترابطٍ، فالعقيدة لها أثرها في العبادة، ومنهمَا جميعًا ينتج الأثر الأخلاقي للأمانة، يقول المولى جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

□ قال الطبري: «هذا إخبار من الله عَزَّ وَجَلَّ عمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته..، وأوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، فآمن بمحمد ﷺ وصدق به وبمَا جاء به من عند الله تعالى، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله تعالى ونهيه، (واتقى) اتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرمها عليه، فاجتنبَ ذلك مراقبةَ وعيد الله تعالى وخَوْفَ عقابه، فإن الله يحب الذين يتقون فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحَرَّمه عليهم ويطيعونه فيمَا أمرهم به»[٢].

* وحينمَا يغيب معنى الأمانة في النفوس يختلّ الدور الحقيقي للعبادة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢]. «راعون لأماناتهم وعهدهم أفرادًا، وراعون لأماناتهم

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩)، و«العبودية» (ص٣٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٢٥- ٥٢٦).

وعهدهم جماعة»[١].

فهناك أمانة العبادات المتعلقة بالأفراد، وأمانة العبادات المتعلقة بالجماعة.

□ وفوق هذا كله أمانة العبادات القلبية وأهمها الإخلاص لله تعالى، وإرادة وجهه وابتغاء مرضاته وحده، وإفراده بالعبادة والقصد.

الأمانة فيما بين العبد وبين ربه في الاعتقاد والعبادات:

□ قال الشيخ ابن جبرين في محاضرته عن الأمانة[٢]: «هذه الشرائع والعبادات من الأمانة، وكل إنسان مؤتمن فيمَا بينه وبين ربه على هذه الحقوق التي لا يَطَّلِع عليها إلَّا رب العباد. فلا أحد يراقبك سِوَى ربك الذي ائتمنك على هذه العبادات:

- ائتمنك على الطهارة والصلاة.
- ائتمنك على الأذكار، وعلى القراءات التي في الصلاة.
- ائتمنك على الصيام. ائتمنك على أداء الحقوق المالية والزكاة، والكفّارات.
- ائتمنك على ترك الذنوب وتجنُّب المعاصي التي حرّمها عليك.

ووكَّل كلَّ ذلك إلى قلبك ومعتقدك، ولا يطَّلع عليه أحدٌ سوى الله تعالى. فالناس لا يعرفون؛ ولكنك تعرف من نفسك أن ربَّك لا يخفى عليه شيء.

(١) «الظلال» (٤/ ٢٤٥٦).

(٢) تم طبعه في كُتيب ضمن منشرات دار القاسم باسم «الأمانة».

- فلو صلَّيت بلا وضوء لم يشعر بك أحدٌ من الناس، **لكن الله** هو الذي يشعر بك، فالوضوء هو الطهارة، وهو **أمانة بينك** وبين ربك.
- ولو صَفَفْتَ في الصلاة، ولأخذت تنحني مع الناس، وترفع وأنت لا تُسَبِّح، ولا تقرأ، ولا تذكر، ولا تأتي بشيء من واجبات الصلاة السِّرِّية ولا أركانها، فإن الناس لا يدرون عنك، ولكن الله يدري. فهذه الأذكار التي في الصلاة أمانة بينك وبين ربك.
- ولو أكلت في **رمضان** سِرًّا، لم يشعر بك أحد؛ لأن الناس لا يراقبونك في كل حال، ولكن الله تعالى هو الذي يطَّلِع عليك. فهذا الصيام أمانة **بينك** وبين ربك.
- ولو بَخَست الحقوق الواجبة لله من الزكاة ونحوها، ولم تؤدِّ زكاة المَال السِّرِّية، لم يطَّلعْ عليك إلَّا ربك، فالناس ليس لهم إلَّا الظاهر. فهذه أمانة مالية بينك وبين ربك.
- وكذلك لو خَلَوْت بالمعاصي والذنوب، لم يطلع عليك إلَّا ربك.
- ولو أضمرت في نفسك أي شيء من الشك، أوْ مِن الشرك، أو الكفر، أو الوسوسة، لكان ذلك فيمَا بينك وبين الله، ولن يطَّلع الناس عليك إلَّا أن تخبرهم. فالله هو الذي ائتمنك على هذا وبهذا نعرف أن الأمانة عامة لكل العبادات التي فرضها الله على الناس، وإنمَا كانت تلك أمثلة، وهي على سبيل الاختصار وليست على سبيل الحصر»[1].

---

(١) «الأمانة» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (ص١٢- ١٤) دار القاسم.

الإخلاص وأعمال القلوب أعظم الأمانات:

□قال فضيلة الشيخ ابن جبرين: «ومن الأمانة أيضًا: الإخلاص في الأعمَال – وهذا من أهم الأمانات التي يجب على العبد مراعاتها- فمثلًا: إذا أراد الإنسان الصلاة أو الحد أو الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل ذلك أمام الناس، فإن الناس يمدحونه على ما ظهر منه ويعتقدون أنه رجل صالح لأجل هذه الأعمَال الصالحة، ولكن إذا كان قلبه مُصِرًّا على شك أو على رياء، أو سمعة، أو طلب مدح الناس له، أو نحو ذلك؟ كان هذا العمل باطِلًا ولا يَطَّلِع على بطلانه سوى ربه. فالإخلاص أمانة يفسده الرياء.

*وأعمَال القلوب أمانة جعل للملائكة سلطانًا عليها يتصلون بها، كمَا في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ [الأنفطار]. والفعل شاملٌ لفعل القلب والبدن، والأمانة فيه بين العبد وربه، وبينه وبين العباد مطلوبة»[١].

الأمانة في العبادات:

□قال ابن مسعود رضي الله عنه: «.. والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الوَدائع»[٢].

*فالصلاة هي أهم أركان الإسلام، والأمانة فيها: أن تُؤدي كاملة بأركانها وواجباتها دون إخلال بشيء من شروطها، قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) ﴾ [البقرة]، ويدخل

---

(١)المصدر السابق (ص١٤، ١٥، ١٨).

(٢)«تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٤٠).

في أداء أمانة الصلاة تفريغ القلب من الشواغل الدنيوية وأداؤها بخشوع، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

ومن كان أمينًا في صلاته، فإن الله يُبارك له في أعمَاله وحياته، ومن ضيَّعها كان لمَا سواها أضيع.

□ وتتجلَّى الأمانة في الزكاة من جهة إخراج قدرها الشرعي من المَال البالغ نصَابًا وصرفها لمستحقِّها. فالأمين هو الذي يبذل الزكاة لمستحقيها، بعد إحصاءٍ لأمواله وتَحَرٍّ في ذلك[1].

□ والصوم عبادة سِرِّيَة بين العبد وربِّه، يكون المكلَّف به مُؤتَمَنًا على الإمساك عن شهوات نفسه وما حرَّم الله عليه تعبُّدًا في هذا الوقت المخصوص.

□ وتتحقّق الأمانة في الحج ابتداءً من النيّة الخالصة لله تعالى، والحرص على تحرِّي النفقة الحلال، ومراعاة أداء النُّسك على الوجه الصحيح.

أمانة العبادات المتعلِّقة بالجماعة:

أمانة العبادات المتعلقة بالجماعة:

* جعل الإسلام الأمانة مظهرًا لوحدة الجماعة، فقد وصف المولى عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين بأنهم يراعون أماناتهم وعهدهم، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] و [المعارج: ٣٢]، ذلك أن

(١) انظر: «الأمانة في الإسلام» (ص١٣٨).

الأمانة «صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة الجماعة إلَّا أن تؤدى فيها الأمانات، وتراعى فيها العهود؛ ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان»[(١)].

• فمن العبادات المتعلقة بالجمَاعة؛ إمامة المصلين، التي تُعَدُّ بمثابة الرأس للجسد، فإنه إذا بطلت صلاة الإمام بطلت صلاة المأموم، لارتباط صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الإمام[(٢)]، لقوله ﷺ: «**الإمام ضامن**[(٣)]..».

• وقوله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**..»[(٤)]. لذا كان من مقتضى صحة صلاة الإمام أن يراعي حق الإمامة في الصلاة، من حيث الطهارة والخشوع وجميع شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، كمَا ينبغي عليه أن يُطَهِّرَ سلوكَه ظاهرًا وباطنًا، يقول أبو حامد الغزالي: «يُطَهِّر باطنة عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر، فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده، فإنه كالوفد والشفيع للقوم، فينبغي أن يكون خير القوم. وكذا الطهارة ظاهرًا عن الحدث والخبث، فإنه لا يطلع عليه سواه فإن تذكر في أثناء صلاته حدثًا أو خرج منه ريح، فلا ينبغي أن يستحي، بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه..»[(٥)].

---

(١) «**الظلال**» (٤/ ٢٤٥٦).

(٢) «**الروض المربع**» للبهوتي (١/ ٥٠).

(٣) **ضامن**: **المُراد** ضمان الحفظ والرعاية لأنه يحفظ على القوم صلاتهم.

(٤) **يعني أن المؤذن** أمين الناس على صلاتهم وصيامهم.

(٥) صحيح: **رواه الترمذي** (٢٠٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: حديث صحيح ثابت =

•ومن الأمور المتعلقة بأمانة الإمام تجاه المأمومين ألا يخص نفسه بالدعاء، وقد جاء النهي عن ذلك كمَا في حديث ثوبان [١] عن النبي ﷺ: «.. **لا يَؤُمُّ رَجُلٌ قَومًا فَيَخُصَّ نَفسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُم، فَإن فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُم**..» [٢].

□ قال ابن القيم: «سمعت ابن تيمية يقول: «هذا الحديث عندي في الدعاء الذي يدعو به الإمام لنفسه وللمأمومين، ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه» [٣].

•«والأذان أمانة كمَا أخبر النبي ﷺ: «**الإمامُ ضامنٌ والمؤذنُ مؤتمنٌ**»، وقد ذكر أهل العلم أن من شروط المؤذن أن يكون أمينًا، «أي عدلًا لأنه مؤتمن يرجع إليه في الصلاة وغيرها» [٤]، فالمؤذن أمين بين الناس على

(١/ ٤٠٣- ٤٠٥) حاشية، ورواه أبو داود في كتاب «الصلاة» باب ما يجب علىٰ المؤذن من تعاهد الوقت (٥١٧)، وأحمد في «المسند» عن أبي هريرة (٢/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤١٩، ٥١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٥٥) (٥٣٠)، و«الإرواء» (٢١٧)، و«صحيح الجامع» (٢٧٨٧)، ورورىٰ الحديث أيضًا ابن حبان، والبيهقي، والشافعي، والطحاوي، وللطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وأحمد، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي عن عائشة، وأحمد عن أبي أمامة.

(١) رواه البخاري في كتاب «الأذان»- باب إنما جُعل الإمام ليؤتم به. رقم (٦٨٨).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٣٢).

(٣) صحيح، رواه أبو داود في كتاب «الطهارة»، باب أيصلي الرجل وهو حاقن؟، رقم الحديث ٩٠، وأشار إلىٰ ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (ص١٧- ١٨)، وحَسَّنَ سند رواية أبي داود، محققًا «زاد المعاد»: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط (١/ ٢٦٤).

(٤) «الروض المربع» (١/ ٣٩).

صلاتهم وصيامهم وعوراتهم»[١].

أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* ومن العبادات المتعلقة بالجمَاعة أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر. وقد دَلَّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة [٢]، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران].

* وقوله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾

[التوبة].

• وقول الرسول ﷺ: **«مَن رَأَى مِنكُم مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيدِهِ، فإن لم يَستطِع فَبِلسَانِه، فإن لم يَستطِع فَبِقَلبِه، وذلك أَضْعَفُ الإيمَـان»**[٣].

وقد وصف أبو حامد الغزالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص١٤٢).

(٢) نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم كأبي المعالي الجويني، والنووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٢)، والغزالي في «الإحياء» (٣/ ٤- ٥)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٢٥- ١٢٦)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٩- ١٨٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإيمان»- باب كون النهي عن المنكر من الإيمان -رقم الحديث (٤٩).

بالقطب الأعظم في الدين، إذ يقول: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطُه وأُهمل علمُهُ وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعَمَّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلَّا يوم التناد»(١).

□ وذهب ابن تيمية إلى أن جميع الولايات الإسلامية: «إنمَا مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى: مثل نيابة السلطان، والصغرى: مثل ولاية الشرطة، وولاية الحكم أو ولاية المَال وهي ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة (٢).
لذا وجب على الحاكم أن ينصب في كل بلدة أناسًا صالحين أقوياء أمناء من أهل العلم يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا تتوقف أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الولايات، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانة متعلقة بكل فرد من الأمة، ولا سيمَا من كانت له ولاية ورعاية، يقول نبينا محمد ﷺ: **«أَلا كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسؤول عن رَعِيته، فَالأَمِير الذي على الناس رَاعٍ، وهُو مَسؤول عن رَعِيتهِ، والرجلُ رَاعٍ على أَهل بَيتِه، وهُو مَسؤول عنهُم، والمرأَةُ رَاعِية على بَيتِ بَعلِها وولَدِه، وهي مسؤُولة عنهم، والعبدُ راعٍ على**

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٦).

مالِ سَيدِه، وهو مسؤُولٌ عنه. أَلا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مسؤُولٌ عن رَعِيته»[١]، فكل هؤلاء المذكورين في الحديث رعاةً وحكامًا على اختلاف مراتبهم مُؤتمنون بأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسؤولون أمام الله تعالى.

• كمَا حذر الإسلام من خيانة الأمانة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن يأمر المرء غيره وهو يقع في المنكر، كمَا في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القِيامةِ فَيُلقى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[٢] في النَّارِ، فيدورُ كما يدورُ الحمارُ برَحَاه، فيجتمعُ أَهْلُ النَّارِ عليه، فيقولون: أي فُلانُ ما شَأْنكَ؟ أَليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنا بالمعروفُ وتَنْهانا عن المنكر؟ قال: كُنْتُ آمرُكُم بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهاكُم عن المنكرِ وآتِيه»[٣]»[٤].

□ ولا يمكن الفصل بين العبادة والأمانة إلَّا لمن به خلل، قال عمر رضي الله عنه: «لا يعجبَنَّكم من الرجل طَنْطَنته - يعني صلاته- ولكن من أدى الأمانة، وكفّ عن أعراض الناس فهو الرَّجُل»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي: أمعاؤه. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١١).

(٣) رواه البخاري -كتاب بدء الخلق- باب صفة النار (٣٢٦٧)، ورواه مسلم في كتاب «الزهد والرقائق»- باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهىٰ عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩).

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٤٢- ١٤٣).

(٥) «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٦/ ٤٧٢)، وبنحوه في «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص١٩٣).

والعقل أمانة فانظر كيف تعلو همتك في توظيفه للآخرة ونفع المسلمين في الدنيا:

«اتصاف المرء بالعقل وتسخيره في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ أمانة كبرى يثاب عليها، لذا كان من رعاية الإسلام لأمانة العقل - أن جعله إحدى الضروريات الخمس[1] - ومنع أي فعل يعطل مهمته، وحَرَّم حفظًا له كل ما يضر بهمته ولو لفترة محدودة، فقد حرم كل مُسْكِرٍ ومُخدرٍ ممَا يُخامر العقل ويُغطيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة]، ومن أجل صيانة العقل شرعت عقوبة جلد شارب الخمر لردع متناوله، وزجر كل ما يسعى إلى الإضرار بأمانة العقل ولو لفترة محدودة.

أما تعطيل العقل بالكلية بأي سبب يؤدي إلى ذهابه، فقد عاقب الشرع فاعله بالدية كاملة رعاية لَهُ، قال ابن قدامة: «في ذهاب العقل الدية، لا نعلم في هذا خلافًا، - وكتب النبي ﷺ لعمرو بن حزم رضي الله عنه: «**وفي العقل الدية**»[2]، وتظهر عِلَّة هذه العقوبة؛ بأنه أكبر المعاني قدرًا، وأعظم الحواس نفعًا، وبه يميز بين النافع والضار، والحق والباطل[3]»[4].

---

(١) انظر: «المستصفى» للغزالي (١/ ٢٨٦- ٢٨٧)، و«الموافقات» للشاطبي (١/ ١٥)، و(٢/ ٤).

(٢) «المغني» (١٢/ ١٥١- ١٥٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص٨١- ٨٢).

□ قال ابن القيم رحمه الله: «إن امتناع السموات والأرض والجبال من حمل الأمانة لأجل خُلُوِّها من العقل الذي يكون به الفهم والإفهام، وحُمِّلُ الإنسان إياها لمكان العقل فيه»(١).

□ ومن الأمثلة العظيمة لأمانة العقل أنه لمَّا عزم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على جمع القرآن، قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه»(٢)، فكان أول ما حمل أبا بكر رضي الله عنه على اختيار زَيْدٍ ما اتصف به من أمانة العقل.

قال المهلب معقبًا على قول أبي بكر رضي الله عنه: «إن العقل أصل الخِلال المحمودة؛ لأنه لم يصف زيدًا بأكثر من العقل وجعله سببًا لائتمَانه ورفع التهمة عنه»(٣).

□ ومن حفظ أمانة العقل أن يزكِّية الإنسان ويوظِّفه ويُعلِي همته في ذلك بأن يوجهه إلى آيات الله الكونية، وفي النفس البشرية، وارتياد أوسع الآفاق لخدمة الناس في الحياة الدنيا وبناء الحضارة الإسلامية، وفوق هذا معرفة أسرار الشريعة، والفهم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

□ ومن أمانة العقل أن تستخدمه فيمَا يصلح له، وأن لا يُتعدَّى به طوره، فمثل العقل كالميزان الحساس يُوزن به أدق شيء من الجواهر النفيسة، ولا تُوزن به الصخور والجبال، والعقل كالدّابة يُوصِّلك إلى

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٢٣).
(٢) البخاري -كتاب فضائل القرآن- باب جمع القرآن (٤٩٨٦).
(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٨٣).

باب المَلِك، ثم تدخل عليه بعد ذلك بمطلق التسليم.

□ قال الغزالي: «العقل ليس مستقلًا بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفًا للغطاء عن جميع المعضلات»[١].

□ وأصل ذلك كمَا يقول ابن تيمية: «إنه لا يمكن العاقل أن يدفع عن نفسه أنه يميز بعقله بين الحق والباطل، والصدق والكذب، وبين النافع والضار، والمصلحة والمفسدة، ولا يمكن المؤمن أن يدفع عن إيمَانه أن الشريعة جاءت بمَا هو الحق والصدق في المعتقدات، وجاءت بمَا هو النافع والمصلحة في الأعمَال التي تدخل فيها الاعتقادات»[٢].

□ والدكتور محمد عبد الله دراز له رَدٌّ على أولئك الذين لا يتبعون إلَّا العقل ويعطلون الشرع، إذ يقول: «لا تحسبن أن نور الشريعة فيمَا لَمْ يهتد إليه العقل بمفرده قد أصبح مستغنيًا عن نور الفطرة جملة؛ كلا، فإنه لا يزال في أشد الحاجة إلى رفده وعضده»[٣]، ولهذا لا يمكن الاهتداء في ظل العقل وحده، بل إن العقل في حاجة ماسة إلى الشرع في الاستنارة بهداه، كمَا يقول أبو حامد الغزالي: «الأخلاق والأعمَال متفاوتة متفاضلة ومتمايزة بالخير والشر، والمقادير فيها عملٌ وجزاء ممَا لا يهتدي إليه عقل كل عاقل، إلَّا أن يكون مؤيدًا من عند الله ﷻ بالوحي»[٤]، ويؤيد هذا ما ذكره الماوردي: «إن العقل لا يعلم فرض شيء ولا إباحته، ولا

---

(١) «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي – تحقيق محمود بيو (ص٥٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٣٤٦- ٣٤٧).

(٣) «دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية» (ص١١٧).

(٤) «معارج القدس في مدارج معرفة النفس» (ص١٤٧).

تحليل شيء ولا تحريمه»[١].

□ ويرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: «الشرع يخبر بمُحارات العقول لا بمُحالات العقول».

والجوارح أمانة:

عينُك، وسمعك، وبصرك، ويدك، ورجلك، وفرجك، ولسانك، وأنفك.

* قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء].

فستسأل عن هذه الأمانات هل أديت حقها أم ضيعت هذا الحق، هل أديت حق هذه الأمانة؟

لكل جارحة عبوديَّة، فهل بلغت أقصى درجات الكمَال، ونلت شرف علو الهمة في تحصيلها أم لا.

ومن نظر إلى حرام، أو سَمِع حَرَامًا، أو تكلَّم بحرام، أو ذاق حرامًا، أو أكل حرامًا، أو شمَّ حرامًا، فقد أخل بالأمانة، يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أنك تعصي الله بجوارحك، وإنمَا هي نعمة من الله عليك، وأمانة لديك، فاستعانتك بنعمة الله تعالى على معصيته غاية الكفران، وخيانتك في أمانةٍ أودعكها الله تعالى غاية الطغيان، فأعضاؤك رعاؤك، فانظر كيف ترعاها «**ألا فكُلُّكُم راع، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ**[٢]»[٣].

---

(١) «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي (ص١٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «بداية الهدىٰ» (ص٤٧).

أمانة العلم:

والعلم أعظم أمانة حملها الإنسان، ولأن يطلب العالم الدنيا بطبل ومزمار خير له من أن يدنس وجه العلم بطلب فتات موائد أبناء الدنيا من السلاطين وأصحاب الجاه، وتدبيج فتاوى الزور، وتأويل النصوص وَلَيِّ عُنقها حسب أمزجة أبناء الدنيا..

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولـوْ عَظَّمـوه في النفـوس لَعُظِّـمَا

أأشـقى بـه غَرْسًـا وأجنيـة ذِلَّـةً ... إذًا فاتِّباعُ الجَهْلِ قـد كـان أحزمَا

إن أمانة العلم تحمل العلمَاء على أن يكونوا أدلاء على نوره يُبَصِّرون أبناء الأمة بنور الكتاب وجَمَال السُّنَّة، يَصفون الطريق للمدلجين، ويهدون إليه المتحيِّرين، يصيح لسان حالهم بالبَعيدين: يا له من دين لو أنَّ له رجالًا.

✍ وأمانة العلم تقتضي أن يُرَبِّي طلبة العلم على «نصف العلم» وهي قول: «لا أدري».

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لا يقبضُ العِلْم انتزاعًا ينتزعُهُ من العباد، ولكن يقبض العلمَ بقبضِ العلمَاءِ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤساء جُهَّالًا، فسُئِلُوا، فأَفْتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأضَلُّوا**»(١).

• وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غيرُ الدَّجالِ أَخْوَفُ على أمتي من الدَّجَّال؛ الأئمة المُضِلُّون**»(٢).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٨٩)، =

• وتَعَلُّمُ العلم لغير الله خيانةٌ لأمانة العلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تَعَلَّم العِلْم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاءَ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم»[1].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تَعلَّم علمًا مما يُبتغَى به وجه الله، لا يتعلَّمُه إلَّا ليُصيب به عِوَضًا من الدنيا، لم يَجِد عَرْف الجنة يوم القيامة»[2].

والمال أمانة: يأخذه من حِلِّهِ ويُنفِقُهُ في حِلِّه، ويُعطِي حقَّ الله فيه من زكاة وصَدَقة.

• عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهنَّ: ما نقَصَ مالُ عَبْدٍ من صدقة، ولا ظُلِم عبدٌ مَظلمَةً صَبَرَ عليها إلَّا زاده الله عز وجل عِزًّا، ولا فَتَح عَبْدٌ بابَ مَسْأَلةٍ إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فَقْر، وأُحدِّثُكم حديثًا فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نَفَرٍ: عبدٍ رزقه الله مالًا وعِلْمًا فهو يتَقي فيه ربَّه، ويصل فيه رَحِمَهُ، ويعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى عِلْمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادِقُ النِّية، يقولُ: لو أنَّ لي مالًا، لعَمِلْتُ بِعَمَل فلانٍ فهو بنيَّته، فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالًا، ولم يرزقه علْمًا، يخبِطُ في مالِهِ بغير علم، لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يَصل فيه رَحمه، ولا يعمل لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه

و«صحيح الجامع» (٤١٦٥).

(١) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

الله مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعملِ فُلانٍ، فهو بنيَّتِهِ، فوزرهما سواء»(١).

• المال أمانة وأنت مُستخلَفٌ فيه فانفع به المسلمون في قرضهم أو التَّصدُّق عليهم قال رسول الله ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**(٢).

أداء الأمانات إلى أهلها:

«إن ممَا يورث المحبة والألفة والتعاون، ويدعو إلى ازدهار النشاط الاقتصادي القيام بالأمانات الواجبة، وقد أثنى الله تعالى على رعاية المؤمنين للأمانة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٨﴾ [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢] وأمر بأداء الأمانة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، جاء في تفسير الآية، أن الأمانة داخلة في كل شيء، من ذلك: الكيل والوزن والودائع.

□ قال القرطبي: «الآية شاملة بنظمها لكل أمانة، وهي أعداد كثيرة..، وأمهاتها في الأحكام الوديعة، واللُّقَطَة، والرَّهن، والعارية»(٣)، وجاء في سبب نزولها، أن النبي ﷺ قبضَ مفتاح الكعبة يوم الفتح من ابني طلحة، فدخل الكعبة، فخرج وهو يقرأ هذه الآية، فدعا عثمَان بن طلحة فقال: «خُذوها يا بني طلحة بأمانة الله، لا يَنزعها منكُم إلَّا

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤)، «صحيح الجامع» (٣٠٢٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب «السلام» باب استحباب الرقية.

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٤٦).

ظَالِم»[١]، وهذا يبين أن «الوديعة أمانة نزلت الآية ابتداء للأمر بأدائها إلى أهلها، وهذا ما عليه المفسرون»، مع ملاحظة أن الأمر بالأداء في الآية الكريمة يشمل كل أنواع الأمانات التي يجب أداؤها إلى أربابها الأبرار منهم والفجار»[٢].

□ ومن مواقف نبينا محمد ﷺ العظيمة في تأديته الأمانات لمَّا كان بمكة، فقد كان الكفار يأتمنونه على أموالهم ويودعون عنده ودائعهم، بالرغم من بقائهم على الكفر، ولمَّا أُمِرَ بالهجرة أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يؤدي عنه الأمانات والودائع التي كانت عنده للناس[٣]، وهو بهذا يعطي أمته درسًا في أداء الأمانات إلى أهلها، ومن هديه ﷺ المبادرة إلى أداء الأمانات وتوفية الأموال التي ترد إليه إلى أصحابها، فإنه ذات يوم صلى العصر فلمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا فدَخَلَ على بعض نِسائِهِ، ثم خَرَجَ وَرَأَى مَا في وُجُوهِ الصحابة من تعجبهم لسرعته، فقال: **«ذَكَرْتُ - وأنا في الصَّلاة- تِبْرًا[٤] عندنا فكَرِهْتُ أنْ يُمْسِيَ - أَوْ يَبيت - فأمرتْ بِقِسْمتِهِ»**[٥].

(١) «أسباب النزول» (ص١٣٤)، وانظر «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩٣)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٠/ ١١٢) و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ٢٤٦).

(٣) انظر: «سيرة النبي ﷺ» (٢/ ٩٨)، و«السنن الكبرى» (٦/ ٤٧٢).

(٤) التِّبْر: هو الذهب والفضة قبل أن يُضربا دراهم ودنانير. انظر «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٧٩).

(٥) رواه البخاري في كتاب «العمل في الصلاة»- باب تفكُّر الرجل الشيء في الصلاة (١٢٢١).

هذا من ناحية الأمانات، بل ذهب ابن تيمية إلى وجوب أداء الغصب والسرقة ونحو ذلك من المظالم بقوله: «إذا كان الله تعالى قد أوجب أداء الأمانات التي قُبضت بحق، فمن باب أولى وجوب أداء الغصب والسرقة والخيانة ونحو ذلك من المظالم»(١).

ولا شك أن أداء الأمانات إلى أهلها من الأمور الأساسية التي تقوم عليها نهضة المجتمع لا سيمَا في الجوانب الاقتصادية، وكمَا قيل: أداء الأمانة مفتاح الرزق»(٢).

□ **وأداء الأمانات إلى أهلها يتضمّن:**

أوَّلًا: أمانة تأدية الدَّيْن.

ثانيًا: أمانة توفية الكَيْل والميزان.

أولاً: أمانة تأدِية الدَّيْن:

* أكدَّ الله عز وجل على أمانة تأدِية الدَّيْن، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. والمولى عز وجل أطلق اسم الأمانة على الدَّين الذي في الذمة، وفي ذلك تعظيم لأمانة الدَّينِ وحث على تأديته(٣)، ويؤيد هذا ما ذكره ابن المنير تعليقًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، قال: «أدخَلَ الدَّيْن في الأمانة لثبوت الأمر بأدائه»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٦٦).

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٨٤- ١٨٥).

(٣) «تفسير التحرير والتنوير» (٣/ ١٢٢).

(٤) «فتح الباري» (٥/ ٥٥).

• وينبغي للمدِين أن يبادر إلى إبراء ذمّته، والوفاء بالدَّيْن في مَوْعده، ما دام قادِرًا على السَّدَاد، ولا تجوز المماطلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِي ظلم**»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ خيارَكم أحسنكم قضاء**»(٢).

• وعدم مراعاة الأمانة في أداء الديون تكون سببًا في هلاك النفوس والأموال، فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**لا تُخِيفُوا أنفسكم**» – أوْ قال الأنفس – فقيل له: يا رسول الله، وما نُخِيفُ أنفسنا؟ قال: «**الدَّيْن**»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «**نَفْس المؤمن مُعَلَّقةٌ بِدَيْنه حتى يُقضَى عنه**»(٤).

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الحوالة»- باب الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٢٣٠٥)، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) حسن: رواه البيهقي في «سننه»، وأحمد (٤/ ١٤٦، ١٥٤)، والبخاري في «الأدب»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٥٩)، و«الصحيحة» (٢٤٢٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي في كتاب «الجنائز»، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: نَفْس المؤمن مُعَلَّقة بِدَيْنه- وقال: حديث حسن (١٠٧٩)، ورواه ابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٩١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٧٧٩)، و«صحيح سنن الترمذي». وقد قُبِضت روح شيخ الديار المصرية في الحديث في الحبيب وسيدنا الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف وهو يرد على سؤال حول هذا الحديث ويقوم بتخريجه على شريط مُسجَّل رحمه الله رحمة واسعة.

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«يُغفَر للشهيد كُلُّ ذنْبٍ إلَّا الدَّيْن»**[١].

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إيَّاكُم والدَّيْن، فإن أوَّله هَمٌّ، وآخره حرب»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: **«من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءَها، أَدَّى الله عنه، ومن أَخَذَها يريدُ إتلافها أَتْلَفَه الله»**[٣].

تفريج كُرْبة من وفّى وأدّى دينه كأحسن ما يكون الأداء:

في حديث الثلاثة أصحاب الغار وكيف نجّاهم الله..

«.. وقال الثالث: اللهم اسْتَأْجَرْتُ أُجراءَ وأَعْطَيْتُهم أَجْرَهم غيرَ رَجُل واحد، تركَ الذي له وذهب، فثمَّرتُ أجره، حتى كثرتَ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله! أدِّ إليَّ أجْري، فقلتُ: كُلُّ ما تَرَى مِن أجرك: من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق. فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي! فقلتْ: لا أستهزئ بك، فأخذَه كُلَّهُ فاستاقهُ، فلم يترُكْ منه شيئًا، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرُج عنا ما نحنُ فيه، فانفرجت الصخرةُ؛ فخرجوا يمشُون»[٤].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم في كتاب «الإمارة» باب من قُتِل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلا الدَّيْن.

(٢) «موطأ مالك» (٤/ ٧٥)، و«المبسوط» (٢٠/ ٨٨).

(٣) رواه أحمد، والبخاري (٢٣٨٧) تعليقًا في الزكاة -باب لا صدقة إلا عن ظهر غنىً، وفي الاستقراض، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

أمانة جابر بن عبد الله في سداد دين أبيه:

• عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما: «أنَّ أباهُ استُشْهِدَ يوم أحدٍ وترك سِتَّ بناتٍ وترك عليه دينًا. فلمَّا حضره جذاذُ النَّخْلِ (١) أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، قد علمْت أنَّ والدي استشهد يوم أحدٍ وترك عليهِ دينًا كثيرًا وإنِّي أحبُّ أنْ يراك الغُرماءُ. قال: «**اذهبْ فيبدرْ كُلَّ تمْرٍ على ناحيةٍ. ففعلتُ ثُمَّ دعوْتُهُ فلمَّا نظرُوا إليه أُغْرُوا (٢) بي تلك السَّاعةَ**». فلمَّا رأى ما يصنعُونَ طاف حول أعظمها بَيْدَرًا (٣) ثلاث مرَّاتٍ. ثمَّ جلس عليه ثمَّ قال: «**ادْعُ أصحابكَ**» فمَا زال يكيلُ لهم حتَّى أدَّى الله أمانةَ والدي. وأنا والله راضٍ أنْ يؤدِّي الله أمانةَ والدي، ولا أرْجِعُ إلى أخواتي تمْرَةً. فسلمَ - والله- البَيادِرُ كُلُّها حتَّى إنِّي أنْظُرُ إلى البيْدَرِ الذي عليه رسولُ الله ﷺ كأنَّهُ لم ينقُصْ تمْرَةً واحدةً»(٤).

علو همة الزبير رضي الله عنهما في سداد دَيْنه، وعُلُو كعْب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في الأمانة وسداد الدَّين:

• عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لمَّا وقف الزُّبير يوم الجمل دعاني فقُمْتُ إلى جنْبه، فقال: يا بُنَيَّ لا يُقْتَلُ اليوم إلَّا ظالمٌ أو مظلومٌ، وإنِّي لا

---

(١) جذاذ: نصُّ «فتح الباري» (٥/ ٢٧٨١) من الجذِّ وهو القطع، ورواه العيني في «عمدة القاري» كتاب الوصايا مجلد ٧ (١٤/ ٧٧) «جداد» بفتح الجيم وكسرها قال: وهو صرام النخل وهو قطع ثمرتها، وفي «لسان العرب» أن الجداد -بفتح الجيم وكسرها- أوان الصرام.

(٢) أعزوا بي: هِيجُوا بي، ولجُّوا في مطالبتي.

(٣) بيْدر الحِنطة ونحوها: كومها. والبيدر: الجرن من القمح ونحو.

(٤) رواه البخاري «الفتح» (٥/ ٢٧٨١).

أراني إلَّا سأُقتلُ اليوم مظلومًا، وإنَّ من أكبرِ همِّي لديْني، أفترُى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بُنَيَّ بعْ مالنا، فاقْضِ ديْني. وأوْصَى بالثُّلُثِ، وثلثِهِ لبنيه - يعني: بني عبد الله بن الزُّبير، يقولُ: ثلثُ الثُّلُثِ- فإنْ فضل من مالنا فضلٌ بعد قضاءِ الدَّيْن فثلثه لولدكَ. قال هشامٌ: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزُّبيْر - خُبَيبٌ وعَبَّادٌ- وله يومئذٍ تسعةُ بنينَ وتسْعُ بناتٍ. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُنَيَّ إنْ عجزْت عن شيءٍ منه فاستعنْ عليه مولاي. قال: فوالله ما دريْتُ ما أراد حتَّى قلتُ: يا أبتِ من مولاكَ؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربةٍ من دَيْنه إلَّا قلتُ: يا موْلَى الزُّبيرِ اقْضِ عنه دينَهُ، فيقْضِهِ. فقُتِلَ الزُّبيرُ رضي الله عنه ولم يدعْ دينارًا ولا درْهَمًا، إلَّا أرضينَ منْها الغابةُ، وإحْدَى عشرة دارًا بالمدينَةِ، ودارَيْن بالبصْرة، ودارًا بالكوفةِ، ودارًا بمصر. قال: وإنمَا كان ديْنُهُ الذي عليه أن الرَّجُلَ كان يأتيه بالمَال فيستودعه إيَّاهُ، فيقول الزُّبيرُ: لا، ولكنَّه سلفٌ، فإنِّي أخْشَى عليه الضَّيْعَة. وما ولي إمارةً قطُّ ولا جبايةَ خَراجٍ ولا شيئًا إلَّا أنْ يكون في غزْوَةٍ مع النَّبيِّ ﷺ أوْ مع أبي بكرٍ وعمر وعثمَانَ رضي الله عنهم قال عبد الله ابنُ الزُّبيرِ فحسبْتُ ما عليه من الدَّين فوجدْتُهُ ألْفَيْ ألفٍ ومئتيْ ألفٍ، قال: فلقيَ حكيمُ بن حزامٍ عبد الله ابن الزُّبيرِ. فقال: يا ابن أخي: كمْ على أخي من الدَّيْنِ؟ فكَتَمَهُ فقال: مئةُ ألفٍ. فقال حكيمٌ: والله ما أرى أموالكُمْ تَسَعُ لهذه. فقال له عبد الله: أرأيْتَكَ إنْ كانت ألفَيْ ألفٍ ومئتيْ ألفٍ؟ قال: ما أراكُمْ تُطِيقُونَ هذا، فإنْ عجزتم عن شيءٍ منه فاستعينُوا بي. قال: وكان الزُّبيرُ اشترى الغابةَ بسبعين ومئةِ ألفٍ. فباعها عبدُ الله بألفِ ألفِ وستِّمئةِ ألفٍ. ثم قام فقال: من كان له على الزُّبير حقٌّ فليوافنا بالغابة، فأتاهُ عبد الله بن جعفرٍ -وكان له على الزبير أربعُمئة ألف-

فقال لعبد الله: إنْ شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإنْ شئتُمْ جعلتموها فيمَا تؤخِّرون إنْ أخَّرتم، فقال عبد الله: لا. قال: قال: فاقطعوا لي قطعةً. قال عبد الله: لك منْ هاهنا إلى هاهنا. قال: فباعَ منها فقضى دينهُ فأوْفاهُ، وبقي منها أربعةُ أسهم ونصْفٌ، فقدم على مُعاويةَ –وعنده عمرو ابن عثمَان والمنذر بن الزُّبير، وابن زمَعْةَ، فقال له معاويةُ: كم قُوِّمتِ الغابةُ؟ قال: كُلُّ سهمٍ مئةُ ٣ ألفٍ، قال: كمْ بقيَ؟ قال: أربعةُ أسهم ونصفٌ. فقال المنذر بن الزبير: قد أخذْتُ سهمًا بمئةِ ألفٍ. وقال عمرو ابن عثمَان: قد أخذتُ سهمًا بمئة ألفٍ. وقال ابنُ زمعة: قد أخذْتُ سهمًا بمئة ألفٍ. فقال معاوية: كم بقيَ؟ فقال: سهمٌ ونصفٌ. قال: أخذته بخمسين ومئةِ ألفٍ. قال: وباع عبدُ الله بن جعفرٍ نصيبهُ من معاويةَ بستِّمِئة ألفٍ. فلمَّا فرغَ ابنُ الزُّبير من قضاءِ دينه قال بنو الزُّبير: اقسمْ بيننا ميراثنا. قال: لا والله لا أقسمُ بينكُمْ حتَّى أُنادي بالموسم أربعَ سنين: ألا منْ كان له على الزُّبير دينٌ فليأتنا فلنقْضِهِ. قال: فجعل كلَّ سنةٍ يُنَادي بالموسم فلمَّا مضى أربعُ سنينَ قسم بينهم. قال: وكان للزُّبيرِ أرْبع نسوةٍ، ورفع الثلث فأصابَ كُلَّ امرأةٍ ألفُ ألفٍ ومائتا ألفٍ»[(١)].

ما أعلى همة هذا الصالح من بني إسرائيل في سداد دَيْنه وأداء أمانته:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ رجلًا منْ بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيلَ أنْ يُسلِّفَهُ ألف دينارٍ، فقال له الرجل –أي الدائن أي الذي سيمنحه المَال –: ائْتني بشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيدًا، قال: ائتني بكفيلٍ، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقْتَ،**

(١) رواه البخاري «الفتح» (٦/ ٣١٢٩).

فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجتَهُ، ثمَّ التمس مركبًا يقدمُ عليه للأجلِ الذي كان أجَّله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبةً فنقرها وأدخل فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً معها إلى صاحبها، ثم زجَّجَ موضعها ثمَّ أتى بها البحر ثمَّ قال: اللهمَّ إنَّك قدْ علمْتَ أنِّي استلفْتُ من فلانٍ ألفَ دينارٍ فسألني كفيلًا فقلتُ: كفى بالله كفيلًا فرضِيَ بكَ، وسألني شهيدًا فقلتُ: كفَى بالله شهيدًا فرضِيَ بك، وإنِّي قدْ جهِدْتُ أنْ أجِدَ مرْكبًا أبْعثُ إليه بالذي له فلم أجدْ مركبًا وإنِّي استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولَجَتْ فيه ثمَّ انصرف ينظر وهو في ذلك يطلب مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجُل الذي كان أسْلَفَهُ ينظر لعلَّ مركبًا يجيءُ بمَاله، فإذا بالخشبة التي فيها المَال فأخذها لأهله حطبًا، فلمَّا كسرها وجد المَال، والصَّحيفة، ثم قدم الرَّجُل الذي كان تسلَّفَ منه فأتاه بألفِ دينارٍ وقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيكَ بمَالك فمَا وجدْتُ مركبًا قبل الذي أتيْتُ فيه، قال: هل كنت بعثْتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال: ألمْ أخبركَ أنِّي لم أجدْ مركبًا قبل هذا الذي جئْتُ فيه، قال: فإن الله قدْ أدَّى عنك الذي بعثْتَ به في الخشبة فانصرفْ بألْفِكَ راشِدًا»[1].

أمانة رد اللقطة والأموال الضائعة إلى أصحابها:

أمانة ابن عقيل الحنبلي رحمه الله:

▫ قال أبو المظفّر سِبط ابن الجوزي: «حكى ابن عقيل عن نفسه قال: حججت. التقطت عقْدَ لؤلؤ في خَيْطٍ أحمَر، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خُذ الدنانير، فامتنعتُ،

(١) رواه أحمد، والبخاري في «الكفالة» (٢٢٩١).



وخرجتُ إلى الشام، وزُرْتُ القدسَ، وقَصدْت بغداد، فأويْت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدَّموني، فصلَّيْتُ بهم، فأطعموني، وكان أوَّل رمضان، فقالوا: إمامُنا تُوفِّي فصَلِّ بنا هذا الشهر، ففعلتُ، فقالوا: لإمامنا بنت، فزُوِّجتُ بها، فأقمتُ معها سنة، وأولدتها ولدًا ذكرًا، فمرِضت في نفاسها، فتأمَّلتُها يومًا فإذا في عُنُقِها العقدُ بعينه بخيطِهِ الأحمر، فقلتُ لها: لهذا قصة. وحكيتُ لها، فبكَتْ، وقالتْ: أنتَ هو، والله لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي ردَّ العُقْدَ عليّ، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العُقد والميراث، وعُدْت إلى بغداد»[1].

أمانة تَوْفية الكَيْل والميزان، والأمانة في البيع والشراء:

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء].

* وقرن الله ﷻ بين إنزال الكتاب والميزان إيحاءً إلى أن أمانة الكيل والميزان جاءت بها كل الشرائع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

* وذكر الله تعالى في كتابه الكريم عن أهل مَدْين أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، أي يُنقِصُونهم قيمة أشيائهم في المعاملات، لذا كانت دعوة نبيه شعيب - عليه الصلاة والسلام- قومه إلى توحيد المولى سبحانه ورعاية أمانة المكيال والميزان في المعاملات ظاهرة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ

---

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٥، ٤٥١)، وانظر: «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٣٧٢- ١٣٧٣).

اَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود].

▫ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بخس المكيال والميزان، من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب - عليه الصلاة والسلام -، وقص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن؛ لنعتبر بذلك. والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه مستوجبٌ تغليظَ العقوبةِ، وينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان، ويُصرف في مصالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادته إلى أصحابه»(١).

▫ وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «لَمَّا قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ كانوا مِنْ أخْبثِ الناس كيلًا. فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ [المطففين]، فأحْسَنُوا الكيل بعد ذلك»(٢).

ويمكن القول: إن الأمانة في الكيل والميزان من جملة الأمانات التي أمر الله تعالى بأدائها ومراعاتها (٣)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وهي من الأخلاق العظيمة التي تبعث على «حفظ حقوق الآخرين، وتؤكد ما بينهم من مودةٍ ومحبةٍ، وتُزيل

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٩/ ٤٧٤).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه في كتاب التجارات- باب التوقي في الليل الوزن رقم (٢٢٢٣)، والحاكم وصححه (٢/ ٣٣٢- ٣٣٣) رقم (٢٢٨٧)، وحسّنه الألباني في «سنن ابن ماجه» طبعة بيت الأفكار الدولية (ص٢٤٠).

(٣) «التفسير الكبير» (١٠/ ١١١).

طمع النفوس إلى ما في أيدي الناس بدون جهد، وحبذا للمرء أن يُرجح إذا أعطى، ويُنقص إذا أخذ [(١)]، قال ﷺ: «**إذا وزنتُمْ فأَرْجِحوا**»[(٢)].

وكمَا يعتني الإسلام بالأمانة في توفية الكيل والميزان يحذر من التطفيف؛ لأن التطفيف فيه دلالة على أن فاعله قد تأصلت فيه مساوئ الأخلاق من غش وخداع وخيانة، والتطفيف في الكيل والميزان أمر محرم وكبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين]، وهو منذر بعقوبة الجبار في الدنيا التي تحصل في جلب الشدة وغلاء الأسعار والضيق في المعيشة [(٣)].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين: خصالٌ خمس، إذا ابتليتم بهنَّ - وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلِنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.**

ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلَّا أُخذوا بالسنين، وشدّة المؤنة، وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلَّا مُنِعوا القَطْر من السمَاء ولولا البهائم لم

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٥) و«دليل التجّار إلى أخلاق الأخيار» ليوسف النبهاني (ص٢٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»- كتاب التجارات- باب الرجحان في «الميزان» رقم (٢٢٢٢)، والضياء عن جابر، وصححه الألباني في «سنن ابن ماجه» (ص٢٤٠)، و«صحيح الجامع» (٨٢٥).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٩٠- ١٩١).

يُمْطَرُوا.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلَّا سلَّط الله عليهم عدوَّهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم شديدًا»[1].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خمسٌ بخمْس، ما نقضَ قومٌ العهدَ إلَّا سُلِّط عليهم عدوُّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلَّا فَشَا فيهمُ الفقرُ، ولا ظهرت فيهم الفاحشةُ إلَّا فشا فيهمُ الموتُ، ولا طفَّفوا المكيالَ إلا مُنِعوا النَّبات، وأُخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلَّا حُبِس عنهمُ القَطْرُ»[2].

محمد بن المنكدر التاجر الأمين يستسقون بدعائه في البوادي:

□ جاء في سيرة محمد بن المنكدر أنه كان له دكان يبيع فيه ثيابًا بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة. فباع غلامه في غيبته ثيابًا من الخمسيات بعشرة. فلمَّا عرف لم يزل يطلب ذلك المشتري طول النهار، حتى وجده. فقال له: «إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة. فقال: يا هذا قد رضيت، فقال: وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلَّا ما نرضاه لأنفسنا. فاختر إحدى ثلاث خصال، إما أن تأخذ ثيابًا من العشريات بدراهمك،

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في «سننه»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٥٥)، و«الصحيحة» (١٠٦).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)، و«صحيح الجامع» (٣٢٤٠).

وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد بضاعتنا وتأخذ دراهمك. فقال: أعطني خمسة، فرد عليه خمسة، وانصرف الأعرابي يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر. فقال: لا إله إلَّا الله هذا الذي نستسقي به -بدعائه- في الوادي إذا قحطنا»[١].

علو همة حسان بن أبي سنان في الأمانة:

كتب غلام حسّان بن أبي سنان إليه من الأهواز أن قصب السُّكَر أصابته آفة، فاشترِ السُّكَّر فيمَا قِبَلَك، قال: فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه إلَّا قليل، فإذا فيمَا اشترى ربح ثلاثين ألفًا؛ قال: فأتى صاحب السُّكَّر، فقال: يا هذا، إنَّ غلامي كتب إليَّ ولم أُعلِمْك فأَقِلْني فيمَا اشتريته منك؛ قال الآخر: قد أعْلمْتني الآن وطيَّبته لك، قال: فرجع، ولم يحتمل قلبه؛ قال: فأتاه، وقال: يا هذا، إني لم آت هذا الأمر مِن قِبَل وجهه، فأُحبُّ أن تستردَّ هذا البيع؛ قال: فمَا زال به، حتى رَدَّه عليه»[٢].

يونس بن عبيد الولي.. وهو التاجر الأمين التَّقِي:

□ عن مؤمل بن إسمَاعيل قال: «جاء رجلٌ من أهل الشام إلى سوق الخزّازين، فقال: مطرف بأربعمئة، فقال يونس بن عُبَيْد: عندنا بمئتين؛ فنادى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس إلى بني قشير ليُصَلِّي بهم، فجاء وقد باع ابن أَخته المطرف من الشامي بأربعمئة؛ فقال يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعْناه من ذا الرجل، قال يونس: يا عبد الله، هذا المطرف الذي عرضتُ عليك بمئتي درهم، فإن شئت خذه وخذ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٤٨).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١١٨).

مائتين، وإن شئت فدعه؛ قال له: مَن أنت؟ قال: رَجُلٌ من المسلمين، قال: أسألك بالله من أنت، وما أسمك؟ قال: يونس بن عُبيد؛ قال: فوالله، إنا لنكونُ في نَحْر العَدُوِّ، فإذا اشتدَّ الأمرُ علينا، قلنا: اللهم ربَّ يونس بن عُبيد فرِّج عنا، أو شبيه هذا. فقال يونس: سبحان الله، سبحان الله»[1].

▫ وعن غسّان بن المفضل قال: «جاءت امرأة بمطرف خزّ إلى يونس ابن عُبيد، فألقتْه إليه ليعرضه في السُّوق، فنظر إليه، فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا، قال: فألقاه إلى جاره، فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومئة، قال: أرى ذلك ثمنه، أو نحوًا من ثمنه؛ قال: فقال لها: اذهبي، فاستأمري أهلك في بيعه: القدرة، وعشرين ومئة؛ قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين، قال: ارجعي إليهم فاستأْمِريهم»[2].

▫ عن أحمد بن سعيد الدارمي قال: «سمعتُ النضر بن شميل وسعيد ابن عامر يقولان: إلَّا الحرير، وقال أحدهما: الخزّ في موضع، كان إذا غلا هناك، إلَّا بالبصرة؛ وكان يونس بن عُبيد خزّازًا، فعلم بذلك؛ فاشترى من رجل متاعًا بثلاثين ألفًا، فلمَّا كان بعد ذلك، قال لصاحبه، هل علمتَ أن المتاع كان غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لو علمتُ لم أَبِع، قال: هَلُمّ إلى مالي، فخذ مالك، فردّ عليه الثلاثين ألفًا»[3].

▫ وعن سكن قال: «جاءني يونس بن عُبيد بشاة، فقال: بِعْها، وابرأ من أنها تقلب العلف وتنزع الوتد، ولا تبرأ بعدما تبع، ولكن ابرأ، وبيّن

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٥).

(٢) «الحلية» (٣/ ١٦).

(٣) «الحلية» (٣/ ١٦).

قبل أن يقع البيع»(١).

□ وعن أمية قال: كان يونس بن عبيد يشتري الإبريسم من البصرة، فيبعث به على وكيله بالسوس، وكان وكيله يبعث إليه بالخزّ، فإن كتب وكيله إليه؛ إن المتاع عندهم زائد، لم يشتر منهم أبدًا، حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه: إن المتاع عندهم زائد»(٢).

أمانة الحسن بن صالح:

□ عن عبّاد قال: «بِعْنا جارية للحسن بن صالح، فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مَرّة دمًا!!!»(٣).

زاذان الأمين:

□ عن محمد بن جحادة قال: «كان زاذان يبيع الكرابيس، فكان إذا جاءه رجل، أراه شرّ الطرفين، وسامه سومة واحدة»(٤).

محمد بن واسع زين القُرّاء الأمين:

□ عن الربيع قال: «رأيت محمد بن واسع يمرُّ، ويعرض حمارًا له على البيْع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أَبِعْه»(٥).

أمانة الوفاء بالعقود المالية:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة].

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٨).

(٢) «الحلية» (٣/ ١٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٢٩).

(٤) المصدر السابق (٤/ ١٩٩).

(٥) «الحلية» (٢/ ٣٤٩).

* وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

والعقود متنوعة؛ فهناك عقد البيع، وعقد الإيجار، وعقد الشركة، وغيرها، وكل عَقْد يُبْرمه المرء مع غيره هو أمانة يجب الوفاء بها.

١- الأمانة في عقد استئجار الأجراء:

ينبغي مراعاة الأمانة في استئجار الأُجَراء، والمبادرة في إعطائهم حقوقهم وأجورهم، لقول رسول الله ﷺ: **«أعْطُوا الأجيرَ أجَره قَبْل أن يَجِفَّ عَرَقُه»**[١].

• وضرب لنا النبي ﷺ مثالًا في أمانة حفظ الأجر لصاحبه وأدائه إليه – ولو بعد حين – في قصة الثلاثة الذين دخلوا في جبل فانحطت عليهم صخرة، **فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله تعالى بأفضل أعمالكم، فقال أحدهم: «اللهم إنْ كنت تعلم أني استأجرت أجيرًا بفرقٍ**[٢] **من ذرةٍ فأعطيته، وأبى ذلك أنْ يأخذ، فعمدْت إلى ذلك الفرق، فزرعته، حتَّى اشتريت منه بقرًا وراعيها، ثم جاء، فقال: يا عبد الله أعْطني حقِّي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئُ بي؟ قال: فقلتُ: ما أستهزئُ بك، ولكنَّها لك. اللهمَّ إنْ كنت تعلمُ أني فعلت ذلك ابتغاءَ**

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وأبو يعلىٰ عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» عن جابر، والحكيم عن أنس، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (١٤٩٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٤).

(٢) فَرْق وفَرَق: لغتان بتحريك الراء – وهو الفصيح- وتسكينها مكيال يسع ثلاثة آصع ويُقدَّر وزنه عند الجمهور ٦٥١٦ جرامًا. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٣٧).

وجهِكَ، فأفرُج عنَّا. فكشفَ عنهم»[١]، فهنا برزت عظمة أمانة الرجل في حفظ أجر الأجير، ولمَّا جاء يطلب أجرته وفّاه إيّاها وتبرَّع بذلك النمَاء»[٢].

الأمانة في الوَصِيّة:

والوصيّة هي التبرُّع بالمَال بعد الموت، والمقصود بأمانة الوصيّة ما يتعلّق بالجانب المَالي.

• قال رسول الله ﷺ: **«ما حَقُّ امرئٍ مُسْلِمٍ له شيءٌ يُوصي به يبيتُ ليلتيْن إلَّا ووصِيَّتُهُ مكتوبةٌ عنده»**[٣].

□ قال ابن قدامة: «ولا تجب الوَصِيّة إلَّا على مَن عليْه دَيْن، أو عنده وديعة، أو عليه واجبٌ يوصي بالخروج منه، فإن الله تعالى فرض أداء الأمانات، وطريقه في هذا الباب الوصية»[٤].

والوَصِيّة مستحبَّة لمن ترك خيرًا في حق من لا يرث من الأقارب إذا كانوا فقراء في قول عامة أهل العلم[٥].

* قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) ﴾ [البقرة].

---

(١) رواه البخاري في كتاب «البيوع»، باب إذا اشترىٰ شيئًا لغيره بغير إذنه فَرَضيَ. رقم (٢٢١٥).

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٤٠٩)، (٦/ ٥٠٧- ٥٠٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٨)- كتاب الوصايا- باب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) في كتاب الوَصِيّة، ومالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) «المغني» (٨/ ٣٩٠).

(٥) «المغني» (٨/ ٣٩١، ٣٩٤).

* ومن الأمانة في الوصيّة أن لا يضار فيها الورثة، **قال تعالى:** ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٢].

□ قال قتادة في تفسير ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: «**إن الله تعالى كَرِه الضرار** في الحياة، وعند الموتِ، ونهى عنه»[(١)]. وقد عُدَّ الإضرار في الوصية من الكبائر.

ومن الإضرار أن يزيد على الثلث، أو يوصي لوارث[(٢)].

وقد اتفق العلمَاء على رَدِّ ما زاد على الثلث، وعدم صحة الوصية لوارث إذا لم يُجزها الورثة[(٣)].

هذا من جهة أمانة الموصِي، وأما من جهة أمانة الموصَى إليه؛ فإن قَبِلَ الوصية بعد وفاة الموصِي وقبضها، فلا يصح رد الوصية، ويجب على المُوصَى أن يقوم بأمانة إنفاذ الوصية على الوجه الصحيح[(٤)]، وإن وجد جَوْرًا أو حيفًا أو إثمًا في الوصية، عليه أن يعدل فيها بمَا يتفق مع الوجه الشرعي»[(٥)]،[(٦)].

الأمانة في الودائع:

الوديعة من أشهر أنواع الأمانة، وفي قبول حفظها ثوابٌ لمن يعلم من

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٦٥).

(٢) «تفسير القرطبي».

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٢٧/ ١٤٩)، و«المغني» (٨/ ٣٩٦، ٤٠٤).

(٤) «المغني» (٨/ ٤١٥).

(٥) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم (٤/ ١٨٦).

(٦) «الأمانة في الإسلام» (ص١٩٧ - ١٩٨).

تفسير الأمانة. والنبي ﷺ كانت عنده ودائع لكفار قريش، ولمَّا أُمِر بالهجرة أودعها عند أم أيمن، وأوصى عليًّا رضي الله عنه، بأن يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس»[١].

□ قال ابن مسعود رضي الله عنه:«الأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشدُّ ذلك الودائع»[٢].

وقد قيل: «قوام العَالَم بشيئين: كاسبٌ يَجْمع، وساكنة تحفظ»[٣].

أمانة طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

«استودع عروة بن الزبير طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق مالًا من مال بني مصعب بن الزبير لمَّا خرج إلى الشام، وأم طلحة عائشة بنت طلحة بن عبد الله، فبلغ عروة أن طلحة يبني ويبتاع الرقيق والإبل، والغنم، فلمّا قدم كره أن يكشفه وأن يقتضيه المَال، فجعل يلقاه ويستحي من تقاضيه، فقال له طلحة ذات يوم: ألا تُريد مالك؟ فقال: بلى، قال: فأَرْسِل فخُذه، فقال عروة: متى؟ قال: متى شئت، فبعث مع عروة رسولًا، فإذا هو قد هدم عليه بيتًا، فاستخرج المَال، فأتى به، فتمثَّل عروة ثَمَّ ذلك:

فما استخبأتَ مِن رَجُل خبيئًا ... كمثل الدِّين أو حسبٍ عتيقِ
ذوو الأحساب أكرم ما تُراثٍ ... وأصبرُ عند نائبة الحقوق[٤]

---

(١) «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٤٧٢)، و«المغني» (٩/ ٢٥٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٤٠).

(٣) «المبسوط» (١١/ ١١٠).

(٤) «الحلية» (٢/ ١٧٦- ١٧٧).

عامر بن عبد قيس رحمه الله المجاهد الأمين المُخْلص:

لمَّا هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض[١] أقبل رجل بفرس من ذهب مسرج بسرج من فضّة، على لببه[٢] وثفره[٣] الياقوت والزُّمُرُّد! فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثله قط! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه! فقالوا: هل أخذتَ منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله -تعالى- ما أتيتُكُم به، فعرفوا أنَّ للرجُل شأنًا. فقالوا: مَن أنتَ؟ فقال: لا والله لا أخبركم ألتحمدوني وتطروني، ولكنِّي أحمد الله تعالى وأرضى بثوابه، فأتبعوه رَجُلًا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس»[٤].

وليّ الله إبراهيم بن أدهم الأمينُ أيُّ أمين:

□ عن داود بن الجراح قال: «كان إبراهيم بن أدهم ينظر كرمًا في كورة غزّة، فجاء صاحب الكرم، ومعه أصحابه، فقال: ائتنا بعِنَبٍ نأكل، فأتاه بعِنب يُقال له: الخافوني، فإذا هو حامضٌ؛ فقال له صاحب الكرم: من هذا تأكل؟ قال: ما آكلُ مِن هذا، ولا مِن غيره؛ قال: لمِ؟ قال: لأنك لم تجد لي شيئًا من العنب، قال: فأتني برُمَّان؛ فأتاه برمّان، فإذا هو حامض؛ قال: مِن هذا تأكل؟ قال: لا آكل من هذا، ولا من غيره، ولكِن رأيته أحمر حسنًا، فظننتُ أنه حلو؛ فقال: لوْ كنت إبراهيم بن أدهم، ما عدَا؛ قال:

---

(١) الأقباض: جَمْع قَبْض، وهو ما قُبض وجُمِع من الغنيمة-«لسان العرب» (١١/ ١٤).
(٢) لببه: أي موضع مقدمته «القاموس المحيط» (١٧٠).
(٣) ثفره: أي مؤخرته- «القاموس المحيط» (ص٤٥٨).
(٤) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٩).

فلمَّا عَلِم أنهم عرفوه، هرب منهم وترك كِرَاه»[١].

□ وفي «السير» في ترجمة إبراهيم بن أدهم: «قال إبراهيم بن أدهم: أقبلت إلى العراقّ، فعملتُ فيها أيَّامًا، فلم يَصْفُ لي منها الحلالُ، فقيل لي: عليك بالشام فذكر حكاية نظارته الرُّمَّان، وقال الخادم له: أنت تأكلُ فاكهتنا، ولا تعرفُ الحلو من الحامض؟ قلتُ: والله ما ذُقتها فقال: أتراكَ لو أنك إبراهيم بن أدهم! فانصرف، فلمَّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عُنُق[٢] من الناس، فاختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وأنا هارب»[٣].

□ ومرّ يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر[٤] كرمًا، فقال: ناولنا من هذا العِنَب، فقال: ما أَذِن له صاحبه، قال: فقلب السوط وأمسك بموضع الشيب، فجعل يقنع رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه، وقال: اضرب رأسًا طالمَا عصى الله، قال: فأعجز الرجل عنه»[٥].

أمانة والد عبد الله بن المبارك رحمه الله:

وَرَد في ترجمة شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك أن والده كان يعمل وكيلًا أو ناطورًا[٦] في بستان لثري من كبار أثرياء بلدته، ولم يكن لهذا

(١) «الحلية» (٧/ ٣٧١- ٣٧٢).

(٢) العُنُق: الجماعة من الناس والرؤساء.

(٣) انظر ترجمة إبراهيم بن أدهم في «السير» (٧/ ٣٨٧- ٣٩٦).

(٤) أي: يحرسه.

(٥) «الحلية» (٧/ ٣٧٩).

(٦) أي: حارِسًا لبستان.

الثري إلَّا ابنة واحدة، يأتي إليها كبار الأغنياء وهو يردُّهم بأدب، وكان هذا الثَّرِي مُعْجَبًا أَيَّمَا إعجاب بأمانة خادمة «المبارك»، فدعاه يومًا وسأله عن رأيه في الزواج فقال: يا سيدي إن اليهود يزوِّجون على المَال، والنَّصَارى يزوِّجون على الجمَال، والعرب يزوِّجون على الأحساب والأنساب، والمؤمنون يزوِّجون على الصلاح والتقـوى فانظر يا سيدي - ماذا ترى؟ قال: والله.. وأنا أزوِّج على التقوى، ولا أزوِّجها إلَّا لك. فتزوجها فولدت له عبد الله بن المبارك شيخ الإسلام وإمام الورعين الذي سار على نهج أبيه فكان يقول: لأن أردَّ درهم فيه شبهة أحبُّ إليَّ من الجهاد في سبيل الله.

أمانة سفيان الثوري رحمه الله :

□ عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «قدم سفيان البصرة، والسلطان يطلبه، فصار إلى بستان، فأجَّر نفسه لحفظ ثمَاره، فمَرَّ به بعض العشَّارين فقال: مَنَ أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أرُطبُ البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبك! البرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطب الساعة. ورجع إلى العامل، فأخبره ليُعجبه، فقال: ثكلتك أمك! أدركه، فإن كنت صادقًا فإنه سفيان الثوري، فخذه لنتقرّب به إلى أمير المؤمنين، فرجع في طلبه فمَا قدر عليه»[1].

الأمانة في رعاية الأسرة:

• مرّ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع**

---

(١) «السير» (٧/ ١٨٨ - طبع المكتبة التوفيقيّة.

في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

فالزوجة والمرأة أمانة:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطَب في حَجَّة الوداع، فكان ممَا قال: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهُنّ بأَمَان الله، واستحللتم فُرُوجَهُنَّ بكلمة الله، وإن لكم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشكُم أحدًا تكْرَهُونَه..**»[١].

* والزوجان مؤتمنان على رعاية ميثاق الزواج الذي وصفه الله بالميثاق الغليظ قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١]، فعقد الزواج أمانة عظيمة، لا يجوز خيانته والتفريط فيه.

أمانة الزوج تجاه حقوق زوجته:

أ- **القوامة الأسرية**: الزوج مؤتمن على القيام بشؤون أسرته والإنفاق عليها، قال عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

• وقال النبي ﷺ: «.. **ألا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكُم أَنْ تُحْسِنُوا إِليهِنَّ في كِسوتِهِنَّ وطَعَامِهِنَّ**»[٢].

---

(١) **رواه مسلم (١٢١٨).**

(٢) حسن: **رواه الترمذي** في «سننه»-كتاب تفسير القرآن-باب سورة التوبة (٣٠٨٧) **وقال: هذا حديث** حسن صحيح. وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

• وقال رسول الله ﷺ: «**حَقُّ المرأة على الزوج أن يُطعِمَها إذا طَعِم، ويكسوها في البيت**[١].

إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّحَ [٢]**، ولا يهجرَ إلَّا في الفراش**» وعلى الزوج أن يراعي النفقة الحلال. سئل أحمد بن حنبل عن حديث النبي ﷺ: «**كَفَى بِالمرءِ إثْمًا أنْ يُضَيِّع من يَقُوتُ**»[٣]. قال: «إذا كان يسعى على عياله كيف يضيعهم؟ قيل له: فإن أطعمهم حرامًا يكون ضيعة لهم؟ قال: شديدًا»[٤]. وعمل الأبطال أكل الحلال والسعي على العيال.

• كمَا أن على الزوج أن يرعى أهله بمَا اؤتمن عليه من حقوق وواجبات، قال رسول الله ﷺ: «.. **وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيكَ حَقًّا**»[٥].

• وعليه أن يحسن عشرتها، وأن يحسن خُلُقه معها، فقد قال ﷺ: «**خياركم خياركم لنسائهم**»[٦].

---

(١) لا يسمعها ما تكره كقبَّح الله وجهك ونحوه.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم عن معاوية بن حيدة، وكذا رواه ابن حبان، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٣٣)، و«صحيح الجامع» (٣١٤٩).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود في «سننه» كتاب الزكاة- باب في صلة الرحم (١٦٩٢)، والبيهقي في «سننه» عن ابن عمرو، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (٨٩٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (١/ ٤٦٩)، و«صحيح الجامع» (٤٤٨١).

(٤) «الحث على التجارة» لأبي بكر الخلال (ص٢٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب الصوم- باب حق الضيف في الصوم (١٩٧٤).

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه عن ابن عمرو، ورواه أحمد، والترمذي، وابن حبان عن أبي هريرة، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٢٦٥).

• وقال ﷺ: «خياركم خيرُكم لأهله»[(١)].

• وقال ﷺ: «خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[(٢)].

• وقال ﷺ: «من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرًا فليتكلَّم بخير أو ليسكُت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقت مِن ضِلْع، وإن أعوج شيء في الضِّلْع أعلاهُ، إن ذهبتَ تُقيمُه كَسَرتَهُ، وإن تركتَهُ لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء».

ب- تأديب الزوجة وتعليمها: الزوج مؤتمن على تأديب زوجته وتعليمها ما يقوم به صحة عبادتها، وما ينفعها من أمور دينها، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لهم أَجْرَان: -وذكر منهم- ورجلٌ كانت عِندَهُ أَمَةٌ فأدَّبها فأحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وعَلَّمَهَا فَأَحسنَ تَعْلِيمَهَا، ثم أعْتقَهَا فتزوَّجَهَا»[(٣)].

□ وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «الاعتناء بالأهل والحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء»[(٤)].

• وكان النبي ﷺ يُوصي أصحابه رضي الله عنهم بتعليم أهليهم فيقول ﷺ: «ارجِعُوا إلى أَهْلِيكُم، فَأَقِيمُوا فِيهِم وَعَلِّمُوهُم..»[(٥)].

وليحرص على تعليمها أمور عقيدتها، ويحرص على حال قلبها

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي كبشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٦٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن عائشة، ورواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه الطبراني في «الكبير» عن معاوية، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٣١٤).

(٣) رواه البخاري (٩٧) في كتاب العلم- باب تعليم الرجل أَمَته وأهله.

(٤) «فتح الباري» (١/ ١٩٠).

(٥) رواه البخاري - كتاب الأذان- ، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة- رقم (٦٣١).

ورعايته، ويحضُّها على التهجد، وكثرة الذكِر، وقراءة القرآن، والترقِّي في مراتب الإيمَان ومدارجه، ويوصيها بعلو الهمة في أعمَال القلوب.

ج- **العفاف والستر**: الزوج مؤتمن على حفظ امرأته، ومنعها من التبرج والاختلاط بالرجال الأجانب، ومأمور بسترها وإعفائها وحمايتها من الوقوع في الفواحش، أو إثارة الفتنة، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

□ قال ابن تيمية: «إن المرأة يجب أن تصان وتحفظ بمَا لا يجب مثله في الرجل؛ ولهذا خصت بالاحتجاب، وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت، ما لا يجب في حق الرجل؛ لأن ظهور النساء سبب الفتنة»[1].

د- **حفظ الأسرار**: الزوج مؤتمن على حفظ أسرار زوجته بأن لا يتكلم بمَا يكون بينه وبينها من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك[2]، وما يجري فيه من أمور خاصة من قول أو فعل ونحوه، فهو من أعظم الأمانة التي يجب على الزوج أن يحفظها.

• قال النبي ﷺ: «**إنَّ من [3] أَعظَم الأَمانةِ [4] عند الله يوم القيامة، الرجل يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا**»- وفي رواية-: «**إنَّ من أَشَرِّ النَّاس عند الله مَنزلَةَ يَوم القيامة، الرجل يُفضي إلى امرأتِهِ، وتُفْضي**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٢٩٧).
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٨).
(٣) وفي رواية عن ابن نمير «إن أعظم».
(٤) إن من أعظم الأمانة: علىٰ حذف المضاف، أي: أعظم خيانة الأمة.

إليه، ثم يَنشرُ سِرَّهَا»[١].

فالأزواج الذين ينشرون أسرار نسائهم، أولئك شرار الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة.

ومن الأمثلة في أمانة حفظ الأسرار الزوجية ما روي عن بعض الصالحين: أنه أراد أن يطلق امرأة، «فقيل لَهُ: ما الذي يريبك منها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته. فلمَّا طلقها، قيل له: لِمَ طلقتها؟ فقال: مالي ولامرأة غيري؟»[٢].

هـ- **الغَيْرَةُ على الزوجة**: الزوج مؤتمن على زوجته، ومن لوازم أمانته أن يَغَارَ عليها، ولذلك قيل: «كُلُّ أُمَّة وُضِعَت الغَيْرَةُ في رجالها، وُضِعَت الصِيَانَةُ في نسائها»[٣].

وأن يراعي الزوج الاعتدال في هذه الغَيْرَة، فإن الغَيْرَةَ منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم. فالغَيْرَةُ المحمودةُ هي التي في محلها ومِمَا لا بُدَّ منه.

• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله يَغَارُ، وإنَّ المؤمنَ يَغَار..»**[٤].

• وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: «لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لَضَرَبْتُه

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١١٧).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٢٣).

(٤) رواه أحمد، والبخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٣)، ورواه مسلم في كتاب التوبة، باب غيره الله تعالى، (٢٧٦١)، ورواه الترمذي عن أبي هريرة.

بالسَّيفِ غير مُصْفِح»[١]. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أَتَعْجَبُونَ من غَيْرَةِ سعد؟ لأنا أَغْيَرُ منهُ، والله أَغْيَرُ مني**»[٢].

□ وكان الحسن البصري يقول: «أَتَدَعُون نساءَكُم يُزاحمون العُلُوج[٣] في الأسواق؟ قَبَّحَ الله من لا يغَار»[٤].

□ والغَيْرَة المذمومة هي ما تدعو الزوج إلى التمَاس عثرات زوجته والتجسس عليها وتَخْوينها، وهو أمر منهي عنه، روى جابر رضي الله عنه: «نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يطرقَ الرَّجُلُ أهلَهُ ليلًا يَتَخوَّنُهُم أو يلْتَمِسُ عَثَرَاتِهم»[٥].

ثانيًا: أمانة الزوجة تجاه حقوق زوجها:

أ- طاعتها لزوجها: الزوجة مؤتمنة وملزمة بطاعة الزوج الذي له حق القوامة عليها ما دام لم يأمرها بمعصية، والمرأة الصالحة الأمينة هي التي تحفظ معروف زوجها وتطيعه في المعروف، قال تعالى:

---

(١) مِصْفَح: قال القاضي عياض: «هو بكسْر الفاء وسكون الصاد المهملة، ورويناه أيضًا بفتح الصاد، فمن فتح جعله وصفًا للسيف وحالا منه، ومن كسر جعله وصفًا للضارب وحالاً منه»- «فتح الباري» (٩/ ٣٢١).

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح وكتاب الحدود باب من رأىٰ مع امرأته رجل فقتله (٦٨٤٦)، ورواه مسلم في كتاب اللعان (١٤٩٩).

(٣) العُلُوج: جمع عِلْج، الرجل من كُفّار العجم- «لسان العرب» (٩/ ٣٤)، و«القاموس المحيط» (ص٢٥٤).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٠٤).

(٥) رواه مسلم -كتاب الإمارة- ، باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً، لمن ورد من سفر (٣/ ١٥٢٨).

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد في قول الله تعالى: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: «يعني مطيعات لأزواجهن»[١].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صَلَّت المرأةُ خَمسَهَا، وصَامَت شَهرَهَا، وحَصَّنَت فَرجَها، وأطَاعَت بَعلَهَا دَخَلَت الجَنَّة من أي أَبوابِ الجنَّةِ شَاءَت»**[٢].

ب- **حفظ نفسها وعرضها**: الزوجة مؤتمنة على حفظ نفسها وعرضها، قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع: «.. **وَلَكُم عَلَيهن أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُم أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ..**».

□ وجاء عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قوله: «من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها»[٣].

□ وقال جرير يرثِي امرأته في عفافها:

كَانَت إذا هَجَرَ الخَليل فِرَاشَهَا ... خَزنَ الحَدِيثِ وعَفَّت الأسرار[٤]

ج- حفظ أسرار الزوج: الزوجة مؤتمنة على حفظ أسرار زوجها، ويجب عليها أن تحرص أشد الحرص على عدم إفشائها، ولا شك أن حفظ سر الزوج من أخص خصائص أمانة الزوجة تجاه زوجها، ومن

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩٣).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٩).

(٤) «ديوان جرير»، شرح محمد حبيب، تحقيق د. نعمان طه (٨٦٥).

أكثرها إسهامًا في ديمومة الحياة الزوجية واستقرارها.

• ومن أعظم الأسرار ما يكون من أمور الاستمتاع جاء في حديث النبي ﷺ: «**إنَّ من أَعَظمِ الأَمانةِ عند الله يوم القيامةِ، الرَّجل يُفْضِي إلى امرأتِهِ وتُفْضِي إِليهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»(١).

وكذلك ما يعتري الزوج من مشكلات مالية أو اجتماعية فيفضي إليها بهمومه، ويتنفس الصعداء في تبسطه في الحديث معها، فتقتضي الأمانة أن تراعي الزوجة حديثه، وتنفيس كربته، وقضاء حاجته، والستر على حاله أمام القريب والبعيد.

د- **حفظ مال الزوج وعدم الإسراف في إنفاقه**: الزوجة مؤتمنة على حفظ مال زوجها وعدم الإسراف في المأكل والمشرب، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان].

• وغاية هذه الأمانة أن المرأة لا تتصرف في مال زوجها إلَّا بإذنه إلَّا في الصدقة المعتدلة، كمَا في حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تَصدَّقَت المرأةُ من طعام زوجِها، غَير مُفْسِدَةٍ، كان لها أجرُها، ولزوجِها بمَا كَسَب، وللخازنِ مثل ذلك**»(٢)، ويُعْفَى من ذلك الشيء اليسير الذي لا يُؤبَه لَهُ، ولا يَظهر فيه النقصان، أو إذا كان الزوج يأذن لها

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» -كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدّق (١٤٣٧).

إجمالًا [١].

هـ- السماح لمن يأذن لَهُ الزوج في دخول المنزل، وخروجها منه بإذنه: الزوجة مؤتمنة بأن لا تسمح لأحد بدخول المنزل إلَّا بإذن الزوج، قال النبي ﷺ: «**فأمّا حَقُّكُم على نِسَائِكُم فَلا يُوَطِئْنَ فُرُشَكُمْ من تَكْرَهُونَ، ولا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُم لِمَن تَكْرَهُونَ**»، وهي مؤتمنة على أن لا تدخل أحدًا منزل الزوج وهو يكره دخوله، سواء أكان الداخل امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك [٢].

وهي كذلك مؤتمنة بأن لا تخرج من منزل زوجها إلَّا بإذنه، بل حتى ذهابها إلى المسجد لأداء الصلاة والعبادة مشروط بإذن الزوج، وعلى الزوج أن لا يمنع أهله من الذهاب إلى المسجد إذا لم يكن هناك محذور في ذهابها.

و- التزامها بأحكام العِدَّة والحيض ونحوها: الزوجة مؤتمنة في عِدَّتِها وحيضِها، وما يتعلق بذلك من عِدَّةِ الوفاة وانقضائها، والاختلاف في المهر والنزاع فيه ونحو ذلك [٣].

فيجب على المرأة أن تحسب عدتها بعناية، حتى لا تفرِّط في شيء من حقوق زوجها ومنعه من الاستمتاع بها، بل من الأمانة أن تُعلم زوجها بانقضاء حيضها، ولا تسمح لَهُ بجماعها أثناء فترة الحيض والنفاس،

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٣٠٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ١٨٤).

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٥٥، و٧٥، و١٠٦، و٣٢٧)، و«الكافي» لابن عبد البر (ص٢٥٣، ٢٥٥)، و«الروض المربع» (٢/ ٢٨٢، و٣٠٨- ٣٠٩).

وهذا من أعظم الدِّيانة والرِّعاية في حق زوجها بمَا أحل الله تعالى له.

وكذلك من أمانة الزوجة إعلام زوجها بمَا كتب الله تعالى لها من الحمل في بطنها لتتأكد رعايته على المولود له، خاصة عندما تضيق سبل المعاشرة بالمعروف بينهمَا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]»[١].

أمانة الزوجيْن في تربية الأولاد:

* قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أدِّبوهم وعلِّموهم».

ويتعاون الزوجان في تربية أولادهمَا تربية إسلامية سليمة.

أ- أمر الأولاد بأداء الصلاة: الزوجان مؤتمنان على حث أولادهمَا بأداء الصلاة منذ صغرهم، كمَا أوصى بذلك النبي ﷺ: «**مُرُوا صِبْيَانكُم للصَّلاةِ إذَا بَلَغُوا سَبعًا، واضرِبُوهُم عَلَيها إذَا بَلَغُوا عَشرًا، وفَرِّقُوا بَينَهم في المَضَاجع**»[٢].

ب- تربية الأولاد وتعليمهم: الزوجان مؤتمنان على تربية أولادهما وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، يقول ابن القيم: «فمن أهمَلَ تعليمَ ولدِهِ ما ينفعه، وتَرَكَهُ سُدى، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءة، وأكثرُ

---

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص١٥٠- ١٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الصلاة- باب متىٰ يؤمر الصبي بالصلاة؟ (٤٩٥)، وقال عنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: «حديث حسن صحيح».

الأولادِ إِنمَا جاء فسادُهُم من قِبَلِ الآباءِ وإهمَالِهم لهم، وتركِ تعليمِهم فرائضَ الدين وَسُنَنَه، فأضاعوها صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسِهم ولم ينفعوا آباءَهُم كِبَارًا»(١).

□ ولله در القائل:

ليس اليتيم من انتهى أبوا	هُ وخَلَّفاه في الحياة ذليلًا
إن اليتيم هو الذي ترى له	أُمًّا تخلَّتْ أوْ أبًا مشغولًا

والواجب على الأبويْن في أمانتهمَا هذه أن يتَّقيا في ذرياتهمَا، ويشرفوا على تعليمهم العلم النافع، وتحفيظهم كتاب الله وتعليمهم السُّنَّة الشريفة ويبرزا لهم محاسن الدين الإسلامي، ويعرفانهم تاريخ المسلمين وقوادهم وأبطالهم وعلمَائهم وعُبّادهم. ويعلِّمانهم مكارم الأخلاق، ويحلِّيان أولادهمَا بها، ويحثُّوهم على الأخذ بأسباب الدنيا حتى يكونوا أبناء مخلصين للإسلام يُشار إليهم بالبنان، ويرغِّبانهم في التنافس في طلب الدار الآخرة والحرص عليها. وغرس خلق الأمانة فيهم وتربيتهم على ذلك.

أمانة الأولاد في البِرِّ بوالديهم:

حق الوالدين عظيم ومعروفهمَا لايجازى، فليس أعظم إحسانًا ولا أكثر فضلًا بعد الله تعالى منهمَا، لذا فإن أمانة الأولاد في البر بالوالدين جِدُّ عظيمة، حيث أوصى المولى عَزَّوَجَلَّ بالوالدين إحسانًا بعد الأمر بعبادته، إعلانًا لقيمة هذا البرِّ في قوله سبحانه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ

---

(١) «تحفة المورود بأحكام المولود» لابن قيم الجوزية (ص١٣٩).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ [الإسراء].

• وأوصى النبي الكريم ﷺ ببر الوالدين، وجعله أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة مباشرة، روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «**الصَّلاةُ على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَين**». قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

□ **وتتجلى أمانة الأبناء في البر بوالديهم في أمور عديدة أهمها:**

أ- **الإحسان إلى الوالدين**: تتمثل الأمانة في الإحسان إلى الوالدين، والقيام بهمَا في حالة نشاطهمَا وضعفهمَا، والسهر على خدمتهمَا، قال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)﴾ [لقمان].

ويدخل في الإحسان طاعة الوالدين ما لم يأمرا بمعصية، وحسن صحبتهمَا في الدنيا، والابتعاد عمَا يؤذيهمَا.

ب- **الإنفاق على الوالدين**: يجب الإنفاق على الوالدين المحتاجين، والقيام بتفقد حاجاتهمَا دومًا، قال جل جلاله: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وهو جزء من بعض جميلهمَا على أولادهمَا بأن يتحمل الأبناء بعض الأمانة الواجبة تجاه البر بوالديهم، وهو واجب جسيم، يتألم في سبيلهمَا الكثير من المشاق للفوز برضا الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة (٥٢٧).

ج- عدم إيذاء الوالدين: تظهر خطورة الإخلال بأمانة الأولاد تجاه البِرِّ بالوالدين بإيذائهما بقول أو فعل، من نَهْرِهِمَا أو سَبِّهِمَا أو عَدَم احترامهما الذي هو العُقُوق المنهي عنه، وهو من الكَبائر، فقد سئل النبي ﷺ عن الكبائر فقال ﷺ: **«الكَبَائِرُ: الشِّرْكُ باللهِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعقوق الوالدَيْن»**(١).

ومن أمانة الأبناء بالبر بوالديهم أن يأمراهما بالمعروف وينهاهما عن المنكر متى وقعا في مُحَرَّم، وأن ينصاحاهما دائمًا في الخير»(٢). تحبُّ أولادك طبعًا، فأحببْ والديْك شرعًا، وارع أصلًا أنبت لك فرعًا، وتذكر طيب المرعى أولًا وأخيرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

أمانة حفظ الأسرار:

• قال رسول الله ﷺ: **«إنما المجالس بالأمانة»**(٣).

فالمجالس تعقد بالأمانة على ما يجري فيها من أمور، ويجب أن تحفظ أسرارها، ولا يحل للمرء أن يفشي من أسرار إخوانه ما لا يحبون أن يخرج عنهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إذا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَديثَ ثم الْتَفَتَ فَهِي أَمَانَةٌ»**(٤).

---

(١) رواه البخاري واللفظ له -في كتاب الأدب- باب عقوق الوالدين من الكبائر (٥٩٧٧)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»- باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٨).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٤٧٦).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود عن جابر، والديلمي عن ابن مسعود، وابن المبارك عن أبي بكر بن حزم مرسلًا، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٧٨).

(٤) حسن: رواه الترمذي في كتاب «البر والصلة»، باب ما جاء أن المجالس بالأمانة، وقال عنه: حسن (١٩٥٩): رواه أبو داود (٤٨٦٨)، وقال الألباني في «صحيح سنن

□ قال المباركفوري في شرحه للحديث: «تَحْسُنُ المَجَالِسُ أو حُسْنُ المجَالس وشَرَفُها بأَمَانة حَاضِرِيها على ما يقع فيها من قَول وفعل؛ فكأن المعنى ليكن صاحب المجلس أمينًا لما يسمعه ويراه»[١].

□ ويؤكد هذا المعنى العظيم الحسن البصري بقوله: «إنما تُجالسونا بالأمانة، كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلَّا في الدينار والدرهم، إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل، فنطمئن إلى جانبه، ثم ينطلق فيسعى بنا..»[٢].

وينبغي أن يراعي أن حفظ الأسرار مشروط بأن لا يؤثر في حق الله تعالى أو حق المسلمين، وإلَّا عُدَّ من الخيانة لحق الله تعالى أو حق المسلمين[٣].

إن أمناء الأسرارِ عزيزٌ وجودهم، فهم أقل وجودًا من أمناء الأحوال، «وحفظ المَال أيسر من كتم الأسرار»[٤]،والسبب في صعوبة حفظ الأسرار كما يقول الراغب الأصفهاني: «إن للإنسان قوتين: آخذة، ومعطية، وكلتاهمَا تتشوف إلى الفعل المختص بها، ولو لا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها لَمَّا أتاك بالأخبار من تزوده، فصارت هذه القوة تتشوف إلى فعلها الخاص بها، فعلى الإنسان أن يُمسكها، ولا يُطلقها إلى حيث ما

أبي داود» (٣/ ٩٢٢) وهو في «صحيحة» برقم (١٠٨٩)، وفي «صحيح الجامع» (٤٨٦).

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٩٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٢٥).

(٣) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (٢/ ٣٦١).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦)، و«المستطرف» لشهاب الدين الأبشيهي (١/ ٣٢٦).

يجب إطلاقها»[(١)].

□ قال الكفوي: «كل ما افْتُرِضَ على العباد فهو أمانة كصلاةٍ وزكاة وصيام وأداءَ دَيْن، وأوْكدها الودائع، وأوْكد الودائع كتْمُ الأسرار»[(٢)].

□ وذكر الماوردي بعض الخصال التي تعين من استودع سرًّا أن يحفظه، وتوجب حفظ الأمانة، وهي أن يكون: «ذا عقل صاد، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتومًا بالطبع»[(٣)، (٤)].

أبو بكر الصديق الحافظ الأمين لِسِرِّ رسول الله ﷺ:

□ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب حين تأيَّمت حفصة بنت عمر من خُنَيْس بن حذافة السهمي – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ- فتُوُفِّي بالمدينة –، فقال عمر بن الخطاب: أتيتُ عثمان ابن عفّان، فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوّج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إنْ شئتَ زوَّجتك حفصة بنت عمر، فصَمَت أبو بكر، فلم يرجع إليّ شيئًا، وكنتُ أوجد [(٥)] عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٢٩٧).
(٢) «الكُليات» (ص١٨٧).
(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦).
(٤) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٢-١٦٣).
(٥) قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٢١): أيْ أشدُّ موجدة أيْ غضبًا على أبي بكر من غضبي على عثمان، وذلك لأمْرَيْن: أحدهما: ما كان بينهما من أكيد المودّة، وذلك لأن النبي ﷺ آخى بينهما، والثاني: لكون عثمان أجابه أوّلًا ثم اعتذر له.
ثانيًا: لكون أبي بكر لم يعد عليه جوابًا.

=

رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلَّك وجدتَ عليَّ حين عَرضتَ عليَّ حفصة، فلم أرجعِ إليك شيئًا. قال عمر: قلتُ: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلَّا أني كنتُ قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشيَ سر رسول الله، ولو تركها رسول الله قبِلْتُها»[1].

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أكتم الناس لِسِرِّ رسول الله ﷺ:

□ كان حذيفة رضي الله عنه أمينًا على سِرِّ رسول الله ﷺ على المنافقين، وكان يُقال له: «صاحب السِّرِّ الذي لا يعلمه أحدٌ غيره»[2].

حفظ أم أبيها فاطمة عليها السلام ورضي الله عنها لِسِرِّ رسول الله ﷺ:

□ كانت رضي الله عنها حافظةً لِسرِّ أبيها رسول الله ﷺ. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنَّا كُنَّا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا لم تغادِرْ منا واحدةٌ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تُخطئ مِشيتَهَا من مِشيةِ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا رآها رحَّب وقال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسَها عن يمينه - أو عن شمالِه- ثم سَارَّهَا، فَبَكَت بُكاءً شديدًا، فلمَّا رأى حُزْنَها سَارَّهَا الثانية، فإذا هي تضحك. فقلت لها: - أنا من نسائه- خَصَّك رسول الله بالسِّرِّ من بيننا ثم أنت تبكين، فلمَّا قام رسول الله ﷺ سألتُها عمَّا سَارَّهَا؟ قالت: ما كُنتُ

ووقع في رواية ابن سعد: «فغضب عليّ أبو بكر، وقال فيها: كنتُ أشدَّ غضبًا حين سكتَ مني على عثمـان» اهـ.

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر «صحيح البخاري» -كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب عمّار وحذيفة رضي الله عنهما، رقم (٣٧٤٢).

لأفشي على رسول الله ﷺ سِرَّهُ. فلمَّا توفي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق – لَمَا أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: أما حين سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعمَ السلفُ أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلمَّا رأى جزعي سارَّني بالثانية: قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة»(١).

حفظ الغلمان لأسرار الكبار:

ولا يتوقف الأمر على أمانة حفظ الأسرار عند الرجال والنساء من الصحابة بل حتى الغلمان، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه- الغلام الصغير الذي يخدم رسول الله ﷺ يقول: «أَسَرَّ إِلَيَّ النبي ﷺ سرًّا فما أخبرتُ به أحدًا بعده، ولقد سألتني أم سُلَيم فما أخبرتُها به»(٢).

وكل امرئ عُهد إليه بسر يجب أن يحفظه؛ سواء أكان حاكمًا أم طبيبًا أم موظفًا أم عاملًا..، وكما قيل: «قلوب العقلاء حصون الأسرار»(٣).

□ وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في حفظ الأمين للسر:

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الاستئذان»، باب من ناجى بين يدي الناس، ولم يخبره بسر صاحبه..، رقم الحديث (٦٢٨٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الاستئذان»، باب حفظ السر، رقم الحديث (٦٢٨٩).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٦).

وأمـــينٍ حَفَّظتـــه سِرَّ نفـــسي   فوعاهُ حِفْظَ الأمين الأمينا[(١)]، [(٢)]

أمانة ستر العورات[(٣)]:

أمانة سَتْر العورات ضرورية، «فلا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات، الأَوْلى في الدين والدنيا سَتْرها، ولا تبقى السَّلامة مع انكشافها»[(٤)].

□ قال النووي: «السِّتْرُ المندوب إليه.. السِّتْرُ على ذوي الهيئات ونحوهم؛ ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيُستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى وَلِيِّ الأمْرِ، إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن السِّتْرَ على هذا يطعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات..»[(٥)].

• قال رسول الله ﷺ: **«من ستر أخاهُ المسلمَ في الدنيا، ستره الله يوم القيامة»**[(٦)].

• وقال ﷺ: **«من نَفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِن كُرَب الدنيا نفّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة، ومَن يَسَّر على مُعْسِر، يسَّرَ الله عليه في الدنيا**

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٤٦٧).

(٢) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٣-١٦٤).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص١٦٦).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٦).

(٥) «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١٣٥).

(٦) صحيح: رواه أحمد عن رجل، ورواه أحمد، والحميدي عن أبي أيوب وعقبة، ورواه أحمد، عن سلمة بن مخلد، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه وابن الجارود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤١).

والآخرة، ومن سَتَرَ مُسْلِمًا ستره الله في الدنيا والآخرة..»[١].

أمانة الكلمة:

* امتنَّ الله على الإنسان فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن]، فكيف إذا كان هذا البيان أرقى البيان معنًى ولفظًا.

إن أحسن وشي رقمته الأقلام، وأبهى كلمات وبيان نطق به الإسلام، وأبهى زهر تفتَّحتْ عنه الآكام، قول يفوح بعبير الإسلام نفحُه، ويُشرِق في سماء الطروس صبحه، كزهر الروض أو نفحة الصبا ساريةً على الرِّند والبان.

□ نريد كلامًا وقولًا يُغرِّدُ على دوحة الإسلام لا ينقُّ نقيق الضفادع.

* قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ لَيتكَلَّمُ بالكلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ الله لا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بها دَرَجاتٍ، وَإنَّ العَبْدَ لَيتكلَّمُ بِالْكَلِمَةِ منْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَها بَالًا يَهْوِي بِهَا في جَهَنَّمَ**»[٢].

□ نريدُ كلامًا راقيًا من نفوس تُدرِك قيمة الجمال ما وُجِدت على الأرض نفوس تدرك قيمة الخير.. كلام يُسْقي ويرشح من نبع الكتاب والسُّنَّة الذي لا تُكدِّرهُ الدِّلاء.. كل كلمة كأنها زهرة تفوح، أو نجم يلوح، تظهر فيه صفات الجمال والخير، ينطق بأبلغ ما تفهمه النفوس من المعاني يفيض الجمَال على نفسه، فيصبح قطعة من هذا الجمال.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في «الرقاق» (٦٤٧٨)، ومسلم في «الزهد والرقائق» (٢٩٨٨)، ومالك في «الموطأ» في كتاب «الكلام» (٢/ ٧٥٢) رقم (٦).

□ ومن أمانة الكلمة: أن تكون الكلمة راقية طاهرة، كالرِّياض المنوَّرة بأزهارها، وكالطيور المغرِّدة بألحانها، كالأشجار المُصَفَّفَة بأغصانها، وكالنجوم المتلألئة بالنور الدائم. وكعذوبة نور النهار والمَاء البارد على الظمأ.

□ نريد كلامًا رقيقًا صورة لرِقَّة النَّفْس، دقيقًا متناهيًا في العمق، صورة لِدقَّة نظرة صاحبه إلى الحياة، يُري الناس أن الكلام أُمة من الألفاظ عاملةٌ في حياة أمَّة من الناس، ضابطة لها المقاييس التاريخية، مُحْكِمة لها الأوضاع الإنسانية، مشترِطة فيها المثَلَ الأعلى، حَامِلةً النور الإلهي على الأرض.

□ نريد كلامًا عاليًا يُنْشِئُ الأُمَّة إنشاءً ساميًا، ويدفعها إلى المعالي دفعًا، ويردُّها عن سفاسِف الحياة، ويملأ سرائرها يقينًا ونفوسَها حَزْمًا، وأبصارها نظرًا وعقولها حِكْمة.

□ نريد رَجُلًا يكون لأمته ولِلُغَتها في مواهب قلمه وكلامه لقبٌ من ألقاب التاريخ.

□ نُريد المسلم نقي الكلمة؛ كأنه إنسانٌ من الفلك يُخَزِّن الأشعة ويريقُها في يده الأنوار والظلال يعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت عَلَى الناس معاني الحياة، ولا تزال الحكمة تُلقي إليه الفكرة الجميلة؛ ليعطيها هو صورة فكرتها وتوحي إليه معنى الحق ليؤتيها هو معنى جمال الحق، هو أبدًا وراء ما لا ينتهي من جمال أوله في نفسه وآخره في الجمال الأقدس الذي مسح عَلَى هذه النفس الجميلة السامية فما دام فيه طهر الإسلام وشفافيته ورقة الذوق، فهو دائب يعلم ممزقًا حياته في سُبحات النور تمزيقًا يجتمع منه أدبه، ويجتمع منه شعره، وما شعره إلَّا صورة حياته» اهـ.

الأمانة في الولايات:

• تعد الأمانة في الولايات [١] من أكبر الأمانات التي تطوق صاحبها، ويسأل عنها أشد السؤال إن تعمد التفريط فيها، واستهان بها، قال رسول الله ﷺ محذرًا الولاة من الغش في القيام بواجب الرعية بقوله ﷺ: **«ما من عبدٍ يسترعِيهِ الله رعِيَّةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غَاشٌّ لرعيته، إلَّا حَرَّمَ الله عليه الجنة»** [٢].

القويُّ الأمين كليم الرحمن موسى عليه السلام:

* وقد عُرف نبي الله موسى عليه السلام بالأمانة قبل أن ينبأ ويرسل إلى فرعون وقومه، حينما لجأ إلى مَدْيَن [٣] خوفًا من بطش فرعون وقومه، وسقيه للفتاتين، قال المولى عز وجل: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل «القوي الأمين»: «قَوِيٌّ فيما وَلِيَ، أَمِينٌ فيما استودع» [٤]. والأمانة والقوة هما الركنان المقصودان في كل شيء

---

(١) مفهوم ولاية الأمر لا يقتصر على الولاية العامة أو الكبرى، بل يدخل في هذا المفهوم جميع العاملين في الدولة على مختلف مراتبهم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار.

(٣) مَدْين: مدينة على البحر الأحمر، محاذيةً لتبوك.

(٤) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٠).

مع أن اجتماعهما في الناس قليل [١].

وضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في تولية الأمناء في الولايات، فكان يتفرس في الأشخاص القادرين، فيضعهم موضع الاختبار والتجربة، فالاختبار في الاختيار، ويتابعهم بملاحظاته، فمن وجده أهلًا أسند إليه أمانة الولاية والقيادة [٢]. وهذا ما فعله ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، لَمَّا أراد أن يبعثه إلى اليمن، اختبر أمانته وعلمه وفطنته وقدراته في مواجهة الأمور، ذلك أن الولاية توجب المحافظة على حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، وتتطلب خلقًا أمينًا راسخًا.

□ وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشعر مسؤولية أمانة الخلافة بالبحث عن الأمناء والنصحاء، فيقول: «أنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أَكِلُهُ إلى أحد، ولا أستطيع ما بعُدَ منه إلَّا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله» [٣].

□ وكان زياد ابن أبيه إذا وَلَّى رجلًا عملًا أوصاه، مؤكدًا أن يكون من الأمناء بقوله: «خذ عَهْدَكَ، وسِر إلى عملك، .. واعلم أنك تصير إلى أربع خلال، فاختر لنفسك: إنَّا إنْ وَجدناك أمينًا ضعيفًا استبدلنا بك لضعفك، وسَلَّمَتْكَ من مَعَرَّتِنَا [٤] أمَانَتُكَ، وإن وَجدناك قويًا خائنًا، استهنا بقوتك،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٤).

(٢) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٦٦٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١٥).

(٤) المعرّة: الأذى.. «لسان العرب» (١٣/ ١٤٠).

وأَحْسنَّا على خيانتك أدبك، فأوجعنا ظهرك، وأثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمَين جمعنا عليك المضرَّتين، وإن وَجدناك أمينًا قويًا زدناك في عملك، ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك، وأَوْطَأنا عقبك»(١).

□ وصفات الأمناء صفات نسبية حسب الوظيفة التي تسند إلى المكلف واستعداداته الشخصية، ومن يجمع بين القوة والأمانة قليل في بني الإنسان، والقوي الذي لا يؤتمن والموثوق العاجز هم أكثر الناس، والذين فيهم شيء من القوة وشيء من الأمانة كثيرون(٢)، يقول ابن تيمية: «إذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قُدِّم الأمين؛ مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها وحفظها، فلا بد فيه من قوة وأمانة، فَيُوَلَّى عليها شاهد قوي يستخرجها، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته. وكذلك في إمارة الحرب، إذا أُمِرَ الأميرُ بمشاورة أهل العلم والدين جمع بين المصلحتين»(٣)، فلا بد من الموازنة بين الوظيفة المكلف بها والمصالح المترتبة عليها وبين صفات المتصف بها، فكلما كانت المصالح المترتبة على أمانة المكلف أَوْ ذِي الولاية ذات قيمة اجتماعية للمجتمع، كانت صفاته أكمل وأجمل.

□ ويرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن من كان له نسب عال ومال وَفِير أبعد عن الخيانة وأقرب إلى الفقه والأمانة»(٤).

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٤)، ومقال: في إشراقة آية للدكتور عبد الكريم بكّار، مجلة البيان، العدد ٧١، رجب ١٤١٤هـ (ص١٠-١١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٨).

(٤) «القضاة في عهد عمر بن الخطاب» للدكتور ناصر الطريفي (١/ ١٩٩).

□ وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: «لا تستقضين إلَّا ذا مال وذا حسب، فإن ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس»(١).

□ كما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري، يستشيره في أقوام يستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب الحسن إليه: «عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة»(٢).

* وينبغي عدم ائتمان أهل الكتاب وإطلاعهم على مصالح المسلمين، فإنه «لمَّا استكتب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كاتبًا نصرانيًّا انتهره عمر رضي الله عنه وقرأ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة]، فقال أبو موسى: والله ما توليته وإنما كان يكتب، فقال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لا تدنهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنهم إذ خونهم الله تعالى، ولا تعزهم بعد أن ذلهم الله تعالى»(٣)، على أنه ربما وجد من الكفار من يعامل المسلمين بالأمانة والصدق، كما أن «خُزَاعَة عَيْبَة(٤) نُصْح رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٥).

(١) «أخبار القضاة» لوكيع (١/ ٧٦-٧٧).
(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩١).
(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٨٤).
(٤) عيْبة نصح: أي موضع أمان ووفاء.
(٥) رواه البخاري (٢٧٣).

قوة الأمين:

* القوة هي أحد الركنيْن المقصوديْن في الولايات، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].

□ يقول عمر رضي الله عنه في خطبة له: «ألا وإني وجدتُ صلاحَ ما ولاني الله تعالى بأداء الأمانة، والأخذ بالقوة»[1]. واستشار عمر رضي الله عنه الصحابة فيمن يوليه، وقال: «ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم، أو رجل قوي مسدد؟ فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أما الضعيف المسلم فإنه إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المسدد، فإن سداده لنفسه وقوته للمسلمين»[2].

• ولا تعني القوة في الولاية عدم مراعاة الرفق [3]، فإن الله سبحانه رفيق يحب الرفق، فمن تولى أمانات المسلمين فرفق بهم استحق دعاء النبي ﷺ: **«اللهم من وَلِيَ من أَمرِ أُمَّتِي شَيئًا فَشَقَّ عَلَيهم، فَاشقُقْ عَلَيهِ، وَمَن وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»**[4].

□ الولاية مسؤولية جسيمة، وأمانة ثقيلة لا يصحُّ أن تُسنَد إلَّا لمن كان أهلًا لها، قادِرًا أن يقوم بحقِّها، ويستوفي حقوقها، ففي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تَستَعمِلني؟ قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ على

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ١١٧).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤١٤).

(٣) الرِّفْق: «هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف» -«فتح الباري» (١٠/ ٤٩٩).

(٤) رواه أحمد، ومسلم في كتاب «الإمارة»، باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٨).

مِنْكَبِي، ثُمَّ قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وإِنَّهَا يوم القِيَامَةِ خِزْيٌ ونَدَامةٌ، إِلَّا من أَخَذَها بحَقِّهَا، وأَدَّى الذي عليْهِ فيها»[١]، وفي رواية: «لا تَأَمَّرَنَّ على اثنَين، ولا تولَّيَنَّ مَالَ يَتيمٍ»[٢]، مع أن أبا ذر رضي الله عنه ليس بالرجل المتهم، لا في دين ولا في خلق، بل وصفه النبي ﷺ فقال: «ما أَقلَّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء من رَجُلٍ أصدق لهجة من أبي ذر»[٣].

• وقال ﷺ: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٤].

• وقال رسول الله ﷺ: «ما أظلّت الخضراء ولا أَقَلَّت الغبراء، من ذي لهجة أصدق، ولا أوفى، من أبي ذر شبهُ عيسى ابن مريم»[٥].

فمنعه من الولاية التي هي واجب عظيم وتكليف ثقيل خشية عليه، ومراعاة لحاله.

□ يقول ابن تيمية مبينًا واجب الولاة في تولية أمور المسلمين من يكون أولى الناس بهذا التكليف الثقيل: «يجب على وَلِيِّ الأمر أن يُولي على

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الإمارة»، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٥).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في مقدمة «سنن ابن ماجه» رقم (١٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٦٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٣٨)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٢٩).

(٥) حسن: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي ذر، وحسَّنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٦٢٣٠)، و«صحيح الجامع» (٥٥٣٨).

كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل»[(١)].

□ والصدق والأمانة وصفان متلازمان في شأن من يُوَلَّى الإمارة قال عمر رضي الله عنه: «أحبكم إلينا أحسنكم خلُقًا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة»[(٢)].

□ قال القلقشندي: «إن مرتبة الحكم لا تُعطي إلَّا أهلها، والأقضية لا يُنْصَب لها إلَّا من هو كفؤٌ لها، ومَن هو مُتَّصَفٌ بصفات الأمانة والصيانة والعفّة والديانة، فمن هذه صفاته استحقَّ أن يُوَجَّه ويُستَخدم، ويترقى ويتقدّم»[(٣)].

• ومن الأمانة في اختيار الوُلاة ألا يُوَلَّى هذا الأمر من سأله، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ أنا ورجُلان من قومي، فقال أحدُ الرَّجُليْن: أَمِّرْنا يا رسولَ الله، وقال الآخر مثله، فقال ﷺ: «**إنَّا لا نُولي هذا الأمرَ من سَألَه ولا من حَرِصَ عَلَيه**»[(٤)]؛ ولأن المرء إذا سأل شيئًا وُكِلَ إليه، وأصبحت المسألة عليه كبيرة، ويستثنى من ذلك إذا سأل المرء المنصب لأجل الإصلاح ولديه قدرة على إدارة الأمر الذي طلبه ليحقق النفع [(٥)]، وذكر الله عز وجل في كتابه عن نبيه يوسف عليه السلام مع عزيز

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨٣).

(٣) «صبح الأعشى» (١٤/ ٣٤١).

(٤) رواه البخاري - كتاب «الأحكام»- باب ما يُكرَه من الحرص على الإمارة، (٧١٤٩)، ورواه مسلم في كتاب «الإمارة»، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (١٧٣٣).

(٥) «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» للعز بن عبد السلام (٢/ ٣٤٦).

مصر حينما طلب الوزارة: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف].

□ قال ابن تيمية: «أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، هذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة»[(١)].

□ وقال ابن تيمية رحمه الله: «فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك، بعد الاجتهاد التام، وأخذه للولاية بحقها، فقد أدَّى الأمانةَ، وقام بالواجب في هذا»[(٢)].

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قَلَّدَ رجلًا على عِصَابَة[(٣)]، وهو يجد في تلك العِصَابة من هو أرضى لله منه فقد خَانَ الله، وخَانَ رسولَهُ، وخَانَ المؤمنين»[(٤)]، إذ إن تولية غير الأهل أو غير الكفء خيانة ومشاركة في الإثم».

عمر بن الخطاب رضي الله عنه القوي الأمين.. يا خالق عمر سبحانك:

سبحان من سوّى هذه النفس السامقة البالغة في السمّو منتهاه.. بذكر عمر رضي الله عنه تطيب المجالس، أتعب مَن بعده من الولاة وأهل الأمانات، فما بينهم وبينه أبعدُ مما بين الثرى والثريا..

تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... فمن أين يدري الناس أنَّى توجَّهْنا

□ ولله در القائل عنه:

أنت تدري أيُّها الحيرانُ عنا ... كيف فوق الشمس أزمانًا حَلَلْنا

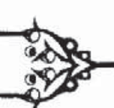
---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٥٢).

(٣) العِصَابة: الجماعة من الناس- مختار الصحاح (ص٤٣٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٧).



«بينا عثمان بن عفان رضي الله عنه في مالٍ له بالعالية في يوم صائف[(١)] إذ رأى رجُلًا يسوق بِكْرَيْن – من الإبل– وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد، ثم يروح.

ثم دنا الرجل فقال لمولاه: انظر مَن هذا؟، فنظر فقال: أرى رجُلًا مُعْتَمًّا بردائه، يسوق بِكْرَيْن.

ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظر، فإذا عمر بن الخطّاب!!

فقال: هذا أمير المؤمنين.

فقام عثمان فأخرَج رأسه من الباب فإذا نَفْح السَّمُوم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟!!

فقال عمر: بكران مِنْ إبل الصدقة تخلَّفَا، وقد مُضِي بإبل الصدقة، فأردتُ أن أُلحقهما بالحِمَى وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هَلُمَّ إلى الماء والظِّل، ونكفيك.

فقال: عُد إلى ظِلِّك يا عثمان!

فقال عثمان: مَن أحبَّ أن ينظر إلى القويِّ الأمين، فلينظر إلى هذا، فعاد إلينا فألقَى نفسه»[(٢)].

إني أخافُ أن أُسألَ عمّا بك!!!

□ وعن سالم بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدْخِل يده في دبر البعير، ويقول: «إني خائفٌ أن أُسأَل عَمّا بك»[(٣)].

---

(١) صائف: أي حار.

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ١٦٠)، وسنده صحيح.

(٣) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢١٧).

□ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلتُ: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ فقال: بعيرٌ نَدَّ[١] من إبل الصدقة أطلبه، فقلتُ: لقد أذللت الخلفاء من بعدك.

فقال: يا أبا الحسن لا تلمني، فوالذي بعث محمدًا بالنبوة لو أن عناقًا[٢] ذهبت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة»[٣].

قال عمر: لا تنظروا إلى صيام أحدٍ ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صِدْق حديثه إذا حدَّث، وأمانته إذا ائتمِن، وورعه إذا أشفى»[٤]، [٥].

□ وانظر إلى موقف عمر بن الخطاب الذي تزدان الدنيا بأمانته أعباء الخلافة انظر إلى موقفه من الأحنف بن قيس لما قدم عليه في يوم صائف شديد الحر، وكان عمر رضي الله عنه يرعى بعيرًا من إبل الصدقة، فقال له عمر: «يا أحنف ضع ثيابك، وَهَلُمَّ فَأَعِن أميرَ المؤمنين على هذا البعير، فإنه لمن إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة. فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا؟ قال عمر: وأي عبدٍ هو أعبد مني ومن الأحنف، إنه من ولي أمر المسلمين، فهو عبدٌ من المسلمين، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة، وأداء الأمانة».

---

(١) أي: هرب.

(٢) الماعز.

(٣) «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي.

(٤) أشفى: أي أشرف على الدنيا وأقبلت عليه.

(٥) «الحلية» (٣/ ٢٧).

نعم أديت الأمانة أعظم أداء:

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أنا أول من أتى عمر حين طُعِنَ. فقال: احفظْ عنِّي ثلاثًا، فإنِّي أخافُ أنْ لا يدركني الناس، أما أنا فلم أقْضِ في الكَلالَةِ [١] قضاءً. ولم استخْلِفْ على الناس خليفةً. وكُلُّ مملُوكٍ له عتيقٌ. فقال له الناسُ: استخْلِفْ. فقال: أيُّ ذلك أفعلُ فقدْ فعلهُ من هو خيرٌ منِّي: أنْ أدعَ إلى الناس أمرهم فقد تركَهُ نبيُّ الله ﷺ، وأنْ أستَخْلِفَ فقد استخْلفَ منْ هو خيرٌ منِّي أبو بكرٍ، فقلتُ له أبْشِرْ بالجنَّةِ، صاحبْتَ رسول الله ﷺ فأطلْتَ صحْبتَهُ. ووُلِّيت أمر المؤمنين فقويتَ، وأدَّيت الأمانة. فقال: أما تبشيرك إيَّاي بالجنة، فوالله لو أنَّ لي - قال عفَّانُ: فلا والله الذي لا إله إلَّا هو - لوْ أنَّ ليَ الدُّنيا بمَا فيها لافتديتُ به من هول ما أمامي قبل أنْ أعلم الخبر. وأما قولك في أمر المؤمنين، فوالله لوددتُ أنَّ ذلك كفافًا لا لي ولا عليَّ، وأمَّا ما ذكرت من صحبة نبيِّ الله ﷺ فذلك» [٢].

□ وقال عمر رضي الله عنه: «والله ما أحدٌ أَحقُّ بهذا المال من أحد، وما أنا أحقُّ به من أحد، ووالله ما من المسلمين أحدٌ إلَّا وله في هذا المال نصيب، إلَّا عبدًا مملوكًا، ولكِنَّا على منازلنا من كتاب الله عز وجل، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقِدمُه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي

---

(١) الكلالة: أن يموت الرجل وليس له والد أو ولد يرثه، بل يرثه ذو قرابته.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٧) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢٩٥): «إسناده صحيح. وأصل الحديث في البخاري».

بجبل صنعاء من هذا المال وهو يرعى مكانه»[١].

عثمان ذو النورين رضي الله عنه يُوصي عمال الخراج بالحق، والأمانة والوفاء:

□ «كان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى عُمَّالِ الخراج قال فيه: «أمَّا بعد، فإن الله خلق الخلْق بالحق، فلا يقبل إلَّا الحق، خذوا الحقَّ، وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم»[٢].

أشجّ بني أمية عمر بن عبد العزيز الخليفة الأمين:

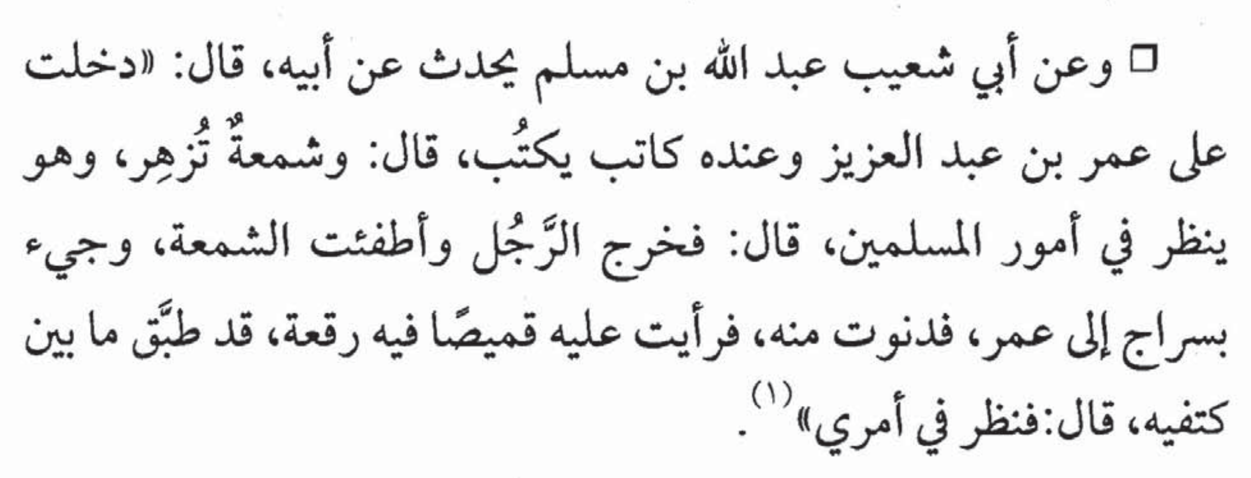
□ رحم الله هذا الإمام الخليفة الراشد قسطاس الموازين.. كان رحمه الله إمام هدى وسراجًا نشر نور العدل في كل مكان من أركان دولته، وقام بأمانة الخلافة أجمل قيام، قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك: «دخلتُ عليه وهو في مصلاه ودموعهِ تجري على لحيته، فقلت: أَحَدَثَ شيء؟ فقال: إني تقلدتُ أَمْرَ أُمَّة محمد ﷺ، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ إلى الله تعالى، فخشيت أن لا تثبت حُجَّتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت»[٣].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢١١).

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٤٥).

(٣) «الكامل في التاريخ» (٤/ ١١٩) لابن الأثير.



□ وعن أبي شعيب عبد الله بن مسلم يحدث عن أبيه، قال: «دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتُب، قال: وشمعةٌ تُزهِر، وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرَّجُل وأطفئت الشمعة، وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه، فرأيت عليه قميصًا فيه رقعة، قد طبَّق ما بين كتفيه، قال:فنظر في أمري»[1].

□ و«كانت لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر جارية، فبعثت بها إليه، وقالت: إني قد كنت أعلم أنها تعجبك، وقد وهبتها لك، فتناول منها حاجتك، فقال لها عمر: اجلسي يا جارية، فوالله ما شيء من الدنيا كان أعجبُ إليّ أن أناله منك، فأخبريني بقصتك، وما كان من سَبْيك، قالت: كنتُ جاريةً من البربر، جنى أبي جناية، فهرب من موسى بن نصير عامل عبدالملك على إفريقية، فأخذني موسى بن نُصَير فبعث بي إلى عبد الملك، فوهبني عبد الملك لفاطمة، فأرسلتْ بي إليك، فقال: كِدْنا والله أن نفتضح، فجهّزها وأرسل بها إلى أهلها»[2].

□ انظر إلى قدوة الحُكّام والمصلحين والمجددين عمر بن عبد العزيز حين يستشعر واجب الأمانة فيأتي بالدرر والأعاجيب: يمنح العطايا، يُسَدِّد ديون رعيّته، يزوِّج الشباب، بل ويُقرض أهل الذمة الضعفاء ويساعدهم.

□ ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام: «كتب عمر بن العزيز إلى عبدالحميد

---

(١) «الحلية» (٥/ ٣٢٣).

(٢) «الحلية» (٥/ ٢٦٠-٢٦١).

ابن عبد الرحمن – وهو بالعراق- أن أخرج للناس أعطياتهم، فكتب إليه عبد الحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه: أن انظر كل من أدان [١] في غير سفه ولا سرف فاقض عنه، فكتب إليه، إني قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: أن انظر كل بكرٍ ليس لَهُ مالٌ فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه [٢]، فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت، وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا: أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوي به على عمل أرضه، فإنَّا لا نريدهم لعام ولا لعامين» [٣].

الأمانة في تحمل المسؤولية تجاه المجتمع وأفراده:

أمانة اتقان الأعمال والمهام المتعلّقة بالمجتمع ومصلحة الأمّة:

• قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحبُّ إذا عَمِل أحدكم عملًا أن يتقنه**» [٤].

نبي الله موسى الكليم عليه السلام وأمانة أداء الواجب:

* قد ضرب لنا نبي الله موسى عليه السلام المثل الرائع في أمانة أداء الواجب

(١) هو بمعنى استدان.

(٢) أي: ادفع له الصداق وهو المهر.

(٣) «كتاب الأموال» لأبي عبيد (ص٢٦٥).

(٤) حسن: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٣٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٣٤-٣٣٥) عن عائشة رضي الله عنها، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٤٤) رقم (١٨٧٦)، و«الصحيحة» (١١١٣).

المبرم مع أبي المرأتين اللتين سقى لهما، وهو أجرته في رعي ماشيته ثماني حجج تزويجه ابنته، كما قص المولى عز وجل في كتابه: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ (٢٨) ﴾ [القصص]، فأتم موسى عليه السلام أداء واجبه على النحو الأتم والأكمل(١).

فأداء الواجبات على النحو المطلوب يجعل مراقبة المولى عز وجل هي الأساس المتين، ومن ثم تظهر قوة الإرادة المبنية على السمو في النفس والروح.

وما أعظم أمانة نبي الله يوسف عليه السلام :

* هذا الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليه السلام يقوم بتحمُّل مسؤولية خزينة ملك مصر الأكبر، يؤديها بأمانة وإخلاص، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ (٥٥) ﴾ [يوسف]، فلم يكن نبي الله يوسف يطلب المنصب لشخصه، إنما قام بتحمُّلِ مسؤولية وواجب ثقيل في نجاة شعب كامل من مجاعة كبرى(٢).

□ وكان عليه السلام لا يشبع وهو على خزائن الأرض ولَمَّا سُئل عن ذلك قال: «أخاف أن أشبع فأنسى الجياع».

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٦٨).

(٢) انظر: «الأمانة في الإسلام» (ص٢٥٥).

الفاروق وأمين الأمّة وأمانة تحمل المسؤولية خدمة للأمة :

□ لما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، قال لعمر ولأبي عبيدة رضي الله عنهما: «إني لا بُدَّ لي من أعوان، فتقدم عمر رضي الله عنه وقال:أنا أكفيك القضاء، وقال أبو عبيدة رضي الله عنه: أنا أكفيك بيت المال [(١)]، وقد قاما بأداء واجباتهما الوظيفية ومسؤوليتهما بإخلاص وإتقان».

زيد بن ثابت رضي الله عنه وأمانة تبادل المراسلات السياسية :

□ لله در زيد بن ثابت وما أعظم أمانته رضي الله عنه وتحمُّلَه مسؤولية عظيمة، وهي تبادل المراسلات السياسية للنبي ﷺ ما يسمى حديثًا «بالدبلوماسية»، وذلك حينما أمره النبي ﷺ بأن يتعلم السريانية: «**يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي..**» [(٢)]، فقام زيد رضي الله عنه بتحمل مسؤولية تعلم كتابهم في خمس عشرة ليلة حتى حذقه، وكان يقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه، ويجيب عنه إذا كتب بأمانة وإتقان، فهو بهذا قد أدى الوظيفة المناطة بهِ على خير وجه.

وأغلى أمانة : «جَمْع القرآن الكريم» قام بهذا زيد بن ثابت الأمين رضي الله عنه :

□ عن زيد بن ثابتٍ قال: «بعث إليَّ أبو بكرٍ لمقتل أهل اليمامة، وعنده عمر. فقال أبو بكرٍ: إنَّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتْل استحَرَّ [(٣)] يوم اليمامةِ بقُرَّاءِ القرآنِ، وإنِّي أخشى أن يسْتحِرَّ القتْلُ بقرَّاءِ القرآنِ في المواطنِ كُلِّها

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٢٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٦)، ورواه أبو داود في كتاب العلم - باب رواية حديث أهل الكتاب رقم (٣٦٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٠٨).

(٣) استحَرَّ: اشتد وحمي.

فيذْهب قرآنٌ كثيرٌ، وإنِّي أرَى أن تأمرَ بجمع القرآن. قلتُ: كيف أفعلُ شيئًا لَمْ يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعُني في ذلك حتَّى شرح الله صدري للذي شرحَ له صدْرَ عمر، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمرُ. قال زيدٌ: قال أبو بكرٍ: وإنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نَتَّهِمُكَ، قد كنت تكتب الوحي لرسولِ الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه. قال زيدٌ: فوالله لو كلَّفَني نقل جبلٍ من الجبال ما كان بأثقل عليَّ ممَّا كلَّفني من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلانِ شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكرٍ: هو – والله- خيرٌ، فلم يزل يحُثُّ مراجعتي حتَّى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدْر أبي بكرٍ وعمر، ورأيتُ في ذلك رأيًا. فتتبَّعْتُ القرآن أجمعه من العُسُبِ [١] والرِّقاع واللِّخَافِ [٢] وصدور الرِّجال فوجدتُ آخر سورة التَّوْبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها مع خزيمة – أو أبي خزيمة- فألحقتها في سورتها. وكانت الصحف عند أبي بكرٍ حياته حتى توفَّاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ ثم عند عمر حياته حتى توفَّاهُ اللهُ، ثمَّ عند حفْصَة بنتِ عمر»[٣].

- قال محمد بن عبيد الله: «اللِّخَافُ: يعني الخزفَ».

وأمانة عجيبة لميمون بن مهران:

- قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لولا أنا على حمر كراء، لسلَّمنا على آل فلان، وعلى آل

---

(١) العسب: جريد النخل.

(٢) اللخاف: حجر رقيق محدّد.

(٣) رواه البخاري (٧١٩١).

الشام !!!»[١].

ومن أسرار الأمانة:

□ قال مالك بن دينار: «كفى بالمرء خيانةً أن يكون أمينًا للخونة»[٢].

□ وقال الأعمش: «أعظم الخيانة: أداء الأمانة إلى الخائنين»[٣].

□ وقال: «نقض العهد وفاءُ العهد لمن ليس له عهد»[٤].

□ وقال يحيى بن أبي كثير: «لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع، فإنك لا تدري على أيّ شقَّيه يقع»[٥].

أمانة الأغنياء تجاه مجتمعهم أعلى قمة سامية لها فِعْل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

□ قال طلحة بن عبد الله بن عوف: «كان أهل المدينة عيالًا على عبدالرحمن بن عوف، ثلثٌ يقرضهم، وثلث يقضي دَيْنهم، ويصلُ ثُلُثًا»[٦].

وقد أعتق رضي الله عنه ثلاثين ألف بيت!![٧].

---

(١) «الحلية» (٤/ ٨٧).
(٢) «الحلية» (٢/ ٣٧٣).
(٣) «الحلية» (٥/ ٤٨).
(٤) «الحلية» (٥/ ٤٨).
(٥) «الحلية» (٣/ ٦٩).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٨٨).
(٧) المصدر السابق (١/ ٩٢).

الأمانة في العلم: الحفظ، والأداء، والتأليف، والنشر:

أمانة حفظ العلم والسُّنَّة:

قيّض الله تعالى علماء قاموا بحفظ السُّنَّة والعلم وضبطها ورعايتها من شرِّ أهل البدع والأهواء، و«لولا أهل الحديث أصحاب المحابر لخطبَتِ الزنادقة على المنابر»، و«الملائكة حراس السماء، وأهل الحديث حُرّاس الأرض»، و«لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» يا لها من عبارات جميلة تدل على أمانة الأمة السامقة تجاه هدي نبيها ﷺ:

وقد نبَّه ابن تيمية على أمانة العلماء في حفظ العلم وأدائه للأمة، بقوله: «فالمرصدون للعلم، عليهم حفظ علم الدِّين، وتبليغه، فإذا لم يبلغوا -الأمة- علم الدِّين، أَوْ ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة]»(١).

□ وقد أبدع علماء السلف في الحديث عن أهمية رعاية الأمانة في أداء العلم وحاجة العباد إلى العلماء الأمناء، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم أن: «حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء؛ لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس؛ لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون صاحبًا لإيمان أو حكمه، فإن فارقه الإيمان أو حكمه في نفس من أنفاسه، فقد عطب وقرب هلاكه وليس إلى حصول ذلك سبيل إلَّا بالعلم، فالحاجة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٨٧).

إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب»[(١)].

وخصّ الله هذه الأمّة بالإسناد دون غيرها من الأمم، لحرص الأمة على نقل الحديث عن رسولها ﷺ وإنه لعلم عجيب عجيب..

أمانة الأداء:

* تضافرت النصوص الشرعية المتعددة في أهمية أمانة الأداء، منها: قول المولى عز وجل: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

• وعني النبي ﷺ بتأدية العلم وتبليغه بقوله: «بلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آية..»[(٢)].

• وقوله ﷺ: «تَسمعُون، ويُسْمَعُ منكم، ويُسْمَعُ ممن يَسْمَعُ مِنكُم»[(٣)].

• وضرب النبي ﷺ في تأدية أمانة العلم والهدى مثلًا بالغيث النافع في الأرض الطيبة[(٤)]، بِقَوْلِهِ ﷺ: **«مَثَل مَا بَعَثَني الله من الهُدَى والعِلم كَمَثَل الغيثِ الكثيرِ أَصَابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبلت الماءَ فَأَنبَتَ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ الله بها الناسَ فَشَرِبُوا وسَقَوا وزَرَعُوا، وأصابَ منها طائفةٌ أخرى، إنَّما هي قِيعانٌ لا**

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨١).

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل (٣٤٦١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود - كتاب العلم- باب فضل نشر العلم (٣٦٥٩)، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن حبان، والبزار عن ثابت بن قيس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٨٤)، و«صحيح الجامع» (٢٩٤٧)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤١١).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٠-٦١).



تُمسكُ ماءً ولا تُنبِتُ كلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقِهَ في دينِ الله ونَفَعَهُ ما بَعَثَني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ من لم يَرفَعْ بذلك رأسًا ولم يقبلْ هُدَى الله الَّذِي أَرسِلتُ بِهِ»[١].

□ قال القرطبي: «شَبَّه -النبي ﷺ- السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة؛ شَرِبَت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه؛ غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: **«نَضَّرَ الله امرءً سَمِعَ مَقَالَتي فَأَدَّاها كما سمعها»**[٢]، ومنهم من يسمع العلم، فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره»[٣].

□ قال الخطيب البغدادي عن أصحاب الحديث الذين حملوا أمانة حفظ حديث النبي ﷺ وأمانة أدائه لله درهم: «حَفَظَةُ الدِّين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن»[٤].

□ ومن أمانة الأداء عدم كتم العلم، وصيانة العلم عن التحريف.

---

(١) رواه البخاري - واللفظ له- في كتاب العلم - باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم (٧٩)، ورواه مسلم في كتاب الفضائل- باب بيان ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم رقم الحديث (٢٢٨٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٧٧).

(٤) «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٨).

بلغ من أمانة أهل العلم وحرصهم على صيانة العلم من التحريف قول: لا أدري، حينما يُسأل عن أمر لا يعلمه، ويقولها في شجاعة أدبية وأمانة علمية، والمتأمل لسير العلماء يجدهم في كثير من المسائل التي يجهلونها يقولون: لا ندري، قال مالك بن أنس: «ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول: لا أدري»[1].

□ ومما روي عن مالك: «أنه جاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فَسَلْ، فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها، فبهت الرجل -كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء- فقال: أي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، قال: تقول لهم: قال مَالِكٌ: لا أُحسن»[2].

أمانة التأليف:

لا تُعرف أمة في تاريخ الإنسانية بلغت ما بلغته الأمة الإسلامية من الدقة والأمانة والإخلاص والصدق، تجاه ما ألف من تراثها وحفظه وصيانته وتبليغه للناس.

□ والتأليف كما قال العلماء: «لا يخرج عن سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلَّا فيها «إما شيءٌ لم يُسبق إليه فيخترعه، أو شيءٌ ناقصٌ يتمِّمُهُ، أو شيءٌ مغلق يشرحه، أو شيءٌ طويلٌ يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيءٌ متفرقٌ يجمعه، أو شيءٌ مختلطٌ يرتبه، أو شيءٌ أخطأ فيه مصنِّفُهُ

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٧٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٣)، و«إحياء علوم الدين» (١/ ٣٩).

فيُصلحهُ»[١].

والأمانة شرط في جميعها، إذ ينبغي رعاية أمانة التأليف المكتوبة المتداولة بين الناس في أي علم من العلوم الدينية أو الدنيوية النافعة.

ومن أمانة التأليف: الدقَّة في نقل الأقوال، ونسبتها إلى أصحابها، فإن «من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله»[٢].

«والمتأمل لكتب المتقدمين أمثال: كتاب «الفهرست» لابن النديم، وكتاب «المخصص» لابن سِيْدَه، و«تهذيب التهذيب»، و«الدرر الكامنة» لابن حجر وغيرهم، يجد اهتمامهم بالدقة العلمية وأمانة التأليف، وإسناد الشيء إلى صاحبه كما هو»[٣].

وأخيرًا أمانة النشر:

فمن أمانة النشر نشْر الكتب باستئذان مؤلِّفيها، وألا يلحق شططًا بالمشترين فيكون سببًا في منع العلم وانتشاره وتحمّله، وليتق الناشر ربه في نشر النافع من العلوم خدمة للأمة ونشرًا للعلم النافع.. وليتق الله ألا ينشر الغثاء المدمر للأمة وشبابها.

وقد زخرت دُور النشر في منتصف القرن الرابع عشر الهجري بناشرين علماء أمثال: محب الدين الخطيب، ومحمد حسام الدين القدسي، ومحمد منير الدمشقي، وغيرهم ممن حظوا بكل احترام وسمعة طيبة نتيجة لمصداقيتهم وتحريهم الأمانة في النشر.

---

(١) «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (١/ ٣٥).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٩).

(٣) «الأمانة في الإسلام» (ص٢٢٧-٢٢٨).

أمانة الشهادة لهذا الدين:

□ **يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي**: «إن الإسلام اليوم في حاجة شديدة لأن نشهد له شهادة عملية كما شهدنا له من قبل شهادة قولية.

فما أجمل أن يتحوّل الإسلام إلى واقعٍ تراه الأعين في صورة أشخاص يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، يراهم الناس فيروْن الإسلام بكل ما جاء به من عقائد وشرائع ومعاملات وأخلاقيّات، ولذا فقد كان رسول الله ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالًا وأن يربي قلوبهم، فكان الواحد منهم قُرآنًا يمشي بين الناس في دنيا الناس.

□ **يقول الأستاذ** سيد قطب: «ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا وحوّل إيمانهم بالإسلام عملًا، وطبع من المصحف عشرات النسخ ثم مئاتٍ وألوفًا، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، وإنما طبعها بالنور على صحائف القلوب وأطلقها تُعامل الناس وتأخذ منهم وتُعطي وتقول بالفعل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله جلّ وعلا.

ومن هذا المنطلق فإن المسلم مطالبٌ بأمانة عظيمة تجاه هذا الدين ألا وهي أن، يتخلَّق بخلُق الإسلام ومعاملاته، وأن يعتقد أنه هو وحده الذي يجب أن يحمل همّ الإسلام على عاتقه.. فلو ظنَّ كل مسلم أنه هو الذي يحمل همّ الإسلام على عاتقه لما رأينا مقصِّرًا ولا رأينا متخاذلًا عن تلك الأمانة، فهو يُراقب الله جل وعلا، ويعلم أن هذا هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، ويشعر بالشهادة للدين أنه ينصر الحق جل وعلا [(١)].

(١) «الأمانة في الإسلام» (ص٢٣٠).

لله درُّ أمين الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح:

□ عن حذيفة بن اليمان ﵁ أن النبي ﷺ قال لأهل نجْران: «لأبعثنَّ إليكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين. فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ فبعث أبا عبيدة»[(١)].

• وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلِّ أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة**»[(٢)].

• عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ أمَّةٍ أمينٌ، وأمين أمتي أبو عبيدة بن الجرّاح**»[(٣)].

□ وعن أبي رافعٍ: «**أنَّ عُمر بن الخطاب** ﵁ كان مستندًا إلى ابن عباسٍ ﵄ وعنده ابن عمر، وسعيد بن زيدٍ، فقال: اعلموا أنِّي لم أقل في الكلالةِ شيئًا، ولم أستخلِفْ من بعدي أحدًا وأنَّ منْ أدرك وفاتي منْ سَبْي العرب، فهو حرٌّ من مال الله ﷻ فقال سعيد بن زيدٍ: أما أنك لو أشرْتَ برجُلٍ من المسلمينَ لائْتَمنك الناس. فعل ذلك أبو بكرٍ وأتمنَهُ الناسُ، فقال عمر: قدْ رأيتُ من أصحابي حرْصًا سيِّئًا، وإني جاعلٌ هذا الأمر إلى هؤلاء النَّفَرِ السِّتَّةِ الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. ثمَّ قال عمر: لو أدركني أحد رجلين، ثمَّ جعلتُ هذا الأمر إليه لوثقتُ به: سالمٌ موالى أبي حذيفةَ، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاحِ»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٨٢٢، ٢٨٢٣) وقال: هذا حديث حسن، ورواه أبو داود (٥١٢٨)، وهو حديث حسن.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠) وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢١٢): =

أمنية عُمَرية:

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا لمن حوله: «تمنُّوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدَّق، ثم قال عمر: تمنَّوْا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، قال عمر: أتمنّى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان»(١).

وعند أبي نعيم في «الحلية».

□ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه تمنَّوْا، فقال رجل أتمنَّى لو أن لي هذه الدار، مملوءة ذهبًا، أنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنَّوْا، فقال رجل: أتمنّى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله، وأتصدَّق؛ ثم قال: تمنَّوْا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنَّى لو أن هذه الدار مملوءة رجالًا، مثل أبي عبيدة بن الجراح»(٢).

«إسناده صحيح».

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) «الحلية» (١/ ١٠٢).

والمسجد الأقصى والقدس وفلسطين أمانة فمن ضيَّعها:

مَرْثِيَّةُ حُلْمٍ [١]

دَعْنِي وَجُرْحِي فَقَدْ خَابَتْ أَمَانِينَا ... هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ النَّبْضَ يُحْيِينَا

يَا سَاقِيَ الْحُزْنِ لَا تَعْجَبْ فَفِي وَطَنِي ... نَهْرٌ مِنَ الْحُزْنِ يَجْرِي فِي رَوَابِينَا

كَمْ مِنْ زَمَانٍ كَئِيبِ الْوَجْهِ فَرَّقَنَا ... وَالْيَوْمَ عُدْنَا وَنَفْسُ الْجُرْحِ يُدْمِينَا

جُرْحِي عَمِيقٌ خُدِعْنَا فِي الْمُدَاوِينَا ... لَا الْجُرْحُ يُشْفَى وَلَا الشَّكْوَى تُعَزِّينَا

كَانَ الدَّوَاءُ سُمُومًا فِي ضَمَائِرِنَا ... فَكَيْفَ جِئْنَا بِدَاءٍ كَيْ يُدَاوِينَا

❊ ❊ ❊

هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يُدَاوِي جُرْحَ أُمَّتِهِ ... هَلْ مِنْ إِمَامٍ لِدَرْبِ الْحَقِّ يَهْدِينَا

كَانَ الْحَنِينُ إِلَى الْمَاضِي يُؤَرِّقُنَا ... وَالْيَوْمَ نَبْكِي عَلَى الْمَاضِي وَيُبْكِينَا

مَنْ يُرْجِعُ الْعُمْرَ مِنْكُمْ مَنْ يُبَادِلُنِي ... يَوْمًا بِعُمْرِي وَنُحْيِي طَيْفَ مَاضِينَا

إِنَّا نَمُوتُ فَمَنْ بِالْحَقِّ يَبْعَثُنَا ... لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ سِوَى صَمْتٍ يُوَاسِينَا

صِرْنَا عَرَايَا أَمَامَ النَّاسِ يُفْزِعُنَا ... لَيْلٌ تَخَفَّى طَوِيلًا فِي مَآقِينَا

صِرْنَا عَرَايَا وَكُلُّ الْأَرْضِ قَدْ شَهِدَتْ ... أَنَّا قَطَعْنَا بِأَيْدِينَا أَيَادِينَا

يَوْمًا بَنَيْنَا قُصُورَ الْمَجْدِ شَامِخَةً ... وَالْآنَ نَسْأَلُ عَنْ حُلْمٍ يُوَارِينَا

---

(١) ديوان «طاوعني قلبي في النسيان»، شعر: فاروق جويدة، ط١، مكتبة غريب (ص٥١-٧٦).

أَيْنَ الإِمَامُ رَسُولُ اللهِ يَجْمَعُنَا ... فَالْيَأْسُ وَالْحُزْنُ كَالْبُرْكَانِ يُلْقِينَا
دِينٌ مِنَ النُّورِ بَيْنَ الْخَلْقِ جَمَّعَنَا ... وَدِينُ طَهَ وَرَبُّ النَّاسِ يُغْنِينَا
يا جَامِعَ النَّاسِ حَوْلَ الْحَقِّ قَدْ وَهِنَتْ ... فِينَا الْمُرُوءَةُ أَعْيَتْنَا مَآسِينَا
يَبْرُوتُ فِي الْيَمِّ مَاتَتْ قُدْسُنَا ذُبِحَتْ ... وَنَحْنُ فِي الْعَارِ نَسْقِي وَحْلَنَا طِينَا
بَغْدَادُ تَبْكِي وَطَهْرَانُ يُحَاصِرُهَا ... بَحْرٌ مِنَ الدَّمِ بَاتَ الآنَ يَسْقِينَا
هَذِي دِمَانَا رَسُولَ اللهِ تُغْرِقُنَا ... هَلْ مِنْ زَمَانٍ بِنُورِ الْعَدْلِ يَحْمِينَا
أَيُّ الدِّمَاءِ شَهِيدٌ كُلُّهَا حَمَلَتْ ... فِي اللَّيْلِ يَوْمًا سِهَامَ الْقَهْرِ تُرْدِينَا

❊❊❊

الْقُدْسُ فِي الْقَيْدِ تَبْكِي مِنْ فَوَارِسِهَا ... دَمْعُ الْمَنَابِرِ يَشْكُو لِلْمُصَلِّينَا
أَقْزَامُنَا ضَيَّعُونَا حِينَمَا فَسَقُوا ... بَاعُوا الْمَآذِنَ وَالْقُرْآنَ وَالدِّينَا
أقزامنا أَشْعَلُوا النِّيرَانَ فِي غَدِنَا ... وَمَزَّقُوا الصُّبْحَ فِي أَحْشَاءِ وَادِينَا
مَا لِي أَرَى الْخَوْفَ فِينَا سَاكِنًا أَبَدًا ... مِمَّنْ نَخَافُ أَلَمْ نَعْرِفْ أَعَادِينَا؟
أقزامنا مَنْ أَضَاعُوا السَّيْفَ مِنْ يَدِنَا ... وَأَوْدَعُونَا سُجُونَ اللَّيْلِ تَطْوِينَا
أقزامنا مَنْ تَوَارَى صَوْتُهُمْ فَزَعًا ... وَالأَرْضُ تُسْبَى وَبَيْرُوتٌ تُنَادِينَا
أقزامنا أَوْهَمُونَا آهِ كَمْ زَعَمُوا ... وَكَمْ خُدِعْنَا بِوَعْدٍ عَاشَ يُشْقِينَا
قَدْ خَدَّرُونَا بِصُبْحٍ كَاذِبٍ زَمَنًا ... فَكَيْفَ نَأْمُلُ فِي يَأْسٍ يُمَنِّينَا
أَيُّ الْحَكَايَا سَتُرْوَى عَارُنَا جَلَلٌ ... نَحْنُ الْهَوَانُ وَذُلُّ الْقُدْسِ يَكْفِينَا
مَنْ بَاعَنَا خَبِّرُونِي كُلُّهُمْ صَمَتُوا ... وَالأَرْضُ صَارَتْ مَزَادًا لِلْمُرَابِينَا

هَـلْ مِـنْ زَمَـانٍ نَقِـيٍّ فِي ضَـمَائِرِنَا ... يُحْيِي الشُّمُوخَ الَّـذِي وَلَّى فَيُحْيِينَـا

يَا سَاقِيَ الحُـزْنِ دَعْنِي إِنَّنِي ثَمِـلٌ ... إِنَّـا شَرِبْنَـاهُ قَهْـرًا مَـا بِأَيْـدِينَا

عُمْرِي شُمُوعٌ عَلَى دَرْبِ المُنَى احْتَرَقَتْ ... وَالْعُمْرُ ذَابَ وَصَارَ الحُلْـمُ سِكِّينَا

كَمْ مِنْ ظَلَامٍ ثَقِيـلٍ عَـاشَ يُغْرِقُنَـا ... حَتَّـى انْتَفَـضْنَا فَمَزَّقْنَـا دَيَاجِينَـا

الْعُمْرُ فِي الحُلْمِ أَوْدَعْنَـاهُ مِـنْ زَمِـنٍ ... وَالحُلْـمُ ضَـاعَ وَلَا شَيْءٌ يُعَزِّينَـا

كُنَّـا نَـرَى الحَـقَّ نُـورًا فِي بَـصَائِرِنَا ... وَالآنَ لِلزَّيْـفِ حِـصْنٌ فِي مَآقِينَـا

كُنَّـا إِذَا مَـا تَـوَارَى الحُلْـمُ عَانَقَنَـا ... حُلْـمٌ جَدِيـدٌ يُغَنِّـي فِي رَوَابِينَـا

كُنَّـا إِذَا خَانَنَـا فَـرْعٌ نُقَطِّعُـهُ ... وَفَـوْقَ أَشْـلَائِهِ تَمْـضِي أَغَانِينَـا

كُنَّـا إِذَا مَـا اسْتَكَانَ النُّـورُ فِي دَمِنَـا ... فِي الصُّبْحِ نَنْسَى ظَلَامًا عَاشَ يَطْوِينَا

كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ فِينَا الْيَأْسُ وَانْكَسَرَتْ ... مِنَّـا الـسُّيُوفُ وَنَادَانَـا مُنَادِينَـا

عُـدْنَا إِلَى اللهِ عَـلَّ اللهَ يَرْحَمُنَـا ... وَالآنَ نَخْجَـلُ مِنْـهُ مِـنْ مَعَاصِـينَا

الآنَ يَرْجُفُ سَيْفُ الـزُّورِ فِي يَـدِنَا ... فَكَيْفَ صَارَتْ كُهُوفُ الزَّيْفِ تُؤْوِينَا

هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ السَّيْفَ مُشْتَعِلًا ... لَا شَيْءَ وَاللهِ غَـيْرُ الـسَّيْفِ يُبْقِينَـا

يَا خَالِدَ السَّيْفِ لَا تَعْجَبْ فَفِي زَمَنِي ... بَـاعُوا المَـآذِنَ وَالْقُـرْآنَ رَاضِـينَا

قُمْ مِنْ تُرَابِكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ فِي دَمِنَـا ... ثَـأْرٌ طَوِيـلٌ لَهِيـبُ الْعَـارِ يَكْوِينَـا

قُـمْ يَـا بِـلَالُ وَأَذِّنْ صَـمْتُنَا عَـدَمٌ ... كُلُّ الَّذِي كَـانَ طُهْـرًا لَمْ يَعُـدْ فِينَـا

هَلْ مِنْ صَلَاحٍ بِسَيْفِ الحَقِّ يَجْمَعُنَـا ... فِي الْقُـدْسِ يَوْمًـا فَيُحْيِيهَـا وَيُحْيِينَـا

هَلْ مِنْ صَلَاحٍ يُدَاوِي جُرْحَ أُمَّتِهِ وَيُطْلِعُ الصُّبْحَ نَارًا مِنْ لَيَالِينَا

هَلْ مِنْ «صَلَاحٍ» لِشَعْبٍ هَدَّهُ أَمَلٌ مَا زَالَ رَغْمَ عِنَادِ الْجُرْحِ يَشْفِينَا

هَلْ مِنْ «صَلَاحٍ» يُعِيدُ السَّيْفَ فِي يَدِنَا وَلْتَبْتُرُوهَا فَقَدْ شَلَّتْ أَيَادِينَا

حُزْنِي عَنِيدٌ وَجُرْحِي أَنْتَ يَا وَطَنِي لَا شَيْءَ بَعْدَكَ مَهْمَا كَانَ يُغْنِينَا

إِنِّي أَرَى الْقُدْسَ فِي عَيْنَيْكَ سَاجِدَةً تَبْكِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ الآنَ تُبْكِينَا

آهٍ مِنَ الْعُمْرِ جُرْحٌ عَاشَ فِي دَمِنَا جِئْنَا نُدَاوِيهِ يَأْبَى أَنْ يُدَاوِينَا

مَا زَالَ فِي الْعَيْنِ طَيْفُ الْقُدْسِ يَجْمَعُنَا لَا الْحُلْمُ مَاتَ وَلَا الأَحْزَانُ تُنْسِينَا

لَا الْقُدْسُ عَادَتْ وَلَا أَحْلَامُنَا هَدَأَتْ وَقَدْ نَمُوتُ وَتُحْيِينَا أَمَانِينَا

مَا أَثْقَلَ الْعُمْرَ لَا حُلْمٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا أَمَانٌ وَلَا سَيْفٌ لِيَحْمِينَا

***

متى تغضب؟

أعيرونا مـدافعَـكُم ليومٍ.. لا مدامعَكُمْ
أعيرونا وظلُّوا في مواقعكُمْ
بني الإسلام! ما زالت مواجعَنا مواجعُكُمْ
مصارعَنا مصارعُكُمْ
إذا ما أغرق الطوفان شارعنا
سيغرق منه شارعُكُمْ
يشق صراخنا الآفاق من وجعٍ
فأين تُرى مسامعُكُمْ؟!

***

ألسنا إخوةً في الدين قد كنا.. وما زلنا

فهل هُنتم، وهل هُنّا

أنصرخ نحن من ألمٍ ويصرخ بعضكم: دعنا؟

أيُعجبكم إذا ضعنا؟

أيُسعدكم إذا جُعنا؟

وما معنى بأن «قلوبكم معنا»؟

لنا نسبٌ بكم - والله -فوق حدودِ

هذي الأرض يرفعنا

وإن لنا بكم رحمًا

أنقطعها وتقطعنا؟!

معاذ الله! إن خلائق الإسلام

تمنعكم وتمنعنا

ألسنا يا بني الإسلام إخوتكم؟!

أليس مظلة التوحيد تجمعنا؟!

أعيرونا مدافعَكُمْ

رأينا الدمع لا يشفي لنا صدرًا

ولا يُبري لنا جُرحًا

أعيرونا رصاصًا يخرق الأجسام

لا نحتاج لا رزًا ولا قمحًا

تعيش خيامنا الأيام

لا تقتات إلَّا الخبز والملحا

فليس الجوع يرهبنا ألا مرحى له مرحى

بكفٍّ من عتيق التمر ندفعه

ونكبح شره كبحًا

أعيرونا وكفوا عن بغيض النصح بالتسليم

نمقت ذلك النصحا

أعيرونا ولو شبرًا نمر عليه للأقصى

أتنتظرون أن يُمحى وجود المسجد الأقصى

وأن نُمحى

أعيرونا وخلوا الشجب واستحيوا

سئمنا الشجب و«الردحا»

***

أخي في الله أخبرني متى تغضب؟

إذا انتهكت محارمنا

إذا نُسفت معالمنا ولم تغضبْ

إذا قُتلت شهامتنا إذا ديست كرامتنا

إذا قامت قيامتنا ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

إذا نُهبت مواردنا إذا نكبت معاهدنا

إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد الأقصى

وظلت قدسنا تُغصبْ

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

عدوي أو عدوك يهتك الأعراض

يعبث في دمي لعبًا

وأنت تراقب الملعبْ

إذا لله، للحرمات، للإسلام لم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟!

رأيت هناك أهوالًا

رأيت الدم شلالًا

عجائز شيَّعت للموت أطفالًا

رأيت القهر ألوانًا وأشكالًا

ولم تغضبْ

فأخبرني متى تغضبْ؟

وتجلس كالدمى الخرساء بطنك يملأ المكتبْ

تبيت تقدس الأرقام الأصنام فوق ملفّها تنكبْ

رأيت الموت فوق رؤوسنا ينصب

ولم تغضبْ

فصارحني بلا خجلٍ لأية أمة تُنسبْ؟!

إذا لم يُحْي فيك الثأرَ ما نلقى

فلا تتعبْ

فلست لنا ولا منا ولست لعالم الإنسان منسوبًا

فعش أرنبْ ومُت أرنبْ

ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الذلِّ

ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقع الوحلِ

وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتلِ

ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالهولِ

وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ!!

❊❊❊

أَلم تنظر إلى الأحجار في كفيَّ تنتفضُ

ألم تنظر إلى الأركان في الأقصى

بفأسِ القهر تُنتقضُ

ألست تتابع الأخبار؟ حيٌّ أنت!

أم يشتد في أعماقك المرضُ

أتخشى أن يقال يشجع الإرهاب

أو يشكو ويعترضُ

ومن تخشى؟!

هو الله الذي يُخشى

هو الله الذي يُحيي

هو الله الذي يحمي

وما ترمي إذا ترمي

هو الله الذي يرمي

وأهل الأرض كل الأرض لا والله

ما ضروا ولا نفعوا، ولا رفعوا ولا خفضوا

فما لاقيته في الله لا تحفلِ

إذا سخطوا له ورضوا

ألم تنظر إلى الأطفال في الأقصى

عمالقةٌ قد انتفضوا

تقول: أرى على مضضٍ

وماذا ينفع المضضُ؟! أتنهض طفلة العامين غاضبة

وصُنَّاع القرار اليوم لا غضبوا ولا نهضوا؟!

❁❁❁❁❁

ألم يهزك منظر طفلة ملأت

مواضع جسمها الحفرُ

ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ

بظهر أبيه يستترُ

فما رحموا استغاثته

ولا اكترثوا ولا شعروا

فخرّ لوجهه ميْتًا

وخرّ أبوه يُحتضرُ

متى يُستل هذا الجبن من جنبَيْك والخورُ؟
متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟
متى بركانك الغضبيُّ للإسلام ينفجرُ
فلا يُبقي ولا يذرُ؟
أتبقى دائمًا من أجل لقمة عيشكَ
المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟
متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟
وقالوا: الحرب كارثةٌ
تريد الحرب إعدادًا
وأسلحةً وقُوَّادًا وأجنادًا
وتأييد القوى العظمى
فتلك الحرب، أنتم تحسبون الحرب
أحجارًا وأولادًا؟
نقول لهم: وما أعددْتُمُ للحرب من زمنٍ
أألحانًا وطبّالًا وعوّادًا؟
سجونًا تأكل الأوطان في نهمٍ
جماعاتٍ وأفرادًا؟
حدودًا تحرس المحتل توقد بيننا
الأحقاد إيقادًا
وما أعددتم للحرب من زمنٍ

أما تدعونه فنًّا؟

أأفواجًا من اللاهين ممن غرّبوا عنَّا؟

أأسلحة، ولا إذنا

بيانات مكررة بلا معنى؟

كأن الخمس والخمسين لا تكفي

لنصبر بعدها قرنا!

أخي في الله! تكفي هذه الكُرَبُ

رأيت براءة الأطفال كيف يهزها الغضبُ

وربات الخدور رأيتها بالدم تختضبُ

رأيت سواريَ الأقصى كالأطفال تنتحبُ

وتُهتك حولك الأعراض في صلفٍ

وتجلس أنت ترتقبُ

ويزحف نحوك الطاعون والجربُ

أما يكفيك بل يخزيك هذا اللهو واللعبُ؟

وقالوا: كلنا عربٌ

سلام أيها العربُ!

شعارات مفرغة فأين دعاتها ذهبوا

وأين سيوفها الخَشَبُ؟

شعارات قد اتَّجروا بها دهرًا

أما تعبوا؟

وكم رقصت حناجرهم
فما أغنت حناجرهم ولا الخطبُ
فلا تأبه بما خطبوا
ولا تأبه بما شجبوا

متى يا أيها الجنديُّ تطلق نارك الحمما؟
متى يا أيها الجنديُّ تروي للصدور ظما؟
متى نلقاك في الأقصى لدين الله منتقما؟
متى يا أيها الإعلام من غضب تبث دما؟
عقول الجيل قد سقمت
فلم تترك لها قيمًا ولا هِمما
أتبقى هذه الأبواق يُحشى سمها دسما؟
دعونا من شعارات مصهينة
وأحجار من الشطرنج تمليها
لنا ودُمى
تترجمها حروف هواننا قمما

أخي في الله قد فتكت بنا علل
ولكن صرخة التكبير تشفي هذه العللا
فأصغ لها تجلجل في نواحي الأرض
ما تركت بها سهلًا ولا جبلا

تجوز حدودنا عجْلى
وتعبر عنوة دولا
تقضُّ مضاجع الغافين
تحرق أعين الجهلا
فلا نامت عيون الجُبْنِ
والدخلاءِ والعُمَلا
وقالوا: الموت يخطفكم وما عرفوا
بأن الموت أمنية بها مولودنا احتفلا
وأن الموت في شرف نطير له إذا نزلا
ونُتبعه دموع الشوق إن رحلا
فقل للخائف الرعديد إن الجبن
لم يمدد له أجلا
وذرنا نحن أهل الموت ما عرفت
لنا الأيام من أخطره وجلا
«هلا» بالموت للإسلام في الأقصى [1]

---

(١) للدكتور عبد الغني التميمي.

ومسكُ الختام

سِهَامُ اللَّيْلِ

لعبد الله العفاني

✍ نَظَرَ إِلَيْهَا، تِلْكَ الوَلِيدةِ الغَزِّيَّةِ الرَّاقِدَةِ عَلى فِراشِ المَوْتِ، وقَرأ في نظراتِها معَانِيَ العِتْابِ فكانتْ هَذي المشاعِرُ:

ذَوَتْ [(١)] مَا بَيْنَ أَطْلالِ الـ ... سَّرِيرِ.. كَزَهْرِ نِسْرِينِ [(٢)]

تجاذَبُهَا رِيَاحُ المَوْ ... تِ بَيْنَ صَقِيعِ تَشْرِينِ [(٣)]

يُقاسِي جِلْدُهَا المَرْهُو ... فُ [(٤)] وَخْزًا الملايين

وتَشْكُو الإِبْرَةُ العَجْمَا ... ءُ ضِيقًا بِالمَيَادِينِ

تمُورُ بِجِسْمِهَا الذَّاوِي ... أَنابِيبُ الشَّرَايِينِ

تُحَاوِلُ أَنْ تَبُثَّ الرُّو ... حَ فِي أَشْلَاءِ خَشُّونِ [(٥)]

تُدَافِعُ دَمْعَةً حَرَّى ... بَكَاهَا القَلْبُ مِنْ هُونِ

وتَكْبِتُ صَرْخَةً ثَكْلَى ... تَثُورُ لِجُرْحِ مَطْعُونِ

وتَكْظِمُ بَيْنَ أَضْلُعِهَا ... بَرَاكِينَ البَرَاكِينِ!!

---

(١) ذَوَتْ: ذَوَي العُودُ: ذَبُل وهُو أَلَّا يُصِيبَهُ رِيُّهُ أَو يَضْرِبَهُ الحَرُّ فيَذْبُل ويَضْعُفَ: يَبِسَ.

(٢) نِسْرِينِ: النِّسْرِين: ضَرْبٌ مِنَ الرَّياحِين.

(٣) تَشرينَ: أَحَدُ شُهُورِ السَّنَةَ السِّريانيةِ (يُقابِلُهُ ديسمبر في السَّنَةِ الرُّوميَّة).

(٤) المَرْهوفُ: رَهَفَ: رَفَّ لَطُفَ.

(٥) خشون: طائر.

وتَنْفُـــثُ غَيْظَهَــا المَحْمُــو   مَ فِي قَـــسَمَاتِ مَحْــزونِ
وتَـــصْبُغُ فُـــلَّ عَيْنَيْهَـــا   بِلَـــوْنِ الـــدَّمِّ والطِّـــينِ
وتَرْنُـــو مِـــلْءَ عَيْنَيْهَـــا   إِلَى عَيْنَـــيَّ .. تُحْـــصِيني
فَتَـــذْبَحُنِي بِـــسَيْفِ اللَّحْـــ   ـــظِ صَـــامِتَةً وتُحْيِينِـــي
وتُقْرِئُنِـــي بِنَظْرَتِهَـــا   دَمِيَّـــاتٍ[1] المَكَـــانِينِ[2]
وتَارِيخًـــا بِعُمْـــقِ الدَّهْـــ   ـــرِ يَـــذْهَلُنِي ويُـــؤْبِينِي
وأَحْـــزَانَ الإِبَـــاءِ الحُـــ   ـــرِّ مِـــنْ صَـــبْرًا لِيَاسِـــينِ
وعَتْبًـــا[3] يَطْعَـــنُ الأَوْدَا   جَ[4] لَكِـــنْ مَـــا يُـــوَارِينِي
ويَتْلُـــو اللَّحْـــظُ قَافِيَـــةً   بِـــلَا صَـــوْتٍ وتَلْحِـــينِ
ويَهْـــدُرُ صَـــمْتُهَا رَعْـــدًا   ويَـــصْرُخُ بِي.. يُنَـــاجِينِي
ويَـــسْكُبُ مِـــلْءَ أَنْحَـــائِي   ويَحْفُـــرُ مِـــلْءَ عِرْنِينِـــي[5]
وَيَكْتُـــبُ مِـــلْءَ أَحْـــدَاقِي   عَنَـــاوِينَ العَنَـــاوِينِ!!
لِمَـــاذَا يَـــا أَشِـــقَّاءَ الـــ   ـــطُّوَى والـــدِّينِ تَنْسُونِي؟!

---

(١) دَمِيَّاتٍ: جَمْعُ دَمِيَّةٍ: صِيغَةِ مُبَالَغَةٍ مِنْ دَامِيَةٍ.

(٢) المكانين: جَمْعُ المَكْنُونِ.

(٣) عَتْبًا: عِتَابًا: لَوْمَكَ الرَّجُل عَلَى إِسَاءَةٍ كانَتْ لَهُ إِلَيْكَ.

(٤) الأَوْدَاجَ: جَمْعُ وَدَجٍ: عِرق في العُنقِ (الأخدعُ) وهما ودَجانِ يقْطعُهُما الذَّابحُ فلا تَبْقى حَيَاةٌ.

(٥) عِرْنِيني: أَوَّلُ الأَنْفِ تَحت مُجْتَمعِ الحَاجِبَيْنِ وهُو أَوَّلُ الأنف: رَأْسُ الأَنْفِ.

لِمَـــاذَا كُلَّـــمَا اسْتَنْـــصَرْ تُ لَهْفَـــى لا تُغِيثُـــونِي؟!

هُنَـــا أَهْـــلِي.. ولا شَـــجَرٌ يُهَدْهِـــدُ جَوْعَـــةَ الحِـــينِ!!
ومَـــا إِلَّا فُتَـــاتُ المَـــوْ تِ مِـــنْ فِيـــهِ الثَّعَـــابِينِ؟!
وشَـــيْخٌ لَاهِـــثُ الأَشْـــدَا قِ يَلْعَـــقُ عَجْـــمَ [1] زَيْتُـــونِ!!
وطِفْـــلٌ دَامِـــيَ الـــشَّفَتَيْـ ـــنِ يَقْـضِمُ شَـوْكَةَ التِّـينِ!!
ومُـــسْتَفْتٍ: تُـــرَى حَلَّـــتْ لَـــهُ مَوْتَـــاهُ فِي الـــدِّين؟!
ومَـــا قَلْـــبٌ لَـــهُ يَبْكِـــي وفِي فَتْـــوَاهُ يُفْتِينِـــي!!

هُنَـــا ظَمَـــأٌ يُثِـــيرُ النَّـــا رَ تَحْـتَ سُـيُولِ كَـانُونِ [2]
هُنَـــا ظَمَـــأٌ ولا قَطْـــرٌ يَبِـــلُّ فَمِـــي فيُحْيِينِـــي!!
وأُمٌّ مَـــاتَ فِي دَمِهَـــا الــــ حَلِيـــبُ فَلَـــيْسَ يَـــدْعُونِي!!
وبَـــيْنَ عَويـــلِ كَفَّيْهَـــا يَمُـــوتُ أَخِـــي ويَرْنُـــونِي!!
يُكَابِـــدُ حَـــشْرَجَاتِ الـــرُّو حِ مِـــنْ ظَمَـــإٍ ويُفْنِينِـــي!!
وأَرْقُـــدُ بَعْـــدَهُ شَـــبَحًا أَمُـــصُّ دَمِـــي ولَيْمُـــونِي!!

(١) عَجْمَ: العَجَمْ: النَّوَى: نَوى التَّمر والنَّبِق.
(٢) كانون: أَحَدُ الشُّهُورِ السِّرْيَانِيَّةِ (يُقابلُ يناير في السَّنَةِ الرُّومِيَّةِ).

هُنَـا سَـوْطُ الـصَّقِيعِ المُـ ـــرُّ يَجْلِـدُنِي ويُبْلِينـي!!
وريـحُ الزَّمْهَرِيـرِ الـصَّـ ـــرُّ تُـصْيمُنِي وتَنْفِينِـي!!
هُنَـا بَـرْدٌ ولا نَـارٌ لَا أَسْـهَالُ مِـسْكِينِ!!

ﰀﰀﰀ

هُنَـا جَـسَدٌ حَيِـيُّ الطَّـرْ فِ قُـدْسِيُّ المَكَـانِينِ
يَـذُوبُ لِهَمْـسَةِ الـشُّحْرُو رِ بَـلْ فَـوْحِ الرَّيَـاحِينِ!!
ويَحْمَـرُّ الحَيَـاءُ البِكْـ ـــرُ فِيـهِ لِنَظْـرَةِ العِـينِ !!
فكَيْـفَ بِـهِ وقَـدْ تَركُـو هُ عُرْيَـانَ البَـسَاتِينِ؟!
تَنَاهَـشُهُ كِـلَاب العِـرْ ضِ أَوْ سُـودُ الغَـرَابِينِ!!
هُنَـا جَـسَدٌ ولا خِـرَق تَثُـورُ لِنَظْـرَةِ الـدُّونِ
هُنَـا وَطَـنٌ كَطُهْـرِ الثَّلْـ ـــجِ فِي عَزَمَـاتِ حِطِّـينِ
وَقُـدْسٌ بَـيْنَ عَيْنَيْهَـا ثُـواءُ الحَـقِّ والـدِّينِ
ومَـسْرَى أَحْمَـدَ الوَضَّـا ءَ والرُّسْـلِ المَيَـامِينِ
وقَلْـبٌ مِـنْ حَوالَيْهَـا مِـنَ الزَّيْتُـونِ والتِّـينِ
هُنَـا طُهْـرٌ يُدَنِّـسُهُ لُعَـابُ كِـلَابِ صِـهْيُونِ!!

ﰀﰀﰀ

هُنَـا.. واسْتَرْسَـلَتْ عَـبْرَا تُهَـا العَجْـمَاءُ تَغْـزُونِي
هُنَـا جُـوعٌ.. هُنَـا ظَمَـأٌ وبَـرْدٌ لَـيْسَ يُجْلِينِـي

وَأَكْــوَانٌ مُــسَاوِمَةٌ بِمِــلْءِ الأَرْضِ تَــأْتِينِي!!

تَلُــوكُ العَجْــزَ بَــيْنَ يَــدَ يَّ لكِــنْ لَــيْسَ تُغْرِينِــي

فَمِلْئِــي عِــزَّتِي بِاللَّــــهِ دُونَ الكَــوْنِ تُــؤْوِينِي

فَلِــمْ ماتــت دمــاء العِــزِّ في قَلْــبِ الــسَّلاطِينِ؟!

وكَيْــفَ اسْــتَبْدَلَ الأَشْرَا فُ دَمَّ العِــزِّ بــالْهُونِ؟!

وكَيْــفَ اسْــتَمْرَأَ الأَعْــرَا ُذَاكَ العَــيْشَ فِي الطِّــينِ؟!

وتَحْــتَ عَبَــاءَةِ الأَرْزَا قِ بَــاعُوا الــدِّينَ بِــالتِّينِ!!

أَتَجْــرِي في دِمَــائِكمو دِمَــاءٌ فَلْتُجِيبُــونِي

***

فَــسَالَتْ دَمْعَتِــي الحَــرَّى بِقَلْبِــي كَــيْ تُوَاسِــينِي

تُحَــاوِلُ أَنْ تُهَدْهِــدَنِي ولكِــنْ لَــيْسَ تَــشْفِينِي

فتَعْتَــصِرُ الجَــوَابَ المُــ ــرَّ مِــنْ نَــبْضِ الــشَّرَايينِ:

أَيَــا بِنْــتَ الــشُّهُورِ العَــشْـ ــرِ رِفْقًــا إِذْ تَلُــومِيني!!

وكُفِّــي لَحْظَــكِ المَــسْنُو نَ إِنَّ العُتْــبَ يُفْنِينِــي

وَمِــلْءَ فُــؤادِيَ المَــذْبُو حِ مَــا يَكْفِــي لِتكفِينِــي!!

فَــمَا يُبكِيــكِ مِــنْ زَمَــنٍ يُــؤَرِّقُنِي ويُــدْمِينِي

لأَنيِّ أَقْــــرَأُ الآتِي عــلى نُــورٍ مِــنَ الــدِّينِ

فَــذَاكَ العُمْــرُ ضَــيَّعْنَا هُ فِي ذَنْــبٍ وتَهْــدِينِ

وآثَـــارٍ.. مُجَـــاهِرَةٍ	خَبِيثَـــاتِ الأَفَـــانِينِ
تَـذُوبُ لَهَـا الـذُّنُوبُ الغُلْـ	ـفُ [١] فِي فِكْـرِ الـشَّيَاطِينِ
ومَــا زِلْنَــا نَتُــوقُ لِعَــا	هِـرٍ فِي الغَـربِ مَـأْفُونِ!! [٢]
ونَلْعَـــقُ مُنْــتِنَ الأَقْــذَا	رِ فِي نَعْـــلِ المَلاعِـــينِ!!
ونَـــسْتَجْدِي رَغِيـــفَ الـــذُّ	لِّ مِـــنْ خُبْــزِ القَـــرَابِينِ!!
ونُهْــدِي سَــيْفَنَا الذَّهَبِـــ	ـــيَّ ذَبَّـــاحَ المَــسَاكِينِ!!
ونَحْبُـــو صَـــقْرَنا القَنَّـــا	صَ قَتَّـــالَ الحَــسَاسِينِ!!
ونُهْـــدِي زَيْـــتَ تُرْبَتِنَـــا	لِمَـــنْ حَرَقُـــوا بَــسَاتِينِي!!
ونَـشْكُرُ مَـنْ لَغَـوْا [٣] فِي العِـرْ	ضِ مِـــنْ أَمِّ المَيَـــامِينِ!!
فَكَيْـــفَ الله يَنْـــصُرُنَا	بِأَرْجَـــاسِ الفَـــرَاعِينِ؟!

꧁꧂

فَـــوَا أَسَـــفَى لأَرْجَـــاسِي	وإِحْجَـــامِ الـــسَّلاطِينِ!!
أَلَيْـسُوا الـرَّأْسَ مِـنْ وَطَنِـي	وتفكِـــيرِي وعِزِنِينِـــي؟!
وهَـــلْ جَـــسَدٌ بِـــلَا رَأْسٍ	سَـــوَى تَخْبِـــيطِ مَجْنُـــونِ؟!

---

(١) الغُلْفُ: جَمْعُ الأَغْلَفِ: المُغَطَّي أي: الذي لم تُرتَكَبْ مِنْ قَبل.

(٢) مَأْفُونِ: نَاقِص العَقْلِ.

(٣) لَغَوْا: اللَّغْو واللَّغَا: السَّقْطُ وما لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وغَيْرِه، وجِمَاعُ اللَّغْوِ: الخَطَأُ إذا كَانَ اللَّجاجُ والغَضَبُ والعَجَلَةُ.

أَلَيْسُوا القَلْبَ مِنْ وَطَنِي ... ونَبْضُ القَلْبِ يُحْيينِي؟!

وَهَلْ جَسَدٌ بِلَا قَلْبٍ ... سِوَى أَشْبَاحُ تِنِّينِ؟!

فَكَيْفَ إِذَا تَهَاوَى الرَّأْ ... سُ واجْتُثَّتْ شَرَايينِي؟!

ودِيسَتْ بَيْنَ أَوْحَالِ الْـ ... ـهَوَى شُمُّ العَرَانِينِ[1]؟!

فَيَا مَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُمْ ... إِبَاءَ العُرْبِ والدِّينِ:

أمَا اهْتَزَّتْ مَشَاعِرُكُمْ ... لِـذَا العَارِ الفِلْسطِينِي؟!

بِمَا تَلْقَوْنَ رَبَّ العَرْ ... شِ فِي غَدِكُمْ؟! أَجِيبُونِي

أَلَا فَلْتَزْرَعُوا ذا الدِّ ... ينَ فِي قَلْبِي وتَكْوِينِي

فَأَنْتُمْ مِنْ صَمِيمِ الشَّعْـ ... ـبِ مِنْ تُرْبِ المَلايِينِ

فإن عُدْنَا فَقَدْ عُدْتُمْ ... وإِنْ عُدْتُمْ تُعِيدُونِي

وإِنْ ضِعْنَا فَقَدْ ضِعْتُمْ ... وإِنْ ضِعْتُمْ تُضِيعُونِي

فَمِنْ رَحِم ابتِهَالِ التُّرْ ... بِ إِشْرَاقُ البَسَاتِينِ

وَوَهْمًا تَفْرِزُ الأَوْحَا ... لُ غَيْرَ الوَحْلِ والطِّينِ

ومِنْ غَيْثِ التَّسَابِيحِ الْـ ... ـطَّهُورِ يَثُورُ لَيْمُونِي

وزَوْرًا تَنْبُتُ الأَزْهَا ... رُ مِنْ سَيْلِ الفَرَاعِينِ

فَبَيْنَ التُّرْبِ والأَمْطَا ... رِ يَسْمُقُ طُهْرَ تِنِّينِي

(١) العَرَانِين: جَمْعُ العِرْنِين.

فَيَـا بِنْـتَ الـشُّهُورِ العَـشْـ ـــرِ رِفْقًـا إِذْ تَلُـومِيني
فَـمَا زَالَـتْ جَوَانِحُنَـا تَفُـوحُ بِعِـزٍّ حِطِّـينِ
وآمَـالٍ بِمِـلْءِ القَلْـ ـــبِ تَحْمِلُنِـي وتُعْلِينِـي
تَطِـيرُ بِهِمَّتِـي العَرْجَـا ءِ لِلْفِـرْدَوْسِ والعِـينِ!!
فَبَيْنَـا تَحْلُـكُ الأَلْيَـا لُ.. بِـالإِشْرَاقِ تَـأْتِينِي!!
وتَحْـتَ حَجَـارَةِ الـصَّحْرَا ءِ مَطْمُـورُ البَـسَاتِينِ!!
وجَنَّـاتٌ مِـنَ الرُّمَّـا نِ والزَّيْتُـونِ والتِّـينِ!!
سَـتُفْلِقُ هَـامَ صَـخْرَتِهَا وتَحْـضُنُنِي وتَحْبُـونِي
ومِـنْ طَلْـقِ الـوِلَادَةِ تَـزْ أَرُ الأَشْـبَالُ تَحْـدُونِي!!
فَـلَا تَهِنِـي وإِنْ أُودِعْـ ـــتُ أَغْـلَالَ الزَّنَـازِينِ
وأَدْمَـتْ جِيـدِيَ الأَغْـلَا لُ أَوْ أَسْـوَاطُ مَـأْفُونِ
وغَـالَ مُجُـونُهُمْ كَلِمِـي وكَمَّـمَ صَـوْتَ تَـأْذِينِي!!
فَقَـدْ أَدْرَكْـتُ سِرَّ الـسِّـ ـــرِّ فِي نَـصْرٍ وتَمْكِـينِ
فَمِـلْءُ فُـؤَادِيَ المَـوَّا رِ نَبْـيُّ الحَـقِّ والـدِّينِ
سَـأُوقِفُهُ[1] يَبُـثُّ الطُّهْـ ـــرَ فِي قَلْـبِ المَـسَاجِينِ

---

(١) أوقفه: أجسله وقفًا عليه: أقصره عليه.

ويَقْفُـــو [١] يُوسُـــفِيَّ الهَـــدْ ... يِ فِي لَيْـــلِ الفَـــرَاعِينِ

ويقْـــدَحُ شُـــعلَةَ التوحيــــ ... ـدِ في حَالـــةِ القَـــرَابِينِ

لِيُـــذْهِبَ نُـــورَهُ الأَوْهَـــا ... مَ فِي تُلْمُـــودِ شـــارُونِ

سَـــأَقذِفُها سِـــهَامَ اللـــيـ ... ـــلِ فـــأرْتقِبِي أَفـــانِينِ

لَهَـــا مِـــنْ دَمْعَتِـــي مَـــدَدٌ ... ومِـــنْ عَـــوْنِ المـــسَاكِينِ

ومـــنْ صَـــوْم البُطُـــونِ الـــضُّمْـ ... ـر مـــنْ أعْـــواد زيتـــون

لهـــا نهـــش الـــصقيع المُـــ ... ـــرِّ فِي أنيـــارِ ســـجِّينِ!!

تَـــذُوبُ لَهَـــا جَبـــالُ الأَرْ ... ضِ بَـــيْنَ التَّـــوِ وَالحِـــيْنِ

في أمـــر الله حـــينَ يريـــ ... ـــدُ بـــين الكـــافِ والنـــونِ

---

(١) يقفو: يتبع الأثر.